

من المسرح العالمي

من الأعمال المختارة
جورج برنارد شو - ٢

• السلاح والإنسان • كانديدا • رجل المقادير

ترجمة وتقديم: محمود علي مراد
مراجعة: د. عبد الرزاق العدواني

مسلسلة

من

المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مستشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

من المسرح العالمي

أول ديسمبر ١٩٧٣

شهرية



من الأعمال المختارة

جورج برنارد شو - ٢

• السلاح والإنسان • كانديدا • رجل المقادير

ترجمة وتقديم: محمود علي مراد
مراجعة: د. عبد الرزاق العدواني

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

الطبعة التي استعملت بالترجمة

THE COMPLETE PLAYS
of
BERNARD SHAW

مقدمة بقلم المترجم لمسيرة السلاح والانسان

((١))

الحقيقة في نظر برنارد شو شيء مقدس ، وكل عدوان عليها يجب ان يحارب وقد جعل دأبه في كل ما يقوله - وكان شو خطيبا مفوها - وفي كل ما يكتبه ان يكون داعية لها وان يعلن على اعدائها حربا لا هوادة فيها

وقد وجد شو أن آثاما كثيرة لا تسمى باسمائها ولكن تطلق عليها أسماء مثالية ، وان السلب والنهب ، وتعريض الناس للجوع والمرض ، والجريمة ، والسكر والعريضة ، وكل ما في الحرب العدوانية من قسوة ووحشية، تمارس في الحياة وتعرض على المسرح باسم التقدم او الاخلاق او الدين او الوطنية والسيادة الامبراطورية والعظمة القومية وغير ذلك من الاسماء التي تطلقها الصحافة .

كذلك وجد ان النزعة الرومانسية في علاقة الرجل بالمرأة وفي علاقة المرأة بالرجل ، اى عجز كل منهما عن رؤية الآخر على حقيقته وحرصه على احاطته بهالة من الكمال والمثالية لا يستحقها ، وهي النزعة التي كانت متفشية في العصر الفيكتوري نتيجة لتأثير شعراء الرومانتيكية من أمثال اللورد بايرون الانجليزى وبوشكين الروسى لتأثير المدارس المسرحية التي ترى ان رسالة المسرح هي التسلية والترفيه أساسا والتحليق بالمتفرج في عوالم وأجواء بعيدة كل البعد عن الواقع - وجد شو أن هذه النزعة تفسد نظرة الناس لمسائل الحب والجنس والزواج وتفضى بهم الى سلوك وقرارات يترتب عليها في أغلب الاوقات شقاؤهم وشقاء الآخرين .

وكان شو يرى ان الناس في حياتهم الخاصة والعامة لو احترموا الحقيقة واحترموا انفسهم وتخلوا عن مثالياتهم ورومانسياتهم العرجاء فان امورهم ، وامور العالم ، ستسير قطعاً الى أحسن ، وان للمسرح في هذا المجال رسالة لاتقل أهمية عن رسالة المدرسة والكنيسة نظرا لتأثيره المتزايد على الرأى العام ، وان الكاتب يستطيع ان ينفذ عن طريقه الى طبقات من الجماهير لا يصل اليها الخطيب او المفكر او الفيلسوف . وقد قال شو في هذا الصدد بصراحة وفي غير موارد انه يكتب

مسرحياته ليحمل الامة على مراجعة اخلاقياتها وليكسبها لافكاره بشأن مسائل الجنس والسياسة والاجتماع .

وكان شو يشترك في هذا الاتجاه مع المؤلف النرويجي ايسن ، ولكنه - بخلاف - ايسن - اختار الشكل الكوميدي لمسرحياته وذلك أولا لان هذا يتفق مع طبيعته المرحية ، التي تلقاها عن أبيه ، وثانيا لاعتقاده ان اقبال الناس على الكوميديا سهل له عملية اقناعهم بأرائه . كذلك فقد حرص - وكان هذا متفقا مع مذهب في احترام الحقيقة - على ان يكون تصويره لشخصيات مسرحياته تصويرا واقعيا باعتبار ان الانسان خليط من الصفات الحسنة والسيئة وان نسبة الصفات الحسنة الى الصفات السيئة قد تتغير من شخص الى آخر ، ولكنها موجودة دائما . أما الاختيار المنزهون عن المثالب ، والاشرار الذين هم كتلة خالصة من الشر ، الذين كان يحفل بهم المسرح العاطفي الفكتوري ، فنحن لا نجد لهم أثرا في مسرحيات شو .

وقد تبدو آراء شو للقارئ المعاصر في النصف الثاني من القرن العشرين أمورا مسلما بها . ولكنها لم تكن كذلك حين كتبت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي ، بل كانت تعتبر آراء ثورية ألبت على مؤلفنا عامة النقاد وجعلتهم يتهمونه بأنه يسخر من قيم الحياة العليا كالشجاعة والبطولة والحب . ولكن شو كان يتهم عليهم ويقول ان من غير المستغرب ان تجعلهم رومانسياتهم عاجزين عن فهم واقعيتهم وان الذي يسخر منه ليس هو الصفات الاصلية ولكن التظاهر بها والصاقها عشوائيا بكل من هب ودب .

وفي مسرحية السلاح والانسان - وقد اقتبس اسمها من ملحمة للشاعر اللاتيني القديم « فرجيل » يقص فيها مغامرات « اينياس » أمير طروادة بعد سقوط امارته - يهاجم شو الرومانسية او المثالية الكاذبة في مجالها الرئيسيين وهما الحرب والحب .

وشو يرى ان الحرب التي يخضع بها شعب شعبا آخر شيء يجب ان نستبعده تماما عن مجال الرومانسية وان المجد العسكري ، لانه مجد يترتب عليه اشقاء الملايين وحرمانهم من حقهم في الحياة وثمرات الحياة ، مجد لا يستحق - لفظاعته - ان يمجّد ، ويرى كذلك ان الابطال العسكريين الذين يجيئون بالنصر ويكسبون المارك ، يصورون عادة في صورة الآلهة او انصاف الآلهة مع انهم بشر لهم ميوبهم وتقائصهم كسائر البشر ومع ان انتصاراتهم ترجع أحيانا الى ظروف خارجة عن ارادتهم ، وان من المهم لذلك ان يطرح موضوع الحرب والبطولة الحربية على الناس في هذا الضوء الجديد ليراجعوا آراءهم بشأنهما .

وقد اختار شو كخليفة تاريخية لمسرحية السلاح والانسان التي أراد ان يشير فيها هذه المعاني والتي مثلت لأول مرة عام ١٨٩٤ ، حربا قريبة الى اذهان الجمهور هي حرب البلقان . وكانت الدول الأوروبية ، بما فيها انجلترا ، قد تحالفت على الدولة العثمانية التي كانت لها السيادة على دول البلقان منذ ثلاثة قرون ، حتى

اجبرتها بمقتضى معاهدة برلين في ١٨٧٨ على الاعتراف باستقلال الصرب وبلغاريا .
وفي الوقت الذي تبدأ فيه احداث المسرحية اى في نوفمبر ١٨٨٥ دب الشقاق بين
الصرب وبلغاريا واعلنت الاولى الحرب على الثانية وكان الامير اسكندر حاكم بلغاريا
يمت بصلة قرابة لقيصر روسيا وكان الضباط الروس هم الذين يتولون قيادة الجيش
البلغارى بينما كانت النمسا تقف الى جانب الصرب . وقد أحرز الامير اسكندر
انتصارات باهرة في سليفنترا ، وهي قرية بلغارية ، في ١٩ نوفمبر ثم في تساريبور
في ٢٣ نوفمبر ، ثم عبر الحدود التي تفصل بلغاريا عن الصرب ودخل « بيرث » في
الصرب في ٢٧ نوفمبر ، وهنا تدخلت النمسا لوقف الزحف البلغارى . وفي الفصلين
الثاني والثالث نقلنا شو الى فترة لاحقة لاحداث الفصل الاول بثلاثة شهور اى
الى مارس ١٨٨٦ ، وكانت معاهدة بوخارست قد عقدت قبل ذلك بثلاثة ايام واقرت
السلام بين البلدين .

ولكي نطلعنا شو على رايه في الحرب وفي البطولة العسكرية جعلنا نلتقي في
المسرحية بضباط ثلاثة من الذين اشتركوا في الحرب البلغارية الصربية ، اثنان
منهم - احدهما بطل - من الفريق المنتصر والثالث من الفريق المنهزم .

ان سيرجيوس هو البطل العسكرى بالمفهوم الرومانسى الشائع . وقد وصفه
شو لنا وصفا كاملا في شكله وفي أخلاقه وفي العمل الذي جعل منه بطلا . انه فيما
يتعلق بالشكل « ضابط وسيم الى اقصى حد ، يستطيع الانسان ان يلمس هيئته
الشامخة ونظراته الثاقبة حتى من خلال الصورة » ثم وصف بالتفصيل هيئته وملامحه
وافكاره لدى أول ظهوره في الفصل الثاني وربط بين سماته وبين تشايلد هارولد
بطل الملحمة الشعرية المشهورة للشاعر الانجليزى بايرون . وباختصار فان « البطل
الذى هو مثل رائيا الاعلى ان لم يتجسد فيه قلن يتجسد في انسان » . وعن أخلاقه
عرفنا انه رجل شجاع في الحرب شجاعة تصل الى حد التهور الجنوني . اما العمل
الحربي الذي جعل منه بطلا فهو انه هجم بفرسانه على مدفعية الاعداء وقضى عليها .

لقد كان هذا البطل يتصور انه سيكون على شجاعته وعلى انه أحرز لبلده
النصر . ولكن الذي حدث انه لم يحظ - رغم الحاجة - بالترقية التي كان يتوقعها .
لم يحظ بالترقية بدموى انه كسب المعركة بالطريقة الخاطئة ، هذا في الوقت الذي
رقي فيه ضابطان قادا آلايهما الى الهزيمة . وكانت هذه أول خيبة أمل تلقاها في
الجيش : ان تكون العبرة لا للشجاعة ولا للنشائج ولكن للخطط والاساليب ، وان
ينمط حقه لمجرد انه قلب خطط القادة وجرح احترامهم لذاتهم . لقد كان لسيرجيوس
رأى خاص في الشجاعة . والرجل الشجاع في رايه هو ، « الرجل المستعد لان يتحدى
الى الموت اى قوة في الارض او في السماء تتصدى لارادته وضميره » . اما شجاعة
الفقراء الذين سألتهم عنهم لوكا ، اى شجاعة الغضب والقتل ، فهي في رايه شجاعة
رخيصة . وهو لا يحترم هذا النوع من الجنود الذين يخافون ضباطهم ويتحملون
الاهانة والضرب ويشاهد بعضهم بعضا وهم يعاقبون كالأطفال بل ويعاونون في
العملية حين يؤمرون بذلك . انه لا يحترم الا الشجاع حقا وقد قال لبلنتشلى الذى

اقترح عليه في الفصل الثالث ان يهدد الجنود الذين سيكلفهم بحمل الاوامر بمعاقبتهم اذا تأخروا في تبليغها « اذا كان واحد منهم من الرجولة بحيث يبصق في وجهي لاهانته فسأدفع مكافأة خدمته واعطيه معاشا » . كان سيرجيوس يحسب ان العسكرية والحرب هي السوق التي يستطيع الانسان ان يبيع فيها شجاعته فحمل معه الى هذه السوق صنفا نادرا ونقيا من الشجاعة هو الشجاعة التي لا تهاب الموت والتي تتحدى الرؤساء عند اللزوم ، والتي تحمل النصر في ركابها ، ولكنه اكتشف انه كان مخطئا وان ما كان يعتبره كنزا ثميننا شيء لا قيمة له في الجيش على الاطلاق ، وقال في سخريه انه لو كان قد اشترى خيلا لالايه بدلا من قيادته بطيش الى مواطن الخطر لرقى ربما الى رتبة فيلد مارشال (اى مشير) وهي اعلى رتبة في الجيش . والنتيجة التي خرج بها سيرجيوس من هذه التجربة الشخصية هي ، كما قال لكاترين ، ان « الجندية هي فن الجبان ، الذي يجب بمقتضاه الهجوم بلا رحمة حين تكونين قوية والبقاء بعيدا عن طريق الخطر حين تكونين ضعيفة » وان هذا هو سر القتال الناجح من ألفه الى يائه : أن تتصدى للعدو حين يكون ميزان القوى ضده وأن تتحاشى دائما وبأى ثمن قتاله بقوة متكافئة » ، وهي أخيرا « ان الهجوم الذي قمت به والذي كان مهد شهرتي ، كان قبرها أيضا » . كل هذه الاعتبارات ازالته الفشاوة - فشاة الرومانسية - من على عينيهِ وجعلته يتخذ قرارا بتقديم استقالته من الجيش ، وكان هذا القرار من ناحيته قرارا شجاعا تنكب فيه لمصلحته الخاصة فان بقاءه في الجيش في وقت السلم كان سيضمن له - بعد ان يصاهر بتكوف و « لان النساء في صفك وسيقمن بالواجب لكي يأخذ العدل مجراه فيما يتعلق بك » مستقبلا زاهرا يحصل فيه على الترقيات التي لم يحصل عليها ببطولته الحربية . وبعد ان اتخذ سيرجيوس هذا القرار اصبحت نظريته الى الحرب اكثر واقعية واصبح جانب الحرب اللا انساني يصدمه كما لم يكن يصدمه من قبل بحيث انه لم يملك نفسه حين سمع قصة صديق بلنتشلى الذي أحرق مع اثني عشر مسكينا آخرين في مستودع لتخزين الخشب من أن يهتف : آه . الحرب . الحرب . حلم المواطنين والابطال . انها خدعة يابلنتشلى . زيف فارغ كالحب ! »

هذا هو رأى البطل في الحرب والبطولة . فما رأى المقاتلين الآخرين ؟

ان الميجور بتكوف ليس بطلا ولا هو يدعى البطولة . ولكنه أكبر ضابط بلغاري في الجيش وهو لا يختلف مع سيرجيوس في وصفه لسر القتال الناجح ولكنه يرى ان منطق التصدى للعدو حين يكون ميزان القوة ضده وتحاشى قتاله بقوة متكافئة منطق له ما يبرره فان الاعداء في نظره « لن يتركونا نقاتل قتالا عادلا شريفا » . كذلك فان بتكوف لا يسمعه الا ان يعترف بان الحرب « تجارة كأي تجارة أخرى » وهو ما يفهم منه انه ينظر الى الحرب نظرة واقعية ولا يحاول ان يلبسها ثوبا من الرومانسية المفتعلة . وقوله ان الحرب تجارة يعنى ، بالعبارة الحديثة ، ان الحروب تقوم دائما لتحقيق مكاسب اقليمية او لكاسب تجارية واقتصادية مختلفة .

اما المحارب الثالث - بلنتشلى - فينتهي الى المعسكر الذي خاقت به الهزيمة . ولم يجعل هذا المحارب صربيا ، ولعله رأى - وليس عليه لوم في ذلك -

ان الصرب اذا كانت هي التي بدأت العدوان فقد تلقت بالهزيمة الدرس الذى كان يريد ان يلقيه على المنتصرين ، او لعله رأى من غير المقبول ان يعهد الى أحد أبناء الدولة المعتدية بمهمة محاربة منطق الحرب ، بل جعله ينتمى الى دولة بعيدة عن النزاع لحكمة خاصة هي انه - اى شو - اراد ان يصور فيه منطقا محايدا قريبا من منطق دولة محايدة كسويسرا . وبلنتشلى يمثل من الجندية صورة عكسية لتلك التي يمثلها سيرجيوس . فهو ضابط محترف عرك الجندية وخبر اسرارها منذ خمسة عشر عاما بينما سيرجيوس ضابط هاو مبتدىء . وفى خلال حياته العسكرية الطويلة اتبع له ان يخوض عدة معارك وان يثبت كفاءته العسكرية العالية وان يحصل على اربع ميداليات للخدمة الممتازة وان يتولى فى الجيش الصربى الذى انضم اليه مؤخرا منصبا لا يقل فى الاهمية عن ذلك الذى تولاه بتكوف فى الجيش البلغارى بدليل انه هو الذى كلف - عند انتهاء الحرب - بمفاوضته فى صفقة تبادل الاسرى . هو جندى اصيل احترف الجندية بحثا عن المغامرة لا سعيا وراء الرزق فقد كان له فى ثروة أبيه ونشاطه ، ان اراد ، ما يفنيه عن ذلك . وهو انسان شجاع لم تدفعه الى العسكرية قضية وطنية او مصلحة وانما دفعه اليها مجرد العزوف عن الحياة الوداعة والرغبة فى اقتحام الخطر وركوب المصاعب . ولا يقدح فى شجاعته اطلاقا الحالة السيئة التى كانت عليها أعصابه بعد ثلاثة أيام قضاها فى أتون المعركة دون نوم تقريبا ولا أنه لاذ بالفرار حين رأى الا جدوى من الصمود وان البقاء معناه الانتحار ولا انه هدد رانيا بمسدس ولا انه يستخدم العباءة ضدها ولا انه يضع حلوى فى قارب غدارته بدلا من الطلقات . ان واجب الجندى الاول هو ، كما قال ، الحفاظ على حياته . وفى هذا كله لم يكن بلنتشلى بدعا بين المحاربين بل كان يتبع منطقا سائدا ويفعل ما يفعله الآخرون . ان سيرجيوس ، وهو الرجل الشجاع ، لم يتهم بالجبن كما ان زملاءه ورؤسائه فى الجيش الصربى ، كما قال لرانيا ، لم يفضبوا منه لقراره . وقد قدم لنا بلنتشلى فى المسرحية أكثر من دليل على شجاعته الحق فقد رفض ان يترك البلغاريين فى بيت بتكوف يقبضون عليه وتأهب - رغم قواه المضعفة - ليحاربهم بسيفه فى معركة قال انها ستكون « معركة شياطين » . كذلك فقد قبل تحدى سيرجيوس للمبارزة فورا حتى قبل ان يعرف السبب .

هذا الجندى العريق ، الذى احترف الحرب حبا فى رومانسيتها ، والذى أعطته الحرب كل ما كان يطمع فى الحصول عليه وهو الاثارة والتقدير ، والذى اعترف سيرجيوس انه هو وامثاله هم الذين علموا البلغاريين والصربيين كيف يقاتلون ، ما رأيه فى الحرب ؟

لقد اتضح له بعد خمسة عشر عاما من العسكرية انها سراب وانه « اضاع كل فرصة فى الحياة » بحثا عن شيء غير موجود ، ومن ثم قرر هجر الجندية ، وتباحث فى هذا الامر مع سيرجيوس بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، واقنعته بوجهة نظره . وقد اتخذ هذا القرار قبل ان يتلقى نبأ وفاة أبيه ويرث ثروته الضخمة .

الحرب اذن خدعة وزيف فارغ في نظر سيرجيوس . وهي تجارة في نظر بتكوف . وضياح ، في نظر بلنتشلى ، لكل فرصته في الحياة ، وهذا ما أراد شو ان يصل اليه .

واذا أهدرت رومانسية الحرب اهدرت ، بالتالي ، رومانسية البطولة الحربية . ان رومانسية البطولة ، التى هي فى المسرحية حلقة الوصل بين الحرب والحب ، تتمثل فى هذه الصورة التى وصفت بها كاترين المعركة التى انتصر فيها سيرجيوس : « معركة عظيمة ... انتصار ... والذى كسبها هو سيرجيوس . سيرجيوس اصبح بطل الساعة ومعبود الا لاي . لن تستطيعي ان تحدى روعة ما حدث . تحدى قادتنا الروس . تصرف دون اوامر وقاد هجوما على مسئوليته الخاصة . تصدر بنفسه الهجوم . جنودنا البلغاريون الصناديد البواسل ، وسيرفهم واعينهم تلمع كالبرق يهدرون فى انقضاضهم كما يهدر الثلج وهو ينهار من قمم الجبال ، ويشتون شمل الصربيين الاشقياء وضباطهم المخنثين ، كما تذرو الرياح الهشيم » . وهي صورة حافلة بالمبالغات التى نبتت من خيال كاترين وحده ولم تشملها رسالة زوجها اليه نبأ المعركة ، فقد راينا ان بتكوف نفسه لا يشارك زوجته حماسها بشأن سير جيوس . ان رأيه فى كفاءته العسكرية يتناقى تماما مع هذه الصورة الرائعة التى ارتسمت عنه فى مخيلتها . وهو رأى ينطوى على استخفاف وسخرية وقدر غير قليل من الزاوية ، فقد رد على كاترين النى كانت تصر على ان يكون لرومانيا على الاقل جنرال منها وعلى أن يكون سيرجيوس هو هذا الجنرال بقوله : « أجل ، لكى تضيق بسببه لواءات كاملة بدلا من الاليات » كما قال لها انه « ليست امامه اقل فرصة للترقية حتى نتأكد تماما من ان السلام سيكون سلاما دائما » . وهو ما معناه انه لا يصلح ضابطا فى زمن الحرب . ان الجمل اللائحة المتلاحقة التى وصفت بها كاترين هذه المعركة ، الفاظها ، ايقاعها ، والسيوف والاعين التى تلمع فيها كالبرق ، والجنود الذين ينقضون فيها كجليد الجبال ، والآخرون الذين اصبحوا كالهشيم . . كل هذا شعر وليس حقيقة قرأتها كاترين فى الرسالة او رأتها او لمستها بنفسها . انه الصورة المثالية المفترضة للبطولة البلغارية . البطولة البلغارية النى لم تقتصر على سيرجيوس بل عممت حتى شملت الجنود البلغاريين « الصناديد البواسل » ، والصورة المثالية ، المفترضة أيضا ، لعدم البطولة الصربي الذى عمم هو الآخر حتى شمل « جنودهم الاشقياء » وضباطهم « المخنثين » بدون تفريق . وقد بلغ حماس كاترين لسيرجيوس درجة الآليه فختمت كلامها لابنتها بقولها « اذا كان فى عروثك قطرة من الدم البلغارى فستعبدينه عبادة حين يعود » .

لقد ترددت رانيا طويلا - سنة بأكملها - قبل ان تقبل سيرجيوس خطيبا ، ولم تكن بينهما قصة حب بالمعنى الصحيح . وحتى بعد ان تمت خطبتهما كانت الشكوك نساورها فى شأن قدرته الحربية وكانت : كما أسرت لامها ، كثيرا ما تتساءل : ألن يتضح متى خاض معركة حقيقية ان كل البطولة التى يدل عليها

مظهره النبيل وعم من الاوهام ؟ فلما انهدت اليها امها امر المعركة التي انتصر فيها سرجيوس بالوصف السابق الذي تغلب عليه الرومانسية والتهويل ، تبخرت في نفسها الشكوك والتساؤلات جميعا وبرزت امامها صورة البطل في كل روعتها ، وسط « جيش كامل من الابطال » وفجأة ولد في قلبها الحب المثالي الذي لا تحده الحدود ، والثقة المطلقة ، واصبح سرجيوس في لمح البصر الها تتبسل اليه « وتعبده عبادة » كما قالت امها ، وترى نفسها غير جديرة ، واختلط حبها له بحبها لوطنها وبحبها للمثالية ، وارتفعت حرارة عواطفها تجاهه الى درجة الغليان .

هذا هو سرجيوس في نظر كاترين وفي نظر رانيا : الكمال مجسما . فهل هو كذلك في الحقيقة ؟ انه هو ذاته يقول وهو يصف نفسه للوكا ان بين جوانحه اثني عشر سرجيوس : منهم المهرج ومنهم الدجال ومنهم الوغد ومنهم الجبان . وفوق ذلك فقد رفضت قيادته ان تعتبر هجومه عملا بطوليا يستحق عليه الترفية . وقد رأينا ان بكوف من جهته لا يعترف ببطولته . ولكن هناك اكثر من هذا . هناك شاهد عيان حضر المعركة ويعلم من اسرارها مالا يعلمه أحد ، هو بلنتشلي . وطبقا لشهادة بلنتشلي فان سرجيوس كسب المعركة لا من جدارة ولكن لمجرد ان ذخيرة المدفعية التي هاجم موقعها كانت غير صالحة للاستعمال ، وان هجومه — لولا هذا الظرف الطارئ الذي لم يكن له به علم ولا كان لارادته فيه دخل — جاء مخالفا لايسط اصول القتال « لان النابت المحقق ان المدافع اذا انطلقت فلن تسمح احصان او لرجل بالاقتراب الى مسافة ٥٠ ياردة من خط اطلاق النار » . ان الصورة الحقيقية لسرجيوس ليست هي الصورة التي تخيلتها كاترين ونقلتها الى راني ولكنها الصورة التي رآها بلنتشلي بعيني رأسه والتي وضعها في هذه الكلمة الساحرة : « آه لو رأيت المسكين وهو يجذب حصانه » . ثم : « فعلها كأنه مغمى في الاوبرا . رجل نظامي وسيم . عيانان تبرقان وشارب بديع ، يصيح صيحة الحرب ويهجم كأنه دون كيخوته في انقضاضه على مراوح الهواء . كان زهوا بنفسه كفارع الطبل يتوهم انه اظهر براعة لم يسبق لها مثيل مع انه كان يجب ان يقدم للمحاكمة العسكرية لما فعل . ان مافله هو وآلايه هو الانتحار بعينه ولكن الرصاصة لم تنطلق ، وبطولته اذن لم تكن بطولة حقا وانما كانت تهورا لا يصدر عادة الا من صفار والاصرار على تسميتها بطولة اسرار على خرافة .

هذا عن الحرب . فماذا عن الحب ؟

لقد جمع سرجيوس بين الموضوعين في تلك الصيحة التي أشرنا اليها والتي اطلقها لما علم بمصر صديق بلنتشلي : آه . الحرب . الحرب . حلم المواطنين والابطال . انها خدعة يا بلنتشلي . زيف فارغ كالحب . والصلة بين الموضوعية صلة فعلية فان الحرب اذا كانت هي الصورة التي تتخذها عادة رومانسية الرجال ، محاربين او غير محاربين ، فالحب هو الصورة المعتادة لرومانسية النساء ، والصلة بين الحرب والحب في المسرحية التي نحن بصدها اوثق من ذلك ، فقد بنيت قصة الحب الرئيسية فيها على قصة البطولة الحربية وكانت تسير معها في اتجاه واحد .

لقد احبت رانيا سيرجيوس - او خيل لها انها احبته - منذ اللحظة التى توهمت فيها انه بطل ، واذا بلنتشلى يحطم بواقعيته الساخرة ، الصورة الرائعة التى تكونت في ذهنها عنه . واصمت رانيا اذنيها عن كلام بلنتشلى وحاولت ان تتجاهل دلاله وتلقت سير جيوس حين عاد من الحرب بالفاظ يابظلي وياسيدى وحدثه عن « الحب الاسمى » بعبارات مسرحية غاية في البلاغة ، ولكنها لا تكاد تختلى بأما بعد ذلك حتى توجه اليها كلمات جارحة وتصارحها بان رغبة شديدة تتأبها في ان تفعل او تقول لسيرجيوس شيئاً فظيماً ، وانه لا يهتمها ان يكتشف موضوع عسكرى كريمة الشوكلاته بل انها تكاد تمنى ان يكتشفه . اذن فقد احدث كلام بلنتشلى مفعوله رغم الحب الاسمى ورغم العبارات المسرحية ، واخذت اوهاهما بشأن سيرجيوس وبطولته تتبدد . وكانت هذه بداية النهاية في قصتها الغرامية معه، او لعل الاصح ان بداية النهاية حدثت مع ميلاد القصة الغرامية الاخرى اى قصة رانيا مع بلنتشلى التى لم تخل هي الاخرى من رومانسية وان تكن رومانسية من طراز مختلف . ان البطل في هذه القصة الثانية هو رانيا نفسها ، وقد لعبت اوبرا ارناى وذلك المشهد العظيم الذى يلجأ فيه ارناى في فراره من خصمه الى حضن عدوه اللدود ويرفض النبيل ان يسلمه لان الضيف عنده مقدس في تكييف مشاعر رانيا هنا دوراً شبيهاً بذلك الذى لعبه وصف امها لانتصار سيرجيوس في القصة الاولى ، فقد رأت رانيا ان هناك شبيهاً بين حالة بلنتشلى وحالة ارناى وارادت هي ان تقوم حياله بدور العدو النبيل . وهكذا نرى ان رانيا خرجت من قصة رومانسية لتدخل في قصة رومانسية اخرى ، ولا يمنع من ذلك انها رقت فعلاً لبلنتشلى الذى كانت حالته تدعو للثناء ، ولا يمنع منه ايضا ان شجاعته التى لمستها حين كان يتهيأ للقاء الجماعة التى جاءت للبحث عنه والشهامة التى بدت منه حين رد اليها العباءة والرقعة التى اظهرها حين ابى ان يمسك يدها النظيفة بيده القلدة ، قد مست وترا من قلبها . لقد كانت رانيا منذ طفولتها مريضة بداء التمثيل ، وكانت مربيتها ووالداها وسيرجيوس يصدقونها ويحملونها على محمل الجد . والوحيد الذى لم ينخدع بمظهرها النبيل وصوتها المؤثر هو بلنتشلى . وكانت رومانسية رانيا هي التى انقذت حياة بلنتشلى ولكنها تعلمت منه ان تكون طبيعية وان تنطلق على سجيبتها وقد رأيناها ، رغم حبه له ، تحتد عليه اكثر من مرة وتوجه اليه كلاماً ، اذا قورن بلهجة الحديث الرومانتيكى الذى دار بينها وبين سيرجيوس في لقائهما الاول بعد عودته من الحرب ، لا تضح لنا مدى الشوط الذى قطعته في طريق الشفاء من مرض الرومانسية والتمثيل .

اما لو كا فهي لم تقرأ شعر اللورد بايرون ولا شعر بوشكين كما لم تتردد على اوبرا فيينا . انها خادمة وابنة فلاح فقير تعيش على ارض الواقع الصلبة ولا تدعى لنفسها حسبا او جاها او ثراء . كذلك فهي لم تسمع رواية كاترين من بطولة سيرجيوس . وقد تحالفت كل هذه العوامل وفطنتها ونفسها الأبية الصريحة لتجعل

نظرتها الى الامور نظرة بسيطة ليس فيها ذرة من الرومانسية او الخيال . لقد اكتشفت لوكا ان رانيا قد آوت جنديا فارا من جنود الاعداء ، وانها وامها ساعدتاه على الهرب . وخلصت من ذلك الى انهما لا تستحقان الاحترام وانها هي ، لانها تحب وطنها وتكره اعداءه ولا نمد لهم يد المساعدة ، خير من رانيا ومن امها ، وكذا الى ان رانيا ليست جديرة بسيرجيوس . وعندما عاد سيرجيوس من الحرب وحاول مغازلتها وهو مرتبط مع رانيا على الزواج ، اكتشفت انه هو الآخر رجل لا عهد له وانها افضل منه . اما نيقولا فكانت تحتقره وتحتقر صنعه التي تجعله يتحمل كل ما يقوله او يفعله سادته ويتستر عليهم ويسعى لكسب رضاهم . واما بلنتشلى فكانت تكرهه . هي رغم اصلها المتواضع ترى نفسها خيرا من هؤلاء جميعا وقد كانت شخصيتها فعلا من اقوى شخصيات المسرحية . وقد اكتشفت لوكا بذلك فطرى حاد ان رانيا عقدت العزم على ان تنزوج من بلنتشلى بالرضى او بالاكراد ، وان نيقولا يصلح خادما اكثر مما يصلح زوجا لها ، وقررت ان يكون سيرجيوس من نصيبها هي لانها تحبه رغم عيوبه .

وكان لكل من رانيا ولوكا ما ارادت (وشو يرى ان المرأة هي التي تصطاد الرجل وليس العكس) . وكان انتصارهما في الواقع انتصارا للمدرسة الحقيقة والصدق ، فان احدا من الازواج الاربعة لم يكن مخدوعا في الآخر . ونحن نشعر ان هذه هي افضل نهاية كان يمكن ان تنتهي اليها قصة هؤلاء الاربعة ، فلو ان سيرجيوس قد تزوج من رانيا لشقى كلاهما حين يكتشف ان حقيقة الآخر تختلف عما صورته له اوهامه المثالية ، ولما اتيحت لبلنتشلى فرصة لتعويض ما ضاع من عمره ، ولشقى كل من نيقولا ولوكا بزواجهما اذا قدر لهما ان يتزوجا . اما انتصار الحقيقة والصدق او « اللارومانسية » وهو الوصف الذى وصف به شو هذه المسرحية ، فقد جعل نظرتهم الى الحياة اسلم ، ووضع الاربعة - ومعهم بتكوف وكاترين ونيقولا - على طريق السعادة والتوفيق . وبالنسبة لكاترين بالذات تكفلت ثروة بلنتشلى الطائلة في لحظات بالقضاء على نزعة الرومانسية عندها فيما يتعلق بشخص سيرجيوس .

السَّلاح والإنسان

١٨٩٤

المسرحية الأولى من أربع مسرحيات سارة

تأليف : جورج برنارد شو

ترجمة وتقديم : محمود علي سراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

ARMS AND THE MAN

1894

Being The First of Four Pleasant Plays

الفصل الأول

الليل . مخدع سيدة في بلغاريا ، في بلدة صغيرة بالقرب من ممر دراجومان ، في أواخر نوفمبر من عام ١٨٨٥ . ومن خلال نافذة مفتوحة ذات شرفة صغيرة تبدو قمة جبل من جبال البلقان — ناصعة البياض جميلة في الجليد الذي تضيئه النجوم — وكأنها في متناول اليد مع أنها على بعد أميال والغرفة من الداخل لا تشبه شيئا مما يراه المرء في غرب أوروبا . ان فيها نصف البذخ البلغاري ونصف سرقية فيينا . وفوق رأس الفراش ، الذي يلاصق حائطاً صغيراً يقطع ركن الغرفة اليسر محراب مطلى من الخشب ، لونه أزرق وذهبي ، بداخله صورة من العاج للمسيح ، وأمامه قنديل معلق في كرة معدنية مثقبة يتدلى من ثلاث سلاسل . المقعد الرئيسي ، وهو موضوع تجاه الجانب الآخر من الغرفة إزاء النافذة ، ديوان من الطراز العثماني . اللحاف وسجف الفراش وستائر النافذة والسجادة الصغيرة وكافة الطنافس التي تحتوى عليها الغرفة شرقية فاخرة . اما ورق الجدران فغربي زرى . المغسل ، وهو ملاصق للجدران في الجانب القريب من الديوان العثماني والنافذة ، يتكون من حوض

حديدي مطلي بالميناء اسفله دلو في اطار معدني مطلي ،
ومنشفه واحدة معلقة على القضيب الجانبي . مائدة
الزينة التي تقع بين الفراش والنافذة ، مائدة عادية
من خشب الصنوبر يغطيها مفرش متعدد الالوان
وتعلوها مرآة تواليت فاخرة . الباب يقع في الجانب
الاقرب إلى الفراش ، وبين الباب والفراش خزانة
ذات ادراج . هذه الخزانة بدورها مغطاة بمفرش
ملون محلي الصنع ، وعلى المفروش كومة من الروايات
ذات الطبعة الرخيصة ، وعلبة من فطائر كريمة
الشكولاته وحامل صغير بداخله صورة فوتوغرافية
كبيرة لضابط وسيم جدا على قدر كبير من الوسامة
يستطيع الانسان ان يلمس هيئته الشامخة ونظراته
الثابتة حتى من خلال الصورة . الغرفة تضيئها شمعة
موضوعة على الخزانة ذات الادراج وشمعة أخرى
على مائدة الزينة ، الى جوارها علبة ثقاب .

النافذة مركبة على مفاصل مثل الأبواب وهي
مفتوحة تماما . وفي الخارج مصراعان خشبيان
يفتحان إلى الخارج ، وهما أيضا مفتوحان . وفي
الشرفة فتاة تتطلع إلى جبال البلقان التي يكسوها
الجليد ويغمرها الشعور بجمال الليل الشاعري وبأن
شبابها وجمالها قطعة منه . وهي ترتدي قميص نومها
وقد تدثرت جيدا بعباءة طويلة من الفراء يفوق
ثمنها ، بالتقدير المعتدل ، ثلاثة أضعاف ، ثمن مافي
الغرفة من رياش .

تقطع عليها أحلامها أمها كاترين تبكوف وهي
سيدة تجاوز الأربعين ، ذات حيوية متسلطة ،
شعرها الاسود وعيناها السوداءوان آية في الجمال
وكاترين تبكوف تصلح نموذجا بالغ الروعة لزوجة
مزارع من مزارعى الجبل ولكنها مصممة على
ان تشبه بسيدات الطبقة الراقية في فيينا ولذا فهى
ترتدى ثوبا أنيقا من ثياب الشاى في كافة المناسبات .

كاترين : (تدخل مهرولة وكلها أخبار سارة) رانيا !
(تنطق الاسم « رايينا » بتشديد الياء) . رايينا !
(تمضى إلى الفراش وهي تتوقع أن تجد فيه ابنتها)
أين . . ؟ (رايينا تنظر إلى داخل الغرفة) بحق
السماء يابنتى ! تخرجين الى زمهرير الليل بدلا من
أن تأوى إلى فراشك ؟ انت تعرضين نفسك
للهلاك . لو كا أخبرتنى انك نائمة .

رانيا : (حاملة) لقد صرفتها . أردت أن أدخل إلى نفسى .
ألا ما أجمل النجوم ! ماذا هناك ؟

كاترين : أخبار وياها من أخبار ! لقد نشبت معركة .
رانيا : (تتسع عيناها) حقا ! (تقترب من كاترين
بلهفة) .

كاترين : معركة عظيمة في سليفنترا ! انتصار ! والذى
كسبها هو سيرجيوس .

رانيا : (بصرخة جذل) مرحى ! (تتعانقان في نشوة)
أماه ! (ثم في اشفاق مباغت) هل أبى بخير ؟

كاترين : طبعاً : هو الذى أرسل إلى البشرى . سيرجيوس
أصبح بطل الساعة ومعبود الفرقة

رانيا : خبرينى ، خبرينى . كيف حدث ذلك ؟ (لا تملك
نفسها من الفرح) أمى ! أمى ! أمى ! (تجذب
أمها وتجلسها على الديوان العثمانى . تقبل أحدهما
الأخرى بانفعال) .

كاترين : (بحماس عارم) لن تستطيعى ان تحدى روعة
ما حدث . هجوم من سلاح الفرسان ! تأمل ذلك !
لقد تحدى قادتنا الروس . . تصرف دون أوامر . .
وقاد هجوما على مسئوليته الخاصة . . تصدر بنفسه
الهجوم . . كان أول رجل يمرق عبر مدافعهم .
أستطيعين أن ترى ذلك يارانيا : جنودنا البلغاريون
الصناديد البواسل ، وسيوفهم وأعينهم تلمع كالبرق
يهدرون في انقضاضهم كما يهدر الثلج وهو ينهار
من قمم الجبال ، ويشتون شمل الصربيين الأشقياء
وضباطهم النمساويين المختئين كما تذروا الرياح
المشيم . وأنت ! لقد جعلت سيرجيوس ينتظر سنة
قبل أن تقبله خطيبا . لعمري إذا كان في عروقلك
قطرة واحدة من الدم البلغارى فستعبدينه عبادة
حين يعود .

رانيا : وهل تهمة عبادة مخلوقة ضعيفة مثلى بعد هتافات
جيش كامل من الابطال ؟ ولكن لا بأس :
شد ما أنا سعيدة ! وفخورة ! (تنهض وتتجول
في الغرفة جائشة الصدر) هذا دليل على أن آراءنا
كلها كانت سديدة رغم كل شيء .

كاترين : (باستنكار) آراؤنا سديدة ! ماذا تعنين ؟

رانيا : آراؤنا بشأن ما يستطيع سرجيوس ان يفعله . شعورنا الوطني . مثلنا البطولية . لقد دأبت على التساؤل أحيانا هل هي أكثر من مجرد احلام . بالفتيات من مخلوقات ضئيلة عديمة الاخلاص ! شد ما بدا سرجيوس نبيلًا وانا اشبك له سيفه . كانت خيانة مني ان افكر في احتمال الخيانة أو الخزي أو الاخفاق . ومع ذلك . . ومع ذلك . . (تعود فجأة إلى الجلوس) عديني ألا تخبريه أبدا .

كاترين : لا تسأليني وعودا قبل ان أعرف كنه ما أعد به .

رانيا : لقد طاف برأسي حين احتواني بين ذراعيه وأخذ يتطلع في عيني أن من غير المستبعد ان تكون آراؤنا البطولية وليدة ولعنا الشديد بقراءة بايرون وبوشكين وفرط سعادتنا بحفلات الاوبرا التي شاهدناها في بوخارست في موسم الاوبرا السابق ، فواقع الحياة نادرا ما يكون على هذه الصورة . نادرا جدا ، بل هو لا يكون كذلك على الاطلاق ، بقدر علمي في ذلك الوقت . . (في ندم) تصوري يا أمي : لقد شككت فيه : كنت اسائل نفسي : ألن يتضح مني خاض معركة حقيقية أن كل صفاته البطولية وكل عسكريته مجرد وهم من الأوهام ؟ كان بنخامرنى خوف مزعج من انه سيبدو هزيلا اذ ذاك بجوار كل أولئك الضباط الافذاذ الذين وفدوا من بلاط القيصر .

كاترين : هزيلا ! عار عليك ! ان لدى الصربيين ضباطا
نمسيين لا يقلون براعة عن الروس . ولكننا
هزمناهم في كل معركة ، بالرغم من ذلك .

رانيا : (وهي تضحك وتلتصق بأمرها) أجل : ما كنت
الأجبانة صغيرة تافهة . أى سعادة ! أى شعور
يجل عن الوصف بتحقيق الآمال ان يدرك المرء أن
كل هذا كان حقيقيا ! وان سيرجيوس لا يقل
روعة ونبل عما يدل عليه مظهره ! وان العالم فعلا عالم
مجيد للنساء اللاتي يستطعن رؤية ما فيه من مجد ، وللرجال
الذين يستطيعون ان يمثلوا ما فيه من رومانسية .
(تدخل لوكا فتقطع عليهما الحديث . لوكا
فتاة مليحة أبية ترتدى ثوبا بلغاريا جميلا مما يلبسه
القرويون ، ذا مژرين ، نزاعة إلى التحدى حتى
ان خضوعها لرانيا يكاد ان يكون وقاحة . وهي
تخشى كاترين ولكنها لا تتورع ، حتى معها ، من
التبجح إلى أقصى مدى اجترأها .)

لوكا : بعد اذنك ، ياسيدتى ، لابد ان توصل جميع النوافذ
وان يحكم اغلاق المصاريع . يقال ان الرصاص قد
يطلق في الشوارع . (رانيا وكاترين تنهضان معا
في انزعاج) . الصربيون يُردُّون على اعقابهم عبر
الممر ويقال انهم قد يدخلون المدينة ركضا .
فرساننا سيكونون في اثرهم وسيكون شعبنا مستعدا
لهم ، كوني على ثقة من ذلك ، الآن وقد لاذوا
بالفرار (تخرج إلى الشرفة وتجذب المصراعين
الخارجين إلى الداخل ثم تخطو عائدة الى الغرفة) .

كاترين : (في لهجة حازمة وقد تيقظت فيها غريزة ربة البيت) لابد أن أتحرى أن يكون كل شيء موثماً في الدور الارضى .

رانيا : بودى لو أن شعبنا لم يكن بهذه القسوة . أى مجد هناك في قتل هارين تعساء ؟ كاترين ، قسوة ! هل تظنين انهم يتورعون عن قتلك . . أو عما هو اسوأ من القتل ؟

رانيا : (إلى لوكا) اتركى المصراعين بحيث لا يكون على الا أن أردهما إذا سمعت صوتا .

كاترين : (بلهجة آمرة وهى تستدير في طريقها إلى الباب) لا يا حبيبتي : ليظلا محكمى الاغلاق والا فمن المؤكد انك ستنامين وتتركينهما مفتوحين . احكمى اغلاقهما يا لوكا .

لوكا : أمرك ياسيدتى . (تحكم اغلاقهما) .

رانيا : لا تقلقى بخصوصى . في اللحظة التى أسمع فيها طلقة سأطفى الشموع وألفُ نفسى في الفراش وأعطى اذنى جيداً .

كاترين : عين الحكمة يا حبيبتي . طاب مساؤك .

رانيا : طاب مساؤك . (تعاودها العاطفة لحظة) أدعى لى بالفرح (تتبادلان قبلة) هذه أسعد ليلة في حياتى . . فقط لو لم يكن هناك هاربون .

كاترين : اذهبي إلى فراشك يا حبيبتي ولا تفكرى فيهم . (تخرج) .

لوكا : (خفية إلى رانيا) إذا أردت أن يظل المصراعان مفتوحين ، فما عليك إلا أن تدفعيهما هكذا (تدفعهما : يفتحان : تجذبهما إلى الداخل ثانية) . كان الواجب ان يثبت احدهما من أسفل ولكن المزلاج مكسور .

رانيا : (بأنفة وئي تنيب) شكرا يا لوكا . ولكننا يجب أن نفعل ما نوّمر به . (لوكا تلوى قسمات وجهها) طاب مساوئك .

لوكا : (في غير احتفال) طاب مساوئك . (تخرج وهي تتهادى) .

(رانيا ، وقد تركت وحدها ، تخلع عباءة الفراء وتطرحها على الديوان العثماني ثم تذهب إلى الخزانة وتبتل للصورة الموضوعة عليها بمشاعر تستعصى على التعبير . هي لا تقبل الصورة ولا تضعها الى صدرها أو تظهر لها علامة من علامات المحبة الجسدية ولكنها تأخذها بين يديها وترفعها كما تفعل الكاهنة)

رانيا : (ترفع بصرها إلى الصورة) لا . لن أكون غير جديرة بك أبدا بعد الآن يا بطل روحي : أبدا ، أبدا . (تعيد الصورة إلى مكانها باجلال ، ثم تختار رواية من كوم الكتب الصغير وتقلب صفحاتها فيما يشبه الحلم وتقلب الكتاب ظهرا لبطن وتتنهد في سعادة ، ثم تأوى إلى الفراش وتعد نفسها للقراءة حتى النوم ، ولكنها ترفع عينيها

ثانية قبل أن تسلم نفسها لعالم القصة وتتم وهي
تفكر في الواقع الميمون (يا بطلى ! يا بطلسى !

(طلقة بعيدة تمزق سكون الليل. تدع رانيا ثم
تنصت . طلقتان أخريان ، أقرب كثيرا ، تتبعان
الطلقة الاولى ، وتفزعانها فتزل من الفراش وبسرعة
تطفئ الشمعة الموضوعة على الخزانة ، ثم تضع
اصبعيها في اذنيها وتجري إلى مائدة الزينة وتطفئ
الشمعة التي عليها ثم تهول - عائدة إلى الفراش
في الظلام الذي لا يبين منه سوى التماع الضوء
في الكرة المثقبة أمام صورة المسيح وضوء النجوم
الذي يرى من خلال الفتحتين بأعلى المصراعين .
يسمع صوت الطلقات من جديد . وابل مريع من
الاعيرة النارية يطلق من على بعد قريب جدا .
يختفى المصراعان ، وصدى الطلقات لا يزال يتردد ،
فقد فتحا من الخارج ، ولمدى لحظة يسطع مستطيل
من ضوء النجوم الجليدي وقد برز عليه شبح أسود
اللون لرجل . يغلق المصراعان على الفور وتسبح
الغرفة في الظلام من جديد ولكن الصمت يقطعه
الآن صوت أنفاس تلهث . يسمع صوت حكة ثم
ترى شعلة عود ثقاب في وسط الغرفة .)

رانيا : (تقعى على الفراش) من هناك ؟ (ينطفئ عود
الثقاب في الحال) من هناك ؟ من هذا ؟

صوت رجل : (خافت في الظلام ولكن في نبرة تهديد) صه . .
صه ! لا تصيحى والا اطلقت عليك الرصاص .

الزمنى الصمت ولن يصيبك سوء . (تسمع حركتها
وهي تغادر فراشها وتسير الى الباب) . حذار :
لا جدوى من محاولة الفرار .

رانيا : ولكن من ..

الصوت : (مندرا) تذكرى هذا : إذا رفعت صوتك
انطلق مسدسى . (بلهجة آمرة) . أضئى نورا
ودعنى أراك . سامعة ؟ (لحظة صمت أخرى
وظلام وهى تتراجع إلى الخزانة ذات الادراج ،
ثم تضيء شمعة . يتبدد الخفاء . هو رجل في حوالى
الخامسة والثلاثين ، حاله تدعو إلى الرثاء وقد
لطخه الوحل والدم والجليد . لم يبق من الزى
الازرق الذى يرتديه - وهو زى ضابط مدفعية
صربى - سوى أشلاء ممزقة يلمها حزامه وسير
قراب مسدسه وحالته الشعثاء الغبراء كل ما يسمح
ضوء الشمعة بتمييزه هو أنه ذو قامة وسط
وهيئة مبتدلة ، وعنق ومنكين قويين ورأس عنيد
المظهر أقرب إلى الاستدارة تغطيه خصلات من
الشعر قصيرة جعداء برونزية اللون ، وعينين
صافيتين سريعتين وحاجبين وفم لا عيب فيها ،
وانف يفتقر إلى الجمال بشكل لارجاء فيه ، كأنف
طفل صلب الرأى . هيئته عسكرية رشيقة وكله
نشاط وحيوية . متمالك لاعصابه رغم المأزق الذى
يدعو إلى اليأس : بل انه يجد في موقفه شيئا من
الطراقة ولو انه ليس على أقل استعداد للاستهانة
بعواقبه أو لإضاعة أى فرصة تسنح للخروج منه .

بعد أن يحصى في ذهنه ما استطاع ان يحده بشأن رانيا : عمرها ومركزها الاجتماعي وطبعها والى أى مدى استبد بها الخوف ، يستمر بلهجة أكثر تأدبا ولكن بأقصى درجة من التصميم (اعذرني إذا كنت قد ازعجتك ولكن هل تعرفت على ردائي العسكري ؟ أنا صربي إذا قبض على سيكون في ذلك حتفى . (مهدد) فهمت ؟

رانيا : نعم .

الرجل : وليس في عزمي ان اتركهم يقتلونني إذا استطعت أن اتفادى ذلك . (بحدة اكبر) مفهوم ؟ (يوصد الباب بسرعة ولكن في هدوء) .

رانيا : (باحتقار) لا أظن (تنصب قامتها بعظمة وتنظر اليه وهي تواجهه وتضيف بتوكيد قاطع) بعض الجنود ، فيما أعلم ، يهابون الموت .

الرجل : (ببشر كالح) كلهم ياسيدتي العزيزة - كلهم ، صدقيني . أن من واجبنا ان نعيش لاطول فترة نستطيعها . فإذا صدرت منك استغاثة . .

رانيا : (تقاطعه) ستطلق على النار . ومن ادراك اني أنا أهاب الموت ؟

الرجل : (بدهاء) ها . ولكن افترضى اننى لم اطلق عليك النار . ما الذى سيحدث ؟ حشد من فرسانكم سيقتحمون هذه الغرفة اللطيفة - غرفتك - ويدبحونني كما تدبح الخنازير . ولكنني سأحاربهم كشیطان : لا . لن اتركهم يسوقونني إلى الشارع .

ويتخذوا منى مادة للتسلية . فأنا أعرفهم . هل انت على استعداد لاستقبال مثل هذه الجماعة في ردائك الخفيف هذا ؟ (رانيا تتنبه فجأة إلى قميص نومها وتنكمش بحركة غريزية وتضم القميص حول عنقها . يراقبها ويضيف بلا هوادة) ليس هذا هنادا ما يصلح لاستقبال أحد . أليس كذلك ؟ (تتجه إلى الديوان العثماني . يرفع طبنجته على الفور ويصيح) مكانك ! (تتوقف) إلى أين تذهبين ؟

رانيا : (بصبر واعتداد) ما أردت الا أخذ عباقتى .

الرجل : (يهرع إلى الديوان العثماني ويخطف العباءة) فكرة لا بأس بها ، سأحتفظ انا بالعباءة وستحرصين أنت على ألا يدخل أحد ويراك بدونها . هذا سلاح أفضل من المسدس . ألسنت من هذا الرأى ؟ (يلقي بالطبنجة على الديوان العثماني) .

رانيا : (نائرة) ما هى سلاح لحتلمان !

الرجل : ان فيها الكفاية لرجل لا يقف بينه وبين الموت الا أنت . (بينما يترامقان لحظة ورانيا لا تكاد تصدق ان ضابطا ، حتى ولو كان صربيا ، يمكن ان يكون عديم النخوة الى هذه الدرجة الساخرة الانانية ، يجفلان لسماع طلقات مدوية تتناهى اليهما من الشارع ، رعدة الموت الوشيك تنخفض صوت الرجل وهو يضيف) سمعت ؟ إذا حرضت على أولئك الاوغاد فستقبلينهم بحالتك هذه .

(هرج ومرج . فريق المطاردين في الشارع يطرق

باب البيت صائحاً « افتحوا الباب ! افتحوا الباب !
استيقظوا ! » صوت خادم يصيح فيهم بغضب من
الداخل « هذا بيت الميجور (١) بتكوف : ليس
لكم ان تدخلوا هنا » ولكن الضجة تتجدد وتنهال
الضربات على الباب كالسيل وينتهي الامر بالخادم
الى انزال السلسلة محدثاً صليلاً . يعقب ذلك اندفاع
اقدام ثقيلة وجلبة صيحات ظافرة يهيم عليها في
النهاية صوت كاترين التي تخاطب ضابطاً بلهجة
استنكار « ما معنى هذا أيها السيد ؟ أتعرف أين
أنت ؟ » الضجة تخف فجأة .

لوكا : (في الخارج ، تفرع باب حجرة النوم) ؟ سيدتي !
سيدتي ! أنهضى بسرعة وافتحى الباب . ان لم تفعل
فسيحطمونه .

(الهارب يرفع رأسه بعنف ، في حركة رجل
يدرك ان نهايته قد حانت ، ويغير الطريقة التي كان
يستخدمها لتخويف رانيسا) .

الرجل : (بضيق وطمية) لافائدة يا عزيزتي : قضى الأمر
(يلقي اليها بالعباءة) أسرع ! غط نفسك : انهم
قادمون .

رانيسا : شكرا لك . (تلف نفسها في العباءة وقد داخلها
احساس عميق بالارتياح) .

الرجل : (بين اسنانه) لا شكر على واجب .

رانيسا : (باشفاق) ماذا أنت صانع ؟

(١) الرائد .

الرجل : (متجهما) سيعرف ذلك أول رجل يدخل . ابتعدى
عن الطريق ولا تنظري . لن يستغرق المشهد وقتا
طويلا ولكنه لن يكون مشهدا سارا . (يسحب سيفه
ويواجه الباب ويترقب) .

رائيا : (باندفاع) سأساعدك . سأنقذك .

الرجل : لن تستطيعي .

رائيا : أستطيع . سأخفيك . (تجر ناحية النافذة) هنا !
خلف الستائر

الرجل : (يذعن لها) هناك فرصة ضئيلة لا أكثر ، هذا إذا
احتفظت برباطة جأشك .

رائيا : (تسحب الستارة أمامه) صه . صه . (تتجه الى
الديوان العثماني)

الرجل : (يبرز رأسه) تذكرى

رائيا : (تجرى عائدة اليه) ماذا ؟

الرجل : . . تسعة جنود من كل عشرة يولدون أغبياء .

رائيا : تبا لك (تسحب الستارة بغضب أمامه) .

الرجل : (يطل من الجانب الآخر) إذا عثروا على فأعدك
بمعركة : معركة عنيفة !

(تضرب الأرض بقدمها تجاهه . يحنى في لمح البصر .
تخلع عيائها وتطرحها بالعرض على الفراش عند
موضع القدمين ثم تتظاهر بالنعاس والاضطراب
وتفتح الباب . تدخل لو كما لا تملك نفسها متن
الإثارة) .

لوكا : لقد رأى بعضهم واحدا من أولئك المصريين
الحيوانات يتسلق ماسورة المياه الى شرفتك ورجالنا
يريدون ان يبحثوا عنه . انهم في حالة لا توصف
من الضراوة والسكر والهياج . (تعبر الغرفة الى
الجانب الآخر لتبتعد بقدر الامكان عن الباب) .
تقول سيدتى ان عليك ان ترتدى ثيابك فورا وأن . .
(ترى المسدس على الديوان العثماني وتتوقف وقد
تجرت) . .

رانيا : (كالفائقة صدرا بهذا الازعاج) لن يبحثوا هنا .
لماذا سمح لهم بالدخول .

كاترين : (تدخل مهرولة) رانيا ، هل أنت بخير ؟ أرايت
أجدا او سمعت شيئا ؟

رانيا : سمعت الطلقات النارية . لا أحسب الجنود يجرؤون
على دخول هذه الغرفة .

كاترين : لقد وجدت - شكرا للسماء - ضابطا روسيا : انه
يعرف سيرجيوس . (تتحدث عبر الباب الى شخص
في الخارج) أيها السيد : تفضل الآن بالدخول .
ابنتي ستستقبلك .

(ضابط روسي شاب في رداء عسكري بلغاري
يدخل بسيفه في يده) .

الضابط : (بأدب ناعم ماكر وهيئة عسكرية جافة) طاب
مساؤك يا سيدتى الفاضلة . آسف لاقتحام غرفتك
ولكن هناك رجلا صربيا مختفيا في شرفتك . هل

تأذنين والسيدة المحترمة أمك بالانسحاب ريثما
نقوم بالتفتيش ؟

رانيا : (بتأفف) هراء يا سيدى : تستطيع ان ترى ان احدا
ليس في الشرفة . (تفتح المصراعين الى اقصى مداهما
وتقف وظهرها الى الستارة حيث يختفى الرجنل
وتشير الى الشرفة التي ينيرها ضوء القمر . يطلق
عياران ناربان تحت النافذة تماما . رصاصة تحطم
الزجاج المقابل لرانيا . رانيا تجفل وتلهث لكنها
لا تبرح مكانها بينما تصرخ كاترين ويندفع الضابط
صائحاً « نخل بالك » الى الشرفة) .

الضابط : (في الشرفة يصبح بشراسة الى أسفل حيث الشارع)
اوقفوا الضرب هناك أيها الاغبياء . هل تسمعون ؟
اوقفوا الضرب عليكم اللعنة ١ (يحد النظر الى أسفل
لحظة ثم يستدير الى رانيا محاولاً ان يستأنف طريقته
المهذبة) هل كان يمكن لأحد أن يدخل دون علمك ؟
هل كنت نائمة ؟

رانيا : لا : لم أكن قد أويت الى فراشى .

الضابط : (نافذ الصبر ، يعود الى الغرفة) رؤوس جيرانكم
محشوة بالصربيين الفارين الى درجة انهم يرونهم في
كل مكان . (بأدب) سيدتى الفاضلة . ألف معذرة
طاب مساؤك . (ينحني انحناءة عسكرية ترد عليها
رانيا ببرود ، ينحني مرة ثانية لكاترين التي تشيعه
الى الخارج) .

(رانيا تغلق المصراعين وتستدير وترى لوكا التي
كانت ترقب المشهد بفضول) .

رانيا : لا تتركي أمي ، يا لوكا ، حتى ينصرف الجنود .
(لوكا تلتقي بنظرة الى رانيا والى الديوان العثماني
والى الستارة ، ثم تزم شفيتها شأن من يكتم سرا
وتضحك بقحة وتخرج . رانيا ، في غاية من الاستياء
لهذا التصرف ، تتبعها الى الباب وتصفقه وهي
توصده خلفها وتقفله — بحركة عنيفة — بالقفل .
في الحال يخطو الرجل من وراء الستارة وهو يدخل
سيفه في غمده ثم يتقدم من رانيا بدمائة وهو يطرد
الخطر من ذهنه في عزم وحزم) .

الرجل : نجونا بأعجوبة . ولكننا نجونا وهذا هو المهم :
يا آنستي العزيزة : انا خادمك حتى الموت . وددت
من اجلك لو اني انضممت الى صفوف جيش بلغاريا
بدلا من الجيش الآخر . انا لست من أبناء الضرب :

رانيا : (بترفع) لابل أنت واحد من النمساويين الذين
حرضوا الصربيين على حرماننا من حرية وطننا
والذين يتولون قيادة جيشهم كضباط . نحن نبغضهم

الرجل : من النمساويين ؟ لست كذلك . لا تبغضيني أيتها
الآنسة العزيزة . أنا سويسري يحارب كجنسدي
محترف ليس الا . لقد انضممت الى الصربيين لانهم
كانوا اول من التقيت بهم على الطريق من سويسرا .
اني اناشد كرمك : لقد هزمتونا شر هزيمة .

رانيا : ألم أكن كريمة ؟

الرجل : كنت نبيلة وتصرفت كبطلة ! ولكنني لم انج بعد .
هذه التجربة بالذات ستمر سريعا ، ولكن المطاردة
ستستمر طوال الليل على فترات متقطعة . ان على ان
يجرب حظي واخرج من هنا في فترة من فترات
الهدوء . (بظرف) ارجو الا يكون لديك مانع في
ان أبقى دقيقة او دقيقتين على الأكثر .

رانيا : (بأرق لهجة تملكها كفتاة من فتيات الطبقة الراقية)
لا . ابدا . ألا تجلس ؟

الرجل : شكرا . (يجلس على الفراش عند موضع القدمين)
رانيا تسير برزانة محسوبة الى الديوان العثماني
وتجلس فتجئ جلستها لسوء الحظ على المسدس . تقفز
قائمة بصرخة . الرجل ، ينطلق كحصان مذعور الى
جانب الغرفة الآخر .

الرجل : (بعصبية) لا تقزعيني هكذا . ما الخبر ؟

رانيا : مسدسك ! لقد كان تحت بصر ذلك الضابط طول
الوقت . يا لها من فلتة !

الرجل : (مغیظا لانه أفرع بغير داع) أهذا كل ما في الأمر ؟

رانيا : (تطيل اليه النظر بما يشبه التكبر وقد أخذت فكريتها
عنه تسوء اكثر فأكثر كما أخذ توتر أعصابها يتخلل
عنها بنفس القدر شيئا فشيئا) آسفه إذا كنت قد
أفريتك . (تلتقط المسدس وتسلمه له) . خذ
من فضلك لتختمي به مني .

الرجل : (يبتسم في اعياء لشخريتها وهو يتناول المسدس) .

لا داعي يا آنستي العزيزة : انسه فارغ . (يعبس
للمسدس ويسقطه باستخفاف في قرابه) .

رانيا : احشه بالرصاص ان أردت .

الرجل : ليس عندي ذخيرة . ما جدوى الرصاص في المعركة
اننى أحمل معى بدلا منه شوكلاته وقد استنفدت
آخر قطعة منها منذ ساعات .

رانيا : (وقد صدمت في أعز مثل الرجولة لديها)
شوكلاته ! هل تحشو جيوبك - كالتلميذ - بالحلوى
حتى في ميدان القتال ؟

الرجل : (بابتسامة غريضة) نعم : أليس ذلك شيئا مزريا ؟
(بنهم) بودى لو وجدت بعضا منها الآن .

رانيا : اسمح لى . (تقلع مبتعدة في ازدياء نحو خزانة
الادراج وتعود وفي يدها علبة الحلوى) . يؤسفنى
اننى أتيت عليها ما عدا هذه . (تقدم اليه العلبة) .

الرجل : (يضرأوه) أنت ملاك ! (يلتهم محتويات العلبة)
فطائر بالكرامة ! ما أَلذها ! (ينظر بلهفة ليرى
ما إذا كان هناك غير هذا . لا يجد شيئا بكل
ما يستطيعه هو - أن يحك العلبة بانامله ثم يلحقها .
حين تنفذ البقايا يرضخ لما ليس منه مفر يبشر موثر
ويقول بامتنان) بارك الله فيك يا آنستي العزيزة !
ان في استطاعتك دائما أن تعرفي الجندى القديم من
محتويات قراب مسدسه وضبابي رصاصه . الجنود
الشيان يحملون مسدسات ورصاص . اما القدامى
فيحملون طعاما : شكرا لك . (يعيد اليها العلبة .

تختطفها منه باحتقار وتلقى بها بعيدا . يحفل ثانية كما لو كانت تهم بضربه) يا ساتر ! لا تتصرفي بهذه الفجائية يا آنسى الفاضلة . من الخسة ان تنتقمى لنفسك لاني اخفتك منذ برهة .

رانيا : (بشموخ) اخفتني ! أتعلم ايها السيد انى رغم كونى امرأة لا أظن انى أقل منك شجاعة ؟

الرجل : لا أظن . أنت لم تقض مثلى ثلاثة أيام في أتون المعركة ان في وسعى ان أصمد يومين دون أن أتأثر كثيرا . ولكن ما من رجل يستطيع ان يتحمل المعركة ثلاثة أيام : ان فرائصى ترتعد كفأر . (يجلس على الديوان العثماني ويأخذ رأسه بيديه .) هل تريدان ان ترى وانا أبكى ؟

رانيا : (منزعجة) لا .

الرجل : إذا كنت تريدان ذلك فما عليك الا ان توبخينى تماما كما لو كنت طفلا صغيرا وأنت مربيتى . ولو كنت الآن في المعسكر لحرب رفاقي في كل ألا عيهم .

رانيا : (وقد رق قلبها قليلا) لا تؤاخذنى . لن أوئبك : (تؤثر فيه نبرة العطف في صوتها فيرفع رأسه وينظر اليها بعرفان . تتقهقر في الحال وتهتف في جفاء) أرجوك أن تعذرني : فجنودنا ليسوا كذلك . (تبعد عن الديوان العثماني) .

الرجل : بل هم كذلك . هناك صنفان لا ثالث لهما من الجنود كبار السن والشبان . لقد مارست العسكرية أربعة عشر عاما . اما جنودكم فنصفهم لم يشموا رائحة

البارود من قبل . كيف اذن انتصرتم علينا منذ قليل؟
لمجرد الجهل بفن القتال لأكثر ولا أقل .
(بامتعاض) في حياتي لم أر شيئا يتنكب أصول المهنة
الى هذا الحد .

رائيا : (باستهزاء) هل كان الانتصار عليكم تنكبا
لأصول المهنة ؟

الرجل : وهل من أصول المهنة القاء فرقة من الفرسان على
موقع للمدافع الرشاشة مع ان الثابت المحقق ان
المدافع إذا انطلقت فلن تسمح لحصان او لرجل
بالاقتراب الى مسافة خمسين ياردة من خط اطلاق
النار ؟ اني حين رأيت ذلك لم أصدق عيني .

رائيا : (تواجهه بتلهف وكل حماسها وأحلام مجدها
وتعاودها في تدافع) هل رأيت هجوم الفرسان
العظيم ؟ أوه . حدثني عنه . صفه لي .

الرجل : هل وقعت عينك من قبل على هجوم للفرسان ؟

رائيا : وكيف يتسنى لي ذلك ؟

الرجل : جائز ان هذا لم يحدث لك . لا بل هذا أمر طبيعي :
الحقيقة انه منظر طريف . كما لو أخذت حفنة من
البازلاء وضربت بها زجاج نافذة . الحبة الاولى تصل
اولا ، تليها اثنتان او ثلاث بعدها مباشرة ثم البقية
دفعة واحدة .

رائيا : (عيناها تتسعان وهي ترفع يديها المشبوكتين في
نشوة) نعم . اولا ! اشجع الشجعان .

الرجل : (دون حماس) آه لو رأيت المسكين وهو يجذب حصانه .

رانيا : وما الذي يجعله يجذب حصانه .

الرجل : (متأففا من مثل هذا السؤال الغبي) لانه يفرُّ به طبعاً . هل تظنين ان صاحبنا يريد أن يسبق الآخرين حتى يقتل ؟ بعد ذلك يتقدم الباقيون جميعاً ، ان في استطاعتك ان تميزى صغار السن من هياجهم وتوثبهم . اما كبار السن فيتقدمون في مجموعة تحت الحارس رقم واحد : انهم يعلمون انهم ليسوا الا قذائف ، وانه لا جدوى من محاولة القتال . واكثر الجروح التي تحدث عبارة عن ركب مخطئة من تصادم الخيل بعضها ببعض .

رانيا : ولكنى لا اصدق ان الرجل الأول جبان . انا أعلم انه بطل !

الرجل : (ضاحكاً) هذا ما كان يجرى به لسانك لو أنك رأيت الرجل الأول في هجوم اليوم .

رانيا : (لاهثة وقد غفرت له كل شيء) كنت اعرف ذلك . خبرنى . حدثنى عنه .

الرجل : لقد فعلها كأنه مغن في الاوبرا . رجل نظامى وسيم ، عينان تهرقان وشارب بديع . يصبح صبيحة الحرب ويهجم كأنه دون ، كينخوته في انقضاضه على مراوح الخوارج . لقد ضحكنا كثيراً .

رانيا : وجروتم على الضحك ؟

الرجل : أجل . ولكننا حين تغير لون الجاويش فاصبح كلون
فرخ الورق الابيض وحين أخبرنا انهم قد ارسلوا
لنا ذخيرة خاطئة واننا لن نستطيع ان نطلق النار
للدقائق العشر التالية انقلب ضحكنا كربا . في حياتي
لم أشعر بمثل الغثيان الذي شعرت به حينذاك رغم
اني حضرت معركة او معركتين من أعنف المعارك .
لم يكن لدى حتى رصاصة مسدس واحدة :

الشوكلاته كانت كل ما معي . ولم يكن لدينا
حرية : لم يكن لدينا شيء . وكانت النتيجة بطبيعة
الحال انهم مزقونا شر ممزق . اما دون كيخوته فكان
مزهوا بنفسه كفارع الطبل ، يتوهم انه أظهر براعة
لم يسبق لها مثيل مع انه كان يجب ان يقدم للمحاكمة
العسكرية لما فعل . هذا الرجل ، من بين كل المجانين
الذين يطلقون في ساحة القتال ، هو قطعا اكثرهم
جنونا . ان ما فعله هو وفرقته هو الانتحار بعينه .
ولكن الرصاصة لم تنطلق . هذا كل ما هنا لك .

رانيا : (وقد جرحت في الصميم ولكن دون ان تتحول عن
ولائها لمثلها) حقا ! أيمكنك التعرف عليه لو رأيته ؟

الرجل : وهل أستطيع ان أنساه أبدا ؟

(تذهب مرة أخرى الى الخزنة ذات الادراج .
يرقبها ويحدوه أمل غامض في ان يكون لديها شيء
آخر يصلح للاكل . تنزع الصورة من اطارها
وتحضرها له) .

رانيا : هذه صورة السيد - الوطني والبطل - الذي هو خطيبي .

الرجل : (يصدم اذ يتعرف عليه) حقيقة اني آسف . (ينظر اليها) هل كان من العدل ان تتركيني أتحدث عنه هكذا ؟ (ينظر الى الصورة ثانية) نعم : انه هو هو دون كيخوته : ما في ذلك شك .
(يكم ضحكة) .

رانيا : (بسرعة) فيم ضحكك ؟

الرجل : (معتذرا ولكن الرغبة الشديدة في الضحك لا تفارقه) انا لم أضحك . اوكد لك . على الاقل انا لم أتعمد ذلك . ولكني حين أتخيل كيف كان يهاجم طواحين الهواء ويتصور انه قد أتى عملا رائعا . . (يكتنق بالضحك المكتوم) .

رانيا : (بصرامة) اعد الى الصورة أيها السيد .

الرجل : (بندم صادق) طبعاً . بالتأكيد . انا حقيقة في شدة الأسف . (يسلمها الصورة . تقبها متعمدة وتنظر اليه في وجهه نظرة مباشرة قبل ان تعود الى الخزالة ذات الادراج لتعيد الصورة الى مكانها . يتبعها معتذرا) . لعلني مخطئ فيما ذهبت اليه : بل لاريب في انني مخطئ . والارجح ان موضوع الرصاص قد نمي الى علمه بطريقة ما ، وانه كان يعرف ان مهمته مهمة مأمونة العواقب .

رانيا : معنى هذا انه كان دعيا وجباناً ! أنت لم تجرؤ على التلفظ بهذا من قبل .

الرجل : (بأشارة يأس مضحكة) لا فائدة يا آنسى العزيرة :

لن أفلح في جعلك تنظرين الى الموضوع من وجهة
نظر المهنة . (عندما يستدير ليعود الى الديوان العثماني
ينطلق عياران ناريان على بعد مندرين يتجدد المتاعب)

رانيا : (بصرامة وهي تراه يعير للطلقات سمعه) أحسن !

الرجل : (ملتفتا) نعم ؟

رانيا : انت عدوى ، وأنت تحت رحمتي . ماذا ينتظر مني
ان أفعل اذا كنت جنديا من أهل الحرفة ؟

الرجل : معك حق يا آنسى العزيرة : أنت دائما على حق : أنا

أعرف كم كنت طيبة معي وسأظل حتى آخر لحظة
من عمري اذكر فطائر كريمة الشوكلاته الثلاث . لم
يكن هذا منك تصرفا عسكريا بل كان تصرفا ملائكيا .

رانيا : (ببرود) أشكرك . اما الآن فسأصرف بطريقة

عسكرية . لن اسمح لك بالبقاء هنا بعد ان قلت منذ
لحظة ما قلت عن زوجي المقبل بل سأذهب الى الشرفة
وأرى ما اذا كان من المأمون ان تتسلق بنازلا الى
الشارع . (تستدير الى النافذة) .

الرجل : (يتغير تعبير وجهه) انزل على تلك الماشورة !

رويدك ! انتظري ! لا استطيع ! لا أجرو ! ان

مجرد التفكير في ذلك يجعلني اصاب بالدوار .

لقد استخدمتها في الصعود بسرعة كافية حين كان

الموت من ورائي . اما أن اواجهها الآن وانا في كامل

وعبي . . (يغوص في الديوان العثماني) . لا فائدة .

ألقيت السلاح . حلت بي الهزيمة . اطلقى صيحة

الاستغاثة . (يسقط رأسه على يديه وهو نهب لا عمق
حالات الشقاء) .

رانيا : (والشفقة تغلبها) هون عليك ولا تبتئس . (تنحني
عليه بعطف يقرب من عطف الامومة : يهز رأسه)
انت جندي حظه من العسكرية قليل جدا : جندي
من كريمة الشوكلاته ! هيا . أبشر ! ان ما يحتاج اليه
التزول الى الشارع من البسالة أقل مما تحتاج اليه مواجهة
الأسر : تذكر ذلك .

الرجل : (حالما وصوتها يهدده) لا : الأسر لا يعني سوى
الموت ، والموت هو النوم : نعم : النوم . النوم .
النوم . النوم الذي لا يعكسه شيء ! اما التزول بالماسورة
فيغني فعل شيء . . اجهاد نفس . . التفكير ! الموت
أهون عليّ من ذلك عشر مرات .

رانيا : (بصوت ناعم وفي عجب وقد انتقل اليها شعوره
بالاعياء) الى هذا الحد أنت نعلان ؟

الرجل : انا لم أتم ساعتين متصلتين منذ ان انضمت الى الجيش
الصربي . ولم يغمض لي جفن منذ ثمان واربعين ساعة .

رانيا : (فاقدة الصواب) ولكن كيف اتصرف معك ؟

الرجل : (ينهض مترنحا وقد اثر فيه بأسها) بالطبع . لا بد ان
أفعل شيئا . (يهز نفسه ويستجمع قواه ويتحدث
بقوة وشجاعة متجددين) سواء نمت او لم أتم ،
سواء كنت جائعا او غير جائع ، سواء كنت مجهدا
او غير مجهد ، فلا بد مما ليس منه بد . تلك الماسورة
لا بد ان استخدمها في التزول (يضرب صدره بيده)

سامع يا جندي كريمة الشوكلاته ؟ (يستدير تجاه
النافذة) .

رانيا : (بلهفة) ولكن اذا وقعت ؟

الرجل : سأنام كما لو كانت الحجارة فراشا من الزغب .
وداعا . (يسير الى النافذة باقدام . يضع يده على
المصراع واذا بدوى طلقات نارية تصم الاذان يسمع
في الشارع أسفل البيت) .

رانيا : (تندفع نحوه) قف ! (تمسكه في تهور وتجذبه
وتجعله يدور على عقبه) سيقتلونك . .

الرجل : (يبرود ولكن باهتمام) لا تبالي : هذا شيء يدخل
في اطار عملي اليومي . لا مناص لي من المحاولة .
(بتصميم) والآن افعل ما أقوله لك . اطفئي الشمعة
حتى لا يبصروا الضوء حين أفتح المضراعين . وابتعدى
عن النافذة مهما يكن ما تفعلين ، فانهم اذا لمحوني
لا محالة سيطلقون على النار . . .

رانيا : (تتشبث به) سيلمحونك بكل تأكيد فالليلة ليلة
قمرية مضيئة . سأنقذك . ويحك كيف يمكن ان يبلغ
بك الاستهتار هذا الحد ! ألا تريد ان أنقذك ؟

الرجل : أنا في الحقيقة لا أريد ازعاجك . (تهزه بصبر نافذ) .
أنا لست مستهترا يا آنستي العزيزة ، أوكد لك .
ولكن كيف يتأتى ذلك ؟

رانيا : تعال بعيدا عن النافذة : (تعيده بحزم الى منتصف
الغرفة في اللحظة التي تخلّي فيها سبيله يعود بحركة
آلية الى النافذة ، تمسكه وتجعله يستدير هاتفه) أرجوك !

(تشل حركته كأرنب منوم مغناطيسيا وقد أخذ منه
التعب كل مأخذ . تفك قبضتها عنه وتحاطبه بحذب) .
الآن استمع الى . يجب ان تثق في كرمنا . ألم تعرف
بعد في بيت من أنت ؟ انا من آل بتكوف .

الرجل : « بت » ماذا ؟

رانيا : (بما يشبه الامتعاض) اغنى أنى انتمى الى أسرة
بتكوف ، اغنى وأشهر أسرة في بلدنا .

الرجل : تماما . بالطبع . أرجو المصدرة . آل بتكوف طبعاً .
ما أغبانى !

رانيا : انت لم تسمع بهم حتى هذه اللحظة . كيف تنحدر
الى التظاهر بغير ذلك ؟

الرجل : سامحني : اجهادى يمنعني من التفكير . ثم ان تغيير
الموضوع كان فوق ما أطيق . لا تؤنبنني .

رانيا : نسيت . قد يحملك تأنيبي على البكاء . (يومى برأسه
في جدية تامة . تعبس ثم تستأنف لهجة الحذب) يجب
ان أخبرك ان أبى يحمل أعلى رتبة لاي بلغارى في
جيشنا . هو (يفخر) ميجور .

الرجل : (يتظاهر بالعجب العميق) ميجور ! يا للعجب !
ما كنت اتصور !

رانيا : لقد أظهرت جهلاً كبيراً حين ظننت انه كان من
الضرورى ان تتسلق الى الشرفة فان بيتنا هو البيت
السيكى الوحيد الذى له صفان من النوافذ وهناك
سلم داخلى يستخدم للصعود والتزول .

الرجل : سلم ! شيء عظيم . أنتم في الحق تعيشون في غاية من
البحبوحة يا آنسى العزيزة .

رانيا : هل تعرف ما هي المكتبة ؟

الرجل : مكتبة ؟ غرفة ملأى بالكتب ؟

رانيا : أجل . لدينا مكتبة وهي المكتبة الوحيدة في بلغاريا .

الرجل : مكتبة بحق وحقيق ؟ بودى لو أرى ذلك .

رانيا : (بتكلف) أنا أقول لك هذه الأشياء لاثبت لك انك

لست في بيت ناس جهلاء من الأرياف ما أن يروا
رداءك الصربي الا ويقتلونك ، بل بين قوم متحضرين
نحن نذهب الى بوخارست كل عام لموسم الاوبرا
وقد أقمت أنا شهرا كلاملا في فيينا .

الرجل : لقد لمست ذلك يا آنسى العزيزة . رأيت على الفور
انك من علية القوم .

رانيا : عمرك رأيت اوبرا « ارناى » ؟

الرجل : هل هي الأوبرا التى يرتدى الشيطان فيها قطيفة
حمراء والتى فيها « كورس » من الجنود ؟

رانيا : (بازدراء) لا !

الرجل : (يكم زفرة اعياء عميقة) إذن فأنا لا أعرفها .

رانيا : كنت احسب انك قد تذكر المشهد العظيم الذى يلجأ

فيه ارناى ، في فراره من خصمه شأنك الليلة ، الى
حصن عدوه اللدود وهو نبيل قشتالى . ويرفض
النبيل ان يسلمه فان الضيف عنده مقدس .

الرجل : (يفتق نوعا ، بسرعة) وأهلك . هل يؤمنون بهذا الكلام ؟

رانيا : (باعتزاز) أمى وأنا نستطيع ان نفهم هذا الكلام كما تسميه . وإذا كنت ، بدلا من تهديدى بمسدسك كما فعلت ، قد لذت بكرمنا كجندى هارب لأمنت على نفسك امانك في بيت أهلك .

الرجل : أواثقة انت كل الثقة ؟

رانيا : (تدبر اليه ظهرها بتذمر) من العبث ان احاول افهامك .

الرجل : لا تغضبى : انت تدركين مدى الورطة التى يمكن ان اقع فيها لوحدث أى خطأ في هذا الصدد . ان أبى رجل مضياف للغاية وهو يملك ستة فنادق . ولكنى لا استطيع ان اثق فيه الى هذا الحد ، فما بالك بأهلك ؟

رانيا : انه في سليفنتر يحارب من أجل بلده . انا أضمن لك الامان وهذه يدى توثيقا لذلك . هل يطمئنك هذا ؟ (تمد له يدها) .

الرجل : (ينظر في شك الى يده) من المستحسن الا تمس يدى يا آنسى العزيزة فلا بد لى اولا من الاغتسال .

رانيا : (متأثرة) هذا جميل منك جدا . واضح انك جنتلمان

الرجل : (متحيرا) ماذا ؟

رانيا : لا تتصور اننى مندهشة . البلغاريون من ابناء الطبقة الراقية حقا — أى الناس الذين لهم مثل مركزنا —

يغسلون أيديهم كل يوم تقريبا . وهكذا ترى اني
اقدر رقة شعورك . تستطيع ان تأخذ يدى .
(تمدها ثانية) .

الرجل : (يقبل يدها ويداه خلف ظهره) شكرا يا آنسى
الفاضلة : أخيرا شعرت بالامان . والآن هل
تفضلين بابلاغ والدتك بالموضوع ؟ من الافضل لى
الا أبقي مستخفيا هنا أكثر من الواجب .

رانيا : إذا تفضلت بالترام السكون التام خلال غيابى .

الرجل : بالتأكيد . (يجلس على الديوان العثماني) .

(رانيا تمضى الى الفراش وتتلفع بالعباءة المصنوعة
من الفراء . عيناه تغمضان . تسير الى الباب . تلتفت
لتلقى عليه نظرة أخيرة فترى انه راح في اغفائة) .

رانيا : (لدى الباب) ماذا . هل غلبك النعاس ؟ (يتمم
بكلمات غير مفهومة) تجرى اليه وتهزه (أسمعنى ؟
اصح : لا تستسلم للنوم .

الرجل : استس للنو . . ؟ لا . لا . ابدا : كنت فقط أفكر .
كل شيء على ما يرام . انا مستيقظ تماما .

رانيا : (بصرامة) تكرم بالوقوف حتى أعود . (ينهض
كارها) . بالوقوف طول الوقت .

الرجل : (يقف مترنحا) مؤكد . مؤكد : اعتمدى على
في ذلك .

(رانيا تنظر اليه في شك . يتسم ابتسامة واهنة .

تنصرف كارهة . تستدير ثانية لدى الباب وتكاد
تضبطه وهو يتثائب . تخرج) .

الرجل : (غير متمالك نفسه من النعاس) النوم ، النوم ،
النوم ، النوم . . (الكلمات تتلاشى في غمغمة .
يستيقظ ثانية بصدمة وهو يوشك على السقوط) .
أين أنا ؟ هذا ما أريد معرفته : أين أنا ؟ لابد ان
أظل صاحيا . لا شيء يبقيني صاحيا الا الخطر :
تذكر هذا : (بتركيز) الخطر الخطر الخطر ،
الخطر . . (تتلاشى الكلمات من جديد : صدمة
أخرى) أين الخطر ؟ لابد ان أجده . (يبدأ في
التحويم بصورة غامضة حول الغرفة بحثا عنه) . عم
ترانى ابحث ؟ النوم . . الخطر . . لا ادرى .
(يصطدم بالفراش ويتعثر) . آه . نعم : الآن
عرفت . كل شيء على ما يرام الآن . يجب ان
آوى الى الفراش ولكن لا لأنام . تأكد من عدم
النوم ، بسبب الخطر ، ولا لأرقد . فقط لا جلس .
(يجلس على الفراش . يغشى وجهه تعبير من يشعر
بنعيم غامر) .

الله ! (بتهيدة سعيدة يغوص الى الورااء بطوله .
يرفع حذاءيه الى الفراش بمجهود أخير ويستغرق في
النوم على الفور) .

تدخل كاترين ، تتبعها رانيا .

- رانيا : (تنظر الى الديوان العثماني) راح ! لقد تركته هنا .
- كاترين : هنا ! لابد انه تساق نازلا من ال . .
- رانيا : (تلمحه) ويلك ! (تشير اليه)
- كاترين : (باستهجان) الله الله ! (تخطو الى الفراش ورانيا في اثرها حتى تقف قبالتها في الجانب الآخر) .
- في سابع نومة . الحيوان !
- رانيا : (بلهفة) صه !
- كاترين : (تهزه) ياسيد ! (تهزه ثانية بحركة أعنف)
- ياسيد ! ! (بقوة وتهزه بمنتهى العنف) أنت ياسيد !
- رانيا : (تمسك ذراعها) لا يا أمي : ميت من التعب ياروحى مسكين . خليه نائما .
- كاترين : (تتركه وتلتفت الى رانيا في استغراب) ياروحى . مسكين . رانيا ! ! ! (تنظر الى ابنتها في تجهم) .
- الرجل مستغرق في سبات عميق .

الفصل الثاني

(السادس من مارس ١٨٨٦ . في حديقة بيت بتكوف . صباح يوم ربيعي جميل : الحديقة تبدو ناضرة بهية . تستطيع العين ان تميز خلف السياج قمتي مئذنتين اشارة إلى وجود واد هناك تقع فيه المدينة الصغيرة . وأبعد من ذلك بأميال قليلة ترتفع جبال البلقان وتسد المنظر الطبيعي . إذا نظر الناظر إلى هذه الجبال من داخل الحديقة ظهر جانب البيت إلى اليسار وفيه باب حديقة توصل اليه مجموعة من الدرجات . وإلى اليمين يحتل فناء الاسطبل بممر بوابته جزءا من الحديقة . هناك شجيرات فاكهة على طول السياج والبيت نشر عليها غسيل ليجف . يمر يمتد بجوار البيت ويرتفع درجتين عند الركن حيث ينعطف ويمتد عن الانظار . في الوسط مائدة صغيرة وحولها كرسيان من الخشب المثني معدة للافطار . على العائدة اثناء للقهوة التركية وفناجين وارغفة الخ . ولكن الفناجين استديخت والخبز كسر . دكة خشبية من دكك الحدائق لصق الحائط إلى اليمين .

لوكا واقفة — وهي تدخن سيجارة — بين المائدة والبيت وتولي ظهرها بازدراء غاضب لخدام

يلقى عليها محاضرة . هو رجل متوسط العمر هادئ الطبع . أفكاره غثة ولكنه حاد الذكاء نير البصيرة . راض عن نفسه كخادم يقدر ذاته وفقا لمقامه في سلك الخدم . ثابت الجنان شأن الحاسب الدقيق الذى لا يتعلق بالالوهام . وهو يرتدى زيا بلغاريا أبيض يتكون من سترة موشاة الحواف وحزام وبنطلون قصير واسع مجموع عند الركبة وغطاء ساقين مزر كش . رأسه مخلوق حتى أعلى الجمجمة وهو ما يجعل له جبهة يابانية عالية . اسمه نيقولا (

نيقولا : انى احذرك يالوكا قبل فوات الأوان . حسنى أخلاقك . أنا أعرف سيدتنا . شعورها بالعظمة يجعلها لا تتصور ابدا ان خادما من الخدم يجرؤ على عدم احترامها الاحترام الكافى . وإذا شكت لحظة واحدة في انك تتحديتها فلن يطول بك المقام في هذا البيت .

لوكا : انا اتحداها الآن وسأتحداها في المستقبل . هى لا تهمنى .

نيقولا : إذا تشاجرت مع الاسرة فلن استطيع أن أتزوجك . تماما كما لو تشاجرت معى !

لوكا : انت تنحاز اليها ضدى .

نيقولا : (برصانة) سأكون دائما في حاجة إلى عطف هذه الاسرة . وحين اترك خدمتهم واتخذ لنفسى حانوتا في صوفيا فان رعايتهم ستكون نصف رأسمالى ، ولو ذكرونى بكلمة سوء فسيكون في ذلك خرابى .

لوكا : انت انسان مجرد من الشجاعة . آه لو ضبطتهم أنا وهم يقولون ضدى كلمة واحدة .

نقولوا : (برثاء) كنت أتوقع أن تكونى أعقل مذ هذا يالوكا . ولكنك صغيرة السن : انت صغيرة السن .

لوكا : أجل ، وأنت تفضل أن أكون كذلك . ولكنى بالرغم من صغر سنى أعرف من أسرارهم العائلية ما يحرصون على اخفائه . فليتشاجروا معى إذا جرءوا !

نقولوا : (بتعال عطوف) اتعرفين ماذا سيكون منهم إذا سمعوك تتحدثين على هذا النحو ؟

لوكا : ماذا ييدهم ان يصنعوا ؟

نقولوا : يفصلونك بتهمة اختلاق الاكاذيب . من ذا الذى يصدق بعد ذلك أى قصص تقصينها ؟ ومن ذا الذى يعرض عليك مركزا آخر ؟ من ذا الذى يجرؤ فى هذا البيت على أن يرى بعدها وهو يتحدث اليك ؟ ولكم من الزمن يترك ابوك فى مزرعته الصغيرة ؟ (تلقى عقب سيجارتها بحركة عصبية وتطؤه بقدمها) . ايتها الطفلة : انت لا تعرفين ما لمثل هؤلاء الكبراء من سلطان على أمثالك وأمثالى متى حاولنا أن ننهض من فقرنا فى وجههم . (يقترب منها ويخفض صوته) . انظرى إلى . عشر سنوات أنا فى خدمتهم . هل تظنين انى لا أعرف اسراراً . انى اعرف عن سيدتى أشياء تحرص على عدم ابلاغ

سیدی بها ولو كان الثمن ألف ليفا (١) واعرف
عن سیدی أشياء إذا أفشيتها لسيدتي فستظل ترددها
على مسمعه ستة أشهر . وأعرف أشياء عن رانيا
تعرض خطبتها إلى سيرجيوس للفسخ إذا . .

لوكا : (تلتفت إليه بسرعة) كيف عرفت ؟ أنا لم أخبرك
ابدا !

نيقولا : (يفتح عينيه بدهاء) هذا اذن هو سر الصغیر ،
اليس كذلك ؟ كنت اتوقع ان يكون شيئا من هذا
القبيل . على أي حال اسمعي كلامي وأظهري
لها الاحترام . اجعلي سيدتنا تشعر انه مهما كان
من أمر ما تعلمين أولا تعلمين فان في وسعها ان
تطمئن لكونك ستمسكين لسانك وستخدمين الاسرة
باخلاص . هذا هو الشيء الذي يحبونه وهذا هو
أقصر طريق لكسب رضاهم .

لوكا : (باحتقار شديد) لقد خلقت يا نيقولا بنفسية خادم .

نيقولا : (قرير العين) نعم : هذا هو سر النجاح في الخدمة .
(يسمع صوت دقات عالية بمقبض سوط على باب
خشبي من ناحية فناء الاسطبل) .

صوت رجالي

في الخارج : انت يا هذا . انت يا هذا ! نيقولا !

لوكا : السيد ! لقد عاد من الحرب !

نيقولا : (على عجل) خذها كلمة مني يا لوكا ، لقد انتهت

(١) العملة البلغارية .

الحرب . اذهبي وهاتي قهوة ساخنة . (يعدو الى فناء الاسطبل) .

لوكا : (وهي تجمع اناء القهوة والفناجين على الصينية وتحملها الى داخل البيت) لن تغرس فيّ أبدا طبع خادمة .

(يأتي الميجور بتكوف من فناء الاسطبل وفي اثره يقولوا . وهو رجل بشوش ، سهل الاثارة ، تافه ، ذو غلظة ، في حوالى الخمسين ، غير طموح بطبعه الا فيما يتعلق بدخله ومكانته في المجتمع المحلي ، ولكنه الآن جد سعيد بالرتبة العسكرية التي اضيفتها عليه الحرب كرجل ذى حيثة في بلده . وقد شدته خلال الحرب حمى الوطنية الباسلة التي اثارها العدوان الصربي ، ولكن من الواضح انه سعيد بالعودة الى بيته .

بتكوف : (يشير الى المائدة بسوط) هل تناول احد افطاره هنا ؟

يقولوا : أجل يا سيدى . سيدتى ومس رانيا . وقد دخلتا منذ لحظة .

بتكوف : (يجلس ويأخذ رغيفا) اذهب وقل انى حضرت وائتنى بقهوة ساخنة .

يقولوا : القهوة في الطريق يا سيدى . (يذهب الى باب البيت .
تقابله لوكا التي احضرت على صينيتها قهوة ساخنة وفنجانا نظيفا وزجاجة براندى) . هل أخبرت السيدة ؟

لوكا : نعم : انها آتية
(يقولا يدخل البيت . لوكا تحضر القهوة الى المائدة.)

بتكوف : خبرني : ألم يخطفك الصربيون ؟

لوكا : كلا يا سيدى .

بتكوف : مفهوم . هل أحضرت لى بعض الكونياك ؟

لوكا : (تضع الزجاجاة على المائدة) هاهو ذا ياسيدى .

بتكوف : مفهوم . (يصب بعض الكونياك في القهوة)

(كاترين ، التى لم تعتن بزيتها في هذه الساعة المبكرة عناية دقيقة والتي ترتدى مريلة بلغارية فوق ثوب كان في وقت من الاوقات رائع الاناقة ولكنه الآن نصف بال ، وتعقد فوق شعرها الكشيف الاسود منديلا ملونا ، تأتى من البيت وفي قدميها العاريتين ! صندل تركى وتبدو ، رغم كل شيء ، على قدر مدهش من الجمال . لوكا تدخل البيت .)

كاترين : بول أيها العزيز : أى مفاجأة لنا ! (تنحنى فوق ظهر الكرسي الذى يجلس عليه لتقبله) . هل أحضروا لك قهوة ساخنة ؟

بتكوف : نعم : لوكا تولت خدمتي . لقد انتهت الحرب . وقعت المعاهدة منذ ثلاثة أيام في بونخارست ، وقد صدر أمس مرسوم تسريح جيشنا .

كاترين : (تهب واقفة وعيناها تلتمعان) بول : هل سمحتم للنمسيين باجباركم على المهادنة ؟

بتكوف : (باذعان) يا حبيبتى : انهم لم يستشيروني . ماذا كان

بيدى ان افعل ؟ (تجلس وتعرض عنه) ولكننا
بالطبع حرصنا على ان تكون المعاهدة مشرفة . انها
تعلن السلام . .

كاترين : (في غضب عارم) السلام !

بتكوف : (يطيب خاطرهما) . . ليس العلاقات الودية : تذكرى
ذلك . لقد ارادوا ان ينصوا عليها في المعاهدة ولكننى
اصررت على حذفها . ماذا كان في وسعى ان افعل
أكثر من ذلك ؟

كاترين : كان يمكنك ضم الصرب وتنصيب الامير امكندر
امبراطورا على البلقان . هذا ما كنت افعله لو اننى
كنت مكانك .

بتكوف : ليس عندى أقل شك في ذلك يا حبيبتي . ولكن ذلك
كان يقتضىنى ان اخضع الامبراطورية التمسوية كلها
أولا ، وكان من شأن ذلك ان ييقينى بعيدا عنك وقتا
طويلا . لقد اوحشتنى كثيرا .

كاترين : (تخفف من غلوائها) حقا ! (تمد يدها بمحبة عبر
المائدة لتضغط على يده) .

بتكوف : وكيف كان حالك يا حبيبتي ؟

كاترين : احتقان حلقى المعتاد ولا شيء غيره .

بتكوف : (باقتناع) هذا لانك تغسلين رقبتك يوميا . كم
مرة قلت لك ذلك .

كاترين : هراء يا بول !

بتكوف : (من فوق فنجان القهوة) انا لست ممن يجذون الأخذ

بهذه العادات الحديثة على نطاق واسع . كل هذا
 الاغتسال لا يمكن ان يفيد الصحة : انه مخالف
 للطبيعة . لقد عرفت في مدينة فيليبوبوليس رجلا
 انجليزيا اعتاد ان يبل نفسه بالماء البارد من رأسه الى
 قدميه كل صباح حين يستيقظ . شئ مقرف ! كله
 من الانجليز : جوهم يجعلهم قديرين الى درجة تحتم
 عليهم الاغتسال بصفة مستديمة . انظري الى أبي !
 انه لم يأخذ في حياته حماما ، وقد عاش حتى بلغ
 الثمانية والتسعين ولم يكن في بلغاريا من هو اوفر منه
 صحة . لا بأس عندي بأخذ حمام كل اسبوع
 لاحتفظ بمركزي . اما الاستحمام يوميا فهو تطرف
 يصل الى حد السخرية .

كاترين : انت يابول همجي في قرارة نفسك . ارجو الا تكون
 قد خرجت على قواعد السلوك امام كل اولئك الضباط
 الروس .

بتكوف : بذلت ما في وسعي . وقد عنيت باحاطتهم ان
 عندنا مكتبة .

كاترين : ولكنك لم تنبهرهم ان عندنا فيها جرسا كهربيا ؟
 لقد كلفت من ركب فيها مثل هذا الجرس .

بتكوف : ما هو الجرس الكهربى .

كاترين : تضغط على زر : فيرن شئ ما في المطبخ ، ثم
 يحضر نيقولا .

بتكوف : ولماذا لا تناديه بالصياح ؟

كاترين : الناس المتمدنون لا ينادون على خدمهم ابدا . لقد تعلمت هذا في غيابك .

بتكوف : مادام الأمر كذلك فسأخبرك بشيء تعلمته أنا أيضا .
الناس المتمدنون لا يعلقون غسيلهم ليجف حيث يستطيع الزوار رؤيته . لذا يجدر بك أن تأمرى بان يوضع كل هذا (يشير إلى الملابس المنشورة على الشجيرات) في مكان آخر .

كاترين : هذا سخف يابول : لا أظن حقيقة أن الناس المهديين يلحظون مثل هذه الاشياء .

سيرجيوس : (يطرق بوابة الاسطبل) افتح البوابة يا نيقولا !

بتكوف : هذا سيرجيوس (صائحا) نيقولا !

كاترين : لا . لا تصح يابول : حقيقة هذا شيء غير لائق .

بتكوف : دعك من هذا الكلام ! (يصيح أعلى من ذى قبل)
نيقولا !

نيقولا : (يظهر لدى باب البيت) نعم سيدى .

بتكوف : هل اصابك الصمم ؟ ألم تسمع الميجور سارانونوف وهو يطرق البوابة ؟ أحضره إلى هنا . (ينطق الاسم ضاغطا على المقطع الثانى : ساراهنوف .

نيقولا : أمرك ، سيدى الميجور . (يذهب إلى فناء الاسطبل) .

بتكوف : يجب ان تحدثه يا عزيزتى ، الى أن تريحنا منه رانيا .
لقد أثقل على كثيرا لاننا لم نقم باللازم لترقيته
قبلى «

كاتسرين : قطعاً يجب أن يرقى حين يتزوج رانيا . ثم ان البلد لا بد ان يصير على أن يكون له على الاقل جنرال — من أهله .

بتكوف : أجل . لكى تضيع بسببه لواءات كاملة بدلا من فرق . لا فائدة يا عزيزتى : ليست امامه أقل فرصة للترقية حتى نتأكد تماما من أن السلام سيكون سلاما دائما .

نيقولا : (لدى البوابة ، معلنا) الميجور سيرجيوس سارانوف ! (يذهب إلى البيت ويعود حالا بكرسى ثالث يضعه أمام المائدة ثم ينسحب) .

(الميجور سيرجيوس سارانوف أصل الصورة الموجودة في غرفة رانيا رجل طويل القامة وسيم وسامة رومانيته ، يشبه في بسالته البدنية وروحه العالية وخياله الحساس رئيس قبيلة جبلية غير مروض . ولكن تميزه الشخصى الملفت للنظر هو في المقام الاول تميز رجل من النوع المتحضر . أعلى حاجبيه وهو ينحنى في التواءة تساؤلية حول نتوء الاركان الخارجية ، وعينه التى لا يغيب عن مجال لحظها شئ ، واثقه الرفيع الحاد الوجل رغم القصبة العالية الشكسة والمنخر العريض ، وذقنه الحازمة ، كل هذه السمات لن تكون دخيلة على أى صالون باريسى وهو ما يوحى بان الهمجى البارع والواسع الخيال قد اوتى موهبة نقدية ثاقبة قذف

بها وحوّل الحضارة الغربية إلى البلقان في نشاط
كثيف ، وكانت النتيجة مشابهة تماما لتلك التي
أحدثها مجيء فكر القرن التاسع عشر إلى إنجلترا
في بادئ الأمر : أي البيرونية (١) . ان تأملاته في
الفشل الأزلي ، ليس فقط فشل الآخرين ، بل
فشله هو ، في أن يحيا حياة تتفق مع مبادئه ،
واحتقاره الساخر للإنسانية الذي نجم عن ذلك ،
وايمانه الصبياني بصحة نظرياته صحة لا تحدها
حدود وبأن العالم لا يساوى شيئا لانه يتجاهلها ،
واكتساباته وسخرياته تحت لدغ ما تحمله كل ساعة
يقضيها بين الناس لملاحظته الحساسة من خيبة لآماله
الصغيرة — كل هذا اكسبه مظهرا نصفه تراجيدي
ونصفه ساخر وفكرا غامضا وما يشبه القصة الغربية
الفضيعة التي لم يبق منها سوى الندم الذي لا يموت
والتي سحر بها « تشايلد هارولد (٢) جدات
معاصريه الانجليز . ومن الواضح ان البطل الذي هو
مثل رانيا الاعلى ان لم يتجسد فيه فلن يتجسد في
انسان . وكاترين لا تكاد تقل عن ابنتها حماسا له
بل هي اقل منها تحفظا في اظهار حماسها . حين
يدخل سيرجيوس من بوابة الاسطبل تنهض كاترين
لتحييه بحرارة . اما بتكوف فظاهر انه اقل منها
استعدادا لتحويل شأنه .

(١) نسبة إلى اللورد بيرون الشاعر الانجليزي .

(٢) ملحمة شعرية مشهورة للورد بايرون .

بتكوف : جئت ، بهذه السرعة ياسيرجيوس ! مسرور برويتك .

كاترين : أهلا بسير جيوس العزيز ! (تمدد كلتا يديها) .

سيرجيوس : (يتقبلهما بفروسية لا ينقصها شيء) أهلا بأمي العزيزة ، إذا كان لي أن أناديك هكذا .

بتكوف : (يحفاف) حماتك ياسيرجيوس . حماتك ! . اجلس وتفضل قهوة .

سيرجيوس : شكرا : اعفني . (يتبعد عن المائدة بشيء من الاشمئزاز للمتعة التي يجدها فيها بتكوف ويقف شاعرا بأهميته ومستندا إلى حاجز الدرج الذي يقود إلى البيت) .

كاترين : انك تبدو رائعا . لقد نفعتك الحملة ياسيرجيوس . كل من هنا مجنون بك . لقد طرنا من الحماس لذلك الهجوم العظيم الذي قام به سلاح الفرسان .

سيرجيوس : (بسخرية رصينة) سيدتي : لقد كان ذلك الهجوم مهد شهرتي الحربية وقبرها معا .

كاترين : وكيف ذلك ؟

سيرجيوس : لقد كسبت المعركة بالطريقة الخاطئة في الوقت الذي كان قادتنا الروس المبجلون يخسرونها بالطريقة الصائبة . وباختصار فقد قلبت خططهم وجرححت احترامهم لذاتهم . لقد قاد ضابطان برتبة كولونيل (١) فرقتهما إلى الهزيمة طبقا لاسلم مبادئ الحرب .

(١) عقيد .

العلمية . وقتل ضابطان برتبة ميجور — جنرال
(١) وفقا للاصول العسكرية الدقيقة . وقد رقي
الضابطان الاولان إلى رتبة الميجور — جنرال
أما أنا فلا زلت « ميجور » بسيطا .

كاترين : لن تظل كذلك ياسيرجيوس فالنساء في صفك
وسيقمن بالواجب لكي يأخذ العدل مجراه فيما
يتعلق بك .

سيرجيوس : ضاعت الفرصة . لقد انتظرت ان يحل السلام لا قدم
استقالتى .

بتكوف : (يسقط فنجاناه في دهشة) استقالتك !

كاترين : يجب أن تسحبها !

سيرجيوس : (بتوكيد وفي اصرار موزون ، وهو يشبك ذراعيه)
أنا لا اتقهقر ابدا !

بتكوف : (غاضبا) من كان يظن انك ستقدم على مثل هذه
الخطوة ؟

سيرجيوس : (متأججا) كل من يعرفنى . ولكن كفانا حديثا عنى
وعن احوالى . كيف حال رانيا ؟ أين رانيا ؟

رانيا : (تظهر فجأة حول ركن البيت وتقف على قمة الدرج
في الممر) رانيا هنا .

(تظهر في صورة فاتنة اذ يستديرون لينظروا
اليها . وهى ترتدى قميص نوم من الحرير الاخضر
الفاتح وفوقه روب من الكانفاه البيج مطرز بالذهب ،

وعلى رأسها كالتاج قلنسوة شرقية لطيفة من الحيوط
الذهبية اللماعة . سيرجيوس يتقدم بحركة تلقائية
للقائها . تتخذ هيئة ملكية وتمد يدها : يخر راکها
بفروسيته على احدى ركبتيه ويقبل اليد الممتدة . (
بتكوف : (جانبا الى كاترين ووجهه يشرق باعتزاز الاب)
ما أبهاها . أليس كذلك ؟ إنها تظهر دائما في اللحظة
المناسبة .

كاترين : إنها عادة مدمومة (سيرجيوس يقود رانيسا
الى الامام بحركة نبل رائعة . حين يصلان الى المائدة
تستدير اليه بايماءة من رأسها : ينحنى ثم انفصالان .
يعود الى مكانه وتسير هي وتقف خلف كرسى
أبيها .)

رانيسا : (تنحنى وتقبل أبها) يا أبي الحبيب ! مرحبا بك في
البيت !

بتكوف : (يربت على خدها) ايتها الصغيرة الوديعه .
(يقبلها . تذهب الى الكرسي الذي تركه نيقولا
لسيرجيوس وتجلس) .

كاترين : اذن فأنت لم تعد جنديا يا سيرجيوس .

سيرجيوس : فعلا . لم أعد جنديا . الجندي يا سيدتي العزيزة هي
فن الجبان الذي يجب بمقتضاه الهجوم بلا رحمة
حين تكونين قوية والبقاء بعيدا عن طريق الخطر حين
تكونين ضعيفة . هذا هو سر القتال الناجح من الفه
الى يائه . ان نتصدى للعدو حين يكون ميزان القوى
ضده وان نتحاشى دائما ، وبأى ثمن ، قتاله بقوة
متكافئة .

بتكوف : هم لن يتركونا نقاتل قتالا عادلا شريفا . ومع ذلك
فالعسكرية — فيما افترض — لابد أن تكون تجارة
كأى تجارة أخرى .

سيرجيوس : بالضبط . ولكنى لا اتطلع الى التفوق كتاجر . لذا
فقد عملت بنصيحة ذلك الكابتن (١) الذى يشبه
التاجر المتنقل والذى أجرى معنا عملية تبادل الاسرى
في « بيرت » وهجرت العسكرية .

بتكوف : ماذا ؟ ذلك السويسرى ؟ سيرجيوس : لقد فكرت
كثيرا في عملية التبادل المذكورة منذ ذلك الوقت .
لقد غلبنا في صفقة الخيل اياها .

سيرجيوس : طبعا غلبنا . لقد كان والده صاحب فنادق واسطبل
لتأجير الحياض والعربات . والذى جعله يوفق في خطوته
الاولى هو معرفته بتجارة الخيل (بحماس مصطنع)
لقد كان جنديا : جنديا في كل بوصة منه ! لو اننى
اشتريت خيلا لفرقتى بدلا من قيادتها بطيش الى
مواطن الخطر ، لكنت الآن فيلدمارشال (٢)

كاتريسن : سويسرى ؟ ماذا كان يفعل في الجيش الصربى ؟

بتكوف : متطوع بطبيعة الحال : حريص على اصول المهنة .
(يضحك بهدوء) ما كان يمكننا ان نبدأ القتال اذا
لم يعلمنا هؤلاء الاجانب كيف نقاتل : كنا لانعرف

(١) نقيب .

(٢) مشير .

ألفه من بائه وكذلك كان حال الصربيين . لقد كانت
الحرب مستحيلة بدونهم !

رانيا : هل كان في الجيش الصربي كثير من الضباط
السويسريين ؟

بتكوف : كلا . كانوا كلهم نمسويين ، تماما كما كان كل
ضباطنا من الروس . وكان هذا الضابط هو
السويسري الوحيد الذي صادفته . لن اثق بسويسري
مرة أخرى . لقد خدعنا فجعلنا نعطيه خمسين رجلا
أقوياء مقابل مائتي فرس متعب لم تكن تصلح حتى
للذبح .

سيرجيوس : لقد كنا أشبه بطفلين في يد ذلك الجندي المجهنم
يا سيادة الميجور . مجرد طفلين صغيرين بريئين .

رانيا : كيف كان شكله ؟

كاترين : ما أسخفه من سؤال يا رانيا .

سيرجيوس : كان أشبه بتاجر متنقل يرتدي زيا عسكريا بوزجوازا
مائة في المائة .

بتكوف : (بابتسامة عريضة) سيرجيوس : احك لكاترين
تلك الحكاية الغريبة التي قصها علينا صديقه عن كيفية
هروبه بعد معركة سليفتزا . انت تذكرها . بخصوص
المرأتين اللتين أخفياه .

سيرجيوس : (بسخرية مرة) أجل : قصة خيالية من الطراز الاول
كان يعسكر في نفس الموقع الذي هاجمته أنا بطريقة
خرجت فيها على أصول المهنة . وحيث انه جندي

كامل الجندية فقد اطلق ساقيه للريح كما فعل بقيتهم ،
وفرساننا في اعقابهم . ولكي ينجو بجلده من سيوفهم
تسلق ماسورة مياه واقتحم مخدع فتاة بلغارية .
وأعجبت الفتاة اعجابا كبيرا بأسلوبه المقتنع ، أسلوب
التاجر المتنقل . وظلت تسامره لمدة ساعة او حوالى
ذلك في احتشام ثم نادى امها لكيلا يبدو تصرفها
غير لائق . وخلب صاحبنا لب السيدة الكبيرة كما
خلب لب ابنتها . وفي الصباح غادر الجندى الهارب
البيت متنكرا في سرة قديمة يملكها رب البيت الذى
كان غائبا في الحرب .

رانيا : (تنهض بعظمة ملحوظة) لقد جعلت منك حياتك
في الشكنات انسانا بذيئا ياسير جيوس . ما كنت اظن
انك تردد مثل هذه القصة امامى . (تتحول عنه
بيروود) .

كاترين : (تنهض هى الأخرى) معها حق ياسير جيوس . اذا
كان هناك مثل هاتين المرأتين فالواجب ألا نعلم
عنهن شيئا .

بتكوف : هراء ! وأى أهمية لذلك ؟

سير جيوس : (خجلا) لا يابتكوف : لقد اخطأت . (الى رانيا
باستغفار صادق) أرجو المذرة : كان هذا تصرفا
بشعا من جانبي . لاتؤاخذينى يارانيا . (تنحنى
بتحفظ) . وأنت أيضا يا سيدتى . (كاترين تنحنى
بتعطف وتجلس . يستطرد في الحديث مخاطبا رانيا)
لقد جعل منى اطلاعى على جانب الحياة الاقل جمالا

خلال الاشهر القليلة الماضية انسانا ساخرا ولكن
كان من غير اللائق ان احضر سخريتي معي الى هنا،
لاسيما في حضورك يارانيا . انا . . (يتجه الى
الآخرين ويبدو للعيان انه يوشك ان يبدأ حديثا طويلا
ولكن الميجور يقاطعه) .

بتكوف : لغو وكلام فارغ يا سير جيوس ! هذه زوبعة في
فنجان . ابنة محارب يجب ان تكون عندها القدرة على
تحمل محادثة قصيرة جريئة دون ان يחדش حيائها
(ينهض) هيا : حان وقت العمل . علينا ان نفكر
في وسيلة تعود بها السرايا الثلاث الى فيليبوبوليس :
فليس في طريق صوفيا علف كاف لهم (يسير تجاه
البيت) . هلم . (سير جيوس يوشك ان يتبعه ولكن
كاترين تقوم وتتدخل) .

كاترين : بول ، ألا تستطيع ان تستغنى عن سير جيوس دقائق؟
رانيا لم تره الا منذ لحظة . ربما استطعت انا ان اعينك
في حل موضوع السرايا .

سير جيوس : (محتجا) مستحيل يا سيدتي العزيزة : انت . .

كاترين : (توقفه مداعبة) انت باق هنا يا عزيزي سير جيوس
لا داعي للعجلة . عندي كلمة او كلمتين اريد أن
اقولهما لبول . (سير جيوس ينحني على الفور
ويتراجع) . والآن يا عزيزي (تأخذ ذراع بتكوف)
تعال لترى الجرس الكهربائي .

بتكوف : عظيم . عظيم .

(يسيران معا الى البيت في تعاطف . سير جيوس ،

وقد ترك وحده مع رانيا ، ينظر اليها في اشفاق
خشية ان تكون لم تتخل بعد عن استيائها . يفتر ثغرها
عن ابتسامة وتمد له ذراعيها) .

سير جيوس : (بهرع اليها) هل صفحت عني ؟

رانيا : (تضع يديها على كتفيه وهي تنظر اليه باعجاب
وتقديس) يا بطل ! يا ملكي !

سير جيوس : يا ملكتي : (يقبلها في جبينها)

رانيا : كم حسدتك يا سير جيوس ! لقد خرجت الى الدنيا ،
في جبهة القتال . وبوسعك ان تثبت هناك انك جدير
بأى امرأة في العالم . بينما كان على انا ان أجلس في
البيت عاطلة . . غارقة في احلام . . عديمة
النفع . . لا اصنع شيئا يمكن ان ينحولي الحق في
اعتبار نفسي جديرة بأى رجل .

سير جيوس : يا أعز الناس : كل ما صنعتته انا كان من أجلك .
أنت ملهمتي . لقد خضت الحرب كفارس في حلبة
تطل عليه سيدته من عليائها .

رانيا : وأنت لم تغب قط عن أفكاري لحظة واحدة .
(برصانة بالغة) سير جيوس : اظن اننا نحن
الاثنين قد وجدنا الحب الأسمى . انى حين أفكر
فيك أشعر انى لن أقدر أبدا على فعل شيء وضيع
او على الاسفاف في التفكير .

سير جيوس : يا سيدتي وقديستي ! (يضمها باجلال) .

رانيا : (تبادله العناق) يا سيدى ويا . .

سير جيوس : صه . صه ! دعيني أكن أنا العابد يا حبيبتي . ان
أى رجل - بل وافضل رجل - لا يستحق حب
فتاة طاهرة . هذا مالا تدركينه تماما .

رانيا : أنا أثق فيك واحبك . وأنت لن تخيب ظني ابدا
يا سير جيوس . (تسمع لو كا وهى تغنى في داخل
البيت . ينفض الان بسرعة) . انا لا أستطيع
الانطلاق امامها على سجيتى فقابى ينوء بعاطفة .
تقبل لو كا من البيت بصينيتها . تسير الى المائدة
وتبدأ في ازالة ما عليها من أوان وظهرها اليهما) .
سأحضر قبعتى وبعدها نستطيع ان نخرج حتى يحين
وقت الغداء . ألا يسرك هذا ؟

سير جيوس : اسرعى . انك ان غبت خمس دقائق فستبدو خمس
ساعات . (رانيا تعدو الى قمة الدرج وهناك تتلفت
لتبادل معه النظرات وترسل له قبلة بكلتا يديها .
يشيعها ببصره لحظة جائش الصدر ثم يتحول عنها
ببطء ووجهه يشع بنشوة عظمى . تنقل هذه الحركة
مجال نظره فيلاحظ في ركنه ذيل إزار لو كا المزدوج .
يسترعى انتباهه على الفور . يختلس اليها نظرة ويبدأ
في برم شاربه بنجث ويده اليسرى على خاصرته من
الخلف . واخيرا يضرب الأرض بعقبه فيما يشبه
زهو الخيالة ويسير الى جانب المائدة الآخر حتى
يقف امامها ويسأل) لو كا : أتعرفين ما هو الحب
الاسمى ؟

لو كا : (بدهشة) لا يا سيدى .

سير جيوس : شيء من المجهود ان نحتفظ به طويلا في نفس المستوى
يا لوكا . الانسان يحس بعده بالحاجة الى شيء من
الراحة .

لوكا : (ببراءة) ربما كنت ترغب في بعض القهوة يا سيدى
(تمد يدها عبر المائدة لتتناول اناء القهوة) .

سير جيوس : (يأخذ يدها) شكرا يا لوكا .

لوكا : (تتظاهر بجذب يدها) سيدى . انت تعرف اننى لم
أعن ذلك . انا في دهشة من سيادتك .

سير جيوس : (يتبعد عن المائدة ويجذبها معه) وانا في دهشة من
نفسى يا لوكا . ماذا يقول سير جيوس ، بطـل
سليفنترا ، عنى إذا رآنى الآن ؟ ماذا يقـول
سير جيوس ، قديس الحب الاسمى . عنى إذا رانى
الآن ؟ ماذا يقول الاثنا عشر سير جيوس الذين
لا يكفون عن الظهور والاختفاء من هذا الوجهـ
الوسيم — وجهى — لو انهم وجدونا هنا ؟ (يترك
يدها ويطوق خصرها بذراعه ببراءة) هل تعتبرين
وجهى وسيما يا لوكا ؟

لوكا : دعنى أذهب يا سيدى . سيفصلوننى من الخدمة .
(تصارع للتخلص منه ولكنه يمسكها بيد من حديد) .
ارجو ان تتركنى .

سير جيوس : (يركز عينيه في عينيها) لا .

لوكا : اذن فقف الى الوراء حيث لا يمكن لاحد ان يرانا .
أليس عندك ادراك ؟

سيرجيوس : هذا كلام معقول . (يأخذها الى طريق البوابة بفناء الاسطبل حيث يحتجيان عن البيت) .

لوكا : (شاكية) قد يكون احد من في البيت قد رآني من نوافذه . انا على يقين من ان مس رانيا تتجسس عليك

سيرجيوس : (كمن لدغته حية . يرخي قبضته عنها) احذري يا لوكا . قد اكون ندلا بحيث اخون حبا أسمى ، ولكن اياك ان توجهي اليه اهانة .

لوكا : (تتظاهر بالادب) لم يخطر لي ذلك على بال ياسيدى . والآن هل تسمح لي بمواصلة عملي ؟

سيرجيوس : (يحيطها بذراعه من جديد) انت عفريتة صغيرة شقية ، يالوكا . اذا كنت واقعة في غرامى هل تتجسسين على من النوافذ ؟

لوكا : الحقيقة ياسيدى ، مادمت تقول انك اثنا عشر سيدا مختلفا في نفس الوقت ، فسيكون على أن افتح عيني جيداً .

سيرجيوس : (مسحورا) لست جميلة وحسب ولكن خفيفة الظل (يحاول ان يقبلها) .

لوكا : (تتحاشاه) : لا أريد قبلاتك . الطبقة الراقية كلها واحد : انت تغازلني خلف ظهر مس رانيا ، وهى تفعل نفس الشيء خلف ظهرك .

سيرجيوس : (يتراجع خطوة) لوكا !

لوكا : هذا يدل على ان الامر لا يهملك كثيرا .

سيرجيوس : (يعدل عن مباسطته ويتكلم بتأدب يبعث القشعريرة)

اذا كان لحديثنا يالوكا ان يستمر فأرجو ان تتذكرى
ان أى جنتلمان لا يناقش سلوك الفتاة التى عقد عليها
خطبته مع خادماتها .

لوكا : من أشق الأمور ان يعرف الانسان ماهو الصواب فى
عرف اى جنتلمان . لقد توهمت حين حاولت
تقبيلى انك قد تخيلت عن مثل هذا التشدد .

سيرجيوس : (يتحول عنها ويضرب جبهته وهو يعود الى الحديقة
من طريق البوابة) انت شيطانة ! شيطانة !

لوكا : ها ! ها ! أظن أن واحدا من شخصياتك الست
يشبهنى كثيرا يا سيدى رغم انى لست الا خادمة مس
رانيا . (تعود لعملها فى المائدة دون ان تعيره التفاتا) .

سيرجيوس : (يخاطب نفسه) اى الشخصيات الست هى الرجل
الحقيقى ؟ هذا هو السؤال الذى يعذبى . ان احدهم
بطل ، واحدهم مهرج ، واحدهم دجال ، واحدهم
لعل فيه شيئا من صفات الوغد . (يتوقف وينظر
خلصة الى لوكا ، مضيفا بمرارة عميقة) وواحد ،
على الاقل ، جبان : غيور ككافة الجبناء . (يذهب
الى المائدة) لوكا .

لوكا : نعم ؟

سيرجيوس : من هو منافسى ؟

لوكا : لن تحصل منى على جواب مهما كان الثمن .

سيرجيوس : لماذا ؟

لوكا : لا يهم لماذا . ثم انك ستقول اننى اخبرتك وتكون
النتيجة ان افقد وظيفتى .

سير جيوس : (يرفع يده اليمنى مؤكداً) لا ! أقسم لك بشرف .
(يراجع نفسه وتهوى يده مع ذلك وهو يكمل جملته
في سخرية) . . رجل قادر على التصرف بالطريقة
التي كنت اتصرف بها خلال الدقائق الخمس الماضية .
من هو ؟

لوكا : لا أدري . انا لم أره قط . سمعت فقط صوته من
خلال باب غرفتها .

سير جيوس : اللعنة . كيف سمحت لنفسك ؟

لوكا : (تراجع) لم اقصد سوءاً : ليس من حقك ان تؤول
كلامى على هذا النحو . سيدنى تعلم كل شيء عن
هذا الموضوع . وانا أقول لك ان ذلك السيد إذا جاء
هنا ثانية فان مس رانيا ستزوجه ، رضى ام لم يرض
انا أعرف الفرق بين نوع السلوك الذى تسلكه انت
وهى امام بعضكم البعض وبين السلوك الحقيقى .
(سير جيوس يرتعد كما لو كانت قد طعنته ثم يسير
اليها متجهما ويمسكها بكلتا يديه فوق المرفقين) .

سير جيوس : الآن استمعى الى .

لوكا : (تجفل) خفف قبضتك : أنت توجعنى .

سير جيوس : لا يهم . لقد لطخت شرفى باشراكى في تسمعك
كما انك نخت سيدتك .

لوكا : (تتلوى) أرجسوك . .

سير جيوس : وهذا يدل على انك كتلة صغيرة مقبلة من الطين
الوضيع بروح خادمة (يخلى سبيلها كما لو كانت

شيئا غير نظيف ويتحول عنها ، وهو ينفض يديه ،
الى الدكة القريبة من الحائط ويجلس عليها حائبا
رأسه في تفكر ووجوم)

لوكا : (تنشج بغضب ويداها تحت كميها تتحسس ذراعيها
المحزوزتين) انت تعرف كيف تؤذى بلسانك كما
تؤذى بيديك ، ولكن هذا لم يعد يهمني بعد ان اتضح
لي انه مهما يكن نوع الطين الذي صنعت منه انا فقد
صنعت انت من نفس مادته . اما هي فكذوب
والمظهر الراقى الذى يظهر به غش وخداع وانما
أساوى ستامن أمثالها . (تتحمل ألمها بتجلد وترفع
رأسها بحدة ثم تأخذ في وضع الاشياء على الصينية) .
(ينظر اليها في شك . تنتهى من رمى الأواني على
الصينية ثم تطوى المفرش من اطرافه لتحمله مع
الصينية . عندما تنحنى لترفعه ينهض) .

سير جيوس : لوكا ؟ (تقف وتنظر اليه بتحد) . ما من رجل
يملك الحق في جرح شعور امرأة ما تحت أى ظرف
من الظروف . (يحسر رأسه في تأسف عميق) أرجو
ان تصفحني عني .

لوكا : هذا النوع من الاعتذار قد يرضى سيدة . ما جدواه
بالنسبة لخادمة ؟

سير جيوس : (وقد اوديت شهامته بقسوة ، يطرح الشهامة جانبا
بضحكة مرة ويقول باستخفاف) فهمت . تريدان
ان أدفع لك تمن الألم الذى سببته لك ؟ (يعيد وضع
قبعته العسكرية على رأسه ويخرج نقودا من جيبه) .

لوكا : (وعيناها تغرورقان بالدموع بالرغم منها) لا :
بل أريد تعويضا عن هذا الألم .

سير جيوس : (وقد افاق على نبرتها) كيف .

(تطوى كمها الايسر الى أعلى وتقبض على ذراعها
بإبهام وأصابع يدها اليمنى وتنظر الى الحزة ثم ترفع
رأسها وتركز فيه عينيها ، وأخيرا تقدم له ذراعها
بحركة رائعة ليقبلها . ينظر اليها والى الذراع ثم اليها
ثانية وهو مأخوذ . يردد ثم يهتف بحدة مرتعشة
« ابدا ! » ويتعد عنها بأكثر مسافة يستطيعها .)

(يسقط ذراعها . تأخذ صينيتها دون ان تنبس
بكلمة وباحترام غير منقوص تقترب من البيت على
حين تعود رانيا وهي ترتدى قبعة وجاكته من آخر
طراز ظهرت في فيينا في العام السابق اى سنة ١٨٨٥ .
لوكا تخلى لها الطريق بكبرياء ثم تسير الى داخل البيت)

رانيا : انا جاهزة . ماذا حدث ؟ (بمرح) هل كنت
تغازل لوكا ؟

سير جيوس : (بسرعة) لا . لا . كيف يمكن ان يخطر مثل ذلك
على بالك ؟

رانيا : (تحجل من نفسها) لاتؤاخذنى يا عزيزى : كنت
امازحك فقط . انا اليوم في شدة السعادة .

(يهرع اليها ويقبل يدها وضميره يوثبه . كاترين
تظهر وتناديهما من قمة السلم) .

كاترين : (تنزل اليهما) آسفة لا زعاجكما أيها الطفلان ولكن
بول يكاد يجن بشأن تلك الفرق الثلاث . انه لا يدري

كيف يبعث بها الى فيليبوبوليس ويعترض على كل
اقترح ادلى به . اذهب وساعده يا سير جيوس .
ستجده في المكتبة .

رانيا : (كاسفة) ولكننا على وشك ان نخرج لنزهة على
الأقدام .

سير جيوس : لن أتأخر عليك . انتظريني خمس دقائق . (يصعد
السلام عدوا الى الباب) .

رانيا : (تتبعه الى بسطة السلام وترفع بصرها اليه بدلال
وحياء) سأذهب وانتظر على مرأى من نوافذ
المكتبة . الفت انتباه ابى الى وجودى . وإذا تأخرت
لحظة واحدة عن خمس دقائق فسأذهب الى المكتبة
واحضرك سواء كانت هناك فرق او لم تكن .

سير جيوس : (يضحك) سمعا وطاعة . (يدخل) .

(رانيا تراقبه حتى يغيب عن نظرها ثم تبدأ - وقد
استرخت حركاتها بشكل ملحوظ - في السير ذهابا
وايابا في الحديقة شاردة الذهن .)

كاترين : تصورى مقابلتهم لذلك السويسرى وسماعهم للقصة
بجذافيرها ! أول شيء سأل عنه أبوك كان السترة
القديمة التى البسناها له قبل رحيله . ياله من مأزق
ذلك الذى اوقعتنا فيه !

رانيا : (تحمق بتفكر في الحصى وهى تسير) البهيم !

كاترين : البهيم ! أى بهيم ؟

رانيا : يروح ويحكى الحكاية ! أقسم لو وقع تحت يدى

لحشوت فمه بكريمة الشوكلاته حتى يفقد القدرة على النطق .

كاترين : كفى عن هذا الهزر . خبريني بالحقيقة يارانيا . كم من الوقت أمضى في حجرتك قبل أن تأتي الى ؟

رانيا : (تدور على عقبيها وتبدأ السير من جديد في الاتجاه المضاد) نسيت .

كاترين : لا يمكن ان تنسى ! هل حقيقة انه تساق الى حجرتك بعد ان انصرف الجنود ام انه كان هناك حين فتش ذلك الضابط الحجرة ؟

رانيا : لا . نعم : لا بد - فيما أظن - انه كان هناك حينئذ .

كاترين : تظنين ! لا يا رانيا ! لا ! ألا يمكن لشيء ما ان يحملك على الصدق ؟ إذا اكتشف سير جيوس الأمر فسيكون في ذلك نهاية ما بينكما .

رانيا : (بصفاقة ودون انفعال) انا أعرف ان سير جيوس موضع رعايتك . وانا أحيانا أتمنى لو تزوجته بدلا منى . أنت تناسبينه تماما . ولو تزوجته لدلته وغمرته بعطفك وحدثت عليه كل الحذب .

كاترين : (تفتح عينيها على سعتهما) ما هذا الذى تقولين !

رانيا : (بنزوة وكأنها تحدث نفسها) دائما ما تتأبى رغبة شديدة في أن أفعل او أقول له شيئا فظيحا . . في ان أخرج على ما يعتبره من قواعد اللياقة واطل اصدام حواسه الخمس حتى اقضى عليها (الى كاترين ، بلهجة شريرة) أنا لا يهمنى كونه

— يكتشف موضوع عسكري كريمة الشوكلاته
اولا يكتشفه ، بل اننى اكاد أتمنى ان يكتشفه .
(تدور على عقبيها ثانية وتسير في استهتار صاعدة في
الممر الى ركن البيت) .

كاترين : وماذا — لو سمحت — أقول لا ييك ؟
رانيا : (من فوق منكبها وهى في قمة درجتين من درجات
السلم) مسكين أبى ! كما لو كان قادرا على شىء من
أمره ! (تدور حول ركن البيت وتختفى عن الانظار)
كاترين : (تتبعها يبصرها وهى تعض أصابعها من الغيظ)
آه لو كنت أصغر بعشر سنوات ! (لو كا تأتى
من البيت بصينية تحملها وهى مدلاة بجوارها) .
ماذا تريدن ؟

لوكا : هناك سيد وصل منذ لحظة . ضابط صربي .
كاترين : (تستشيط) صربي ! وكيف يجرؤ . . (تراجع
نفسها بمرارة) آه لقد نسيت .
نحن الآن في وقت السلم . أظن أنهم سيأتون يوميا
ليقدموا ألوان المجاملة . ولكن : اذا كان الطارق
ضابطا فلماذا لاتخبرين سيدك . هو في المكتب مع
الميجور سارانوف . فيم مجيئك الي ؟
لوكا : ولكن سأل عنك ياسيديتي . ولا أظن انه يعرف
من تكونين : لقد طلب ربة البيت .

واعطاني هذه البطاقة لك . (تأخذ بطاقة من
صدرها وتضعها على الصينية وتقدمها لكاترين) .
كاترين : (تقرأ) « الكابتن بلنتشلى » هذا اسم ألماني .
لوكا : سويسرى ، ياسيديتي ، فيما أظن .

كاترين : (بوثة تجعل لوكا تقفز الى الوراء) سويسرى !
صفيه لي .

لوكا : (بحياء) انه يحمل حقيبة كبيرة من القماش
ياسيدتي .

كاترين : ايها السماوات ! لقد جاء ليعيد السترة . اصرفيه :
قولي اننا لسنا في البيت . اطلبي منه ان يترك عنوانه
وسأكتب له . رويدك : لن ينفع ذلك . انتظري
! (تلتقي بنفسها على كرسي لتفكر في مخرج .
لوكا تنتظر) . سيدك والرائد سارانوف مشغولان
في المكتبة . أليس كذلك ؟

لوكا : نعم ياسيدتي .

كاترين : (بلهجة حاسمة) احضري السيد الى هنا حالا .
(باماره) وراعى معه منتهى الادب . أسرعى ؟
اسمعى (تخطف منها الصينية بعصبية) اتركى
هذه هنا وعودى اليه رأسا .

لوكا : حاضر ياسيدتي (تذهب) .

كاترين : لوكا !

لوكا : (تتوقف) نعم ياسيدتي .

كاترين : هل باب المكتبة مغلق ؟

لوكا : أظن ذلك ياسيدتي .

كاترين : اذا لم يكن مغلقا فاغلقه وانت مارة .

لوكا : حاضر ياسيدتي (تذهب) .

كاترين : انتظري ! (لوكا تتوقف) . سيكون عليه ان يمر من هناك (تشير الى بوابة فناء الاسطبل)
قولي لنيقولا ان يحضر حقييته الى هنا وراءه .
لاتنسى .

لوكا : (باستغراب) حقيته ؟

كاترين : أجل : هنا : وبأسرع ما يمكن . (بقوة) أسرعى !
(لوكا تجرى إلى داخل البيت كاترين تخلع مريلتها خطفا وترميها خلف احدى الشجيرات ، ثم تأخذ الصينية وتستخدمها كمرآة وتكون النتيجة أن يلحق المندبل الملفوف حول رأسها المريلة . لمسة لشعرها وهزة للملابسها تعطيها مظهرا مقبولا) ولكن كيف ؟
كيف يستطيع رجل أن يقدم على مثل هذه حماقة !
وان يختار هذه اللحظة بالذات ! (لوكا تظهر لدى باب البيت وتعلن « الكابتن بلنتشلي » تقف جانبا عند قمة السلم ليمر قبل أن تدخل البيت ثانية . القادم هو رجل مغامرة منتصف الليل في غرفة رانيا ، وهو الآن نظيف ليس عليه ذرة من غبار ، حسن البرة ، لا يشغله شيء ، ولكنه لا يزال نفس الرجل بما لا يدع مجالا للبس . وفي اللحظة التي تدير لوكا فيها ظهرها تهجم كاترين عليه وفي صوتها رجاء جياش ملح معابث) . كابتن بلنتشلي :
انا جد سعيدة برويتك ولكنك يجب أن تغادر هذا البيت حالا . (يرفع حاجبيه) . لقد رجس زوجي لتوه مع زوج ابنتي المقبل ، وهما يجهلان كل شيء وإذا بلغهما شيء فستكون

العواقب وخيمة . انت غريب ولا تحس بعدائنا
الوطني كما نحس نحن به . اننا مازلنا نكره الصريين :
وكل ما احده السلام على زوجي من أثر هو انه
جعله يشعر شعور الاسد الذي ضيقت عليه فريسته ،
وإذا اكتشف سرنا فلن يصفح عني ابدا ولن تكون
حياة ابنتي آمنة كل الامان . هل تسمح اذن كرجل
كريم وجندى - وانك كذلك - بالانصراف
فورا قبل أن يكتشف وجودك هنا ؟

بلنتشلى : (نحائب الرجاء ولكن بفلسفة) فورا ياسيدتي
الفاضلة . كل ما جئت من أجله هو ان اشكر
وأن أعيد السترة التي اعرتني اياها . وإذا أذنت
لي باخراجها من حقيبي وبتركها مع خادمتك وأنا
خارج فلن احتجزك أكثر من هذا . (يستدير ليذهب
إلى البيت) .

كاترين : (تمسكه من كفه) لا ينبغي أن تخرج من هذه
الناحية . (تدفعه ملاطفة إلى بوابات الاسطبل)
هذا هو أقصر طريق للخروج . شكرا جزيلا .
أنا عظيمة السرور لاني اسديت لك معروفا . إلى
اللقاء .

بلنتشلى : ولكن حقيبي ؟

كاترين : سترسل لك . اترك لي عنوانك .

بلنتشلى : صحيح . اسمحي لي . (يخرج محفظته ويتوقف
ليسطر عنوانه وكاترين تنتظر خروجه على أحر
من الجمر . بينما يسلمها البطاقة يندفع بتكوف من

البيت : وقد حسر عن رأسه ، عبارات الترحيب
تتدافع على لسانه ، وخلفه سيرجيوس) .

بتكوف : (وهو يهرع نازلا على السلام) يا عزيزى الكابتن
بلنتشلى . .

كاترين : يارب السماء ! (تنهاوى على مقعد ملاصق للجدار) .

بتكوف : (لا يفتن اليها في انشغاله بمصافحة بلنتشلى بمودة)
أولئك الخدم الاغبياء ظنوا اننى هنا بدلا من — إحم
! — المكتبة (لا يملك نفسه إذا جاء ذكر المكتبة
على لسانه من اظهاره مدى افتخاره بها) . لقد
رأيتك من خلال النافذة وكنت اتساءل لماذا لم
تدخل . سارانوف معى : ألا تذكره ؟

سيرجيوس : (يحبسه ضاحكا ثم يمد اليه يده بحركة في غاية من
الدمائة) مرحبا بصديقنا العدو !

بتكوف : لم يعد عدوا لحسن الحظ . (بنبرة اقرب الى القلق)
أرجو أن تكون زيارتك زيارة صديق والا يكون
لها علاقة بتلك الخيل وأولئك الجنود .

كاترين : زيارة صديق وحسب يابول . لقد كنت منذ لحظة
اسأل الكابتن بلنتشلى ان يبقى معنا على الغداء ولكنه
قال انه مضطر للانصراف فوراً .

سيرجيوس : (متهكما) يستحيل يا بلنتشلى . نحن في أشد الاحتياج
إليك . ان علينا أن نوفد ثلاث فرق من سلاح الفرسان
إلى فيليبوبوليس وليس لدينا أى فكرة عن كيفية
ارسالها .

بلنتشلى : (يظهر عليه بغتة اهتمام رجل الاعمال)
فيليبوبوايس ؟ لعل المشكل هو شكل العلف .

بتكوف : (بلهفة) نعم : بالضبط - (إلى سيرجيوس) انه
يفهمها وهى طائفة .

بلنتشلى : أعتقد أن في وسعى ارشادك إلى طريقة لتدير هذا
الأمر .

سيرجيوس : أيها الرجل الذى لا يقدر بثمن . تعال معنا !
(يضع يده على كتفه وهو يبدو أمامه كالطود ،
ويصحبه الى السلام وبتكوف وراءهما) .

(رانيا تخرج من البيت في اللحظة التى يضع فيها
بلنتشلى قدمه على أول سلم)

رانيا : من : جندى كريمة الشوكالاته !

(بلنتشلى يقف متصليبا ، سرجيوس في دهشة
ينظر الى رانيا ثم الى بتكوف الذى يبادل النظر
ثم يعود بنظره الى زوجته .

كاترين : (بحضور ذهن حاسم) رانيا يا حبيبتى ، ألا ترين
ان لدينا ضيفا هنا ؟ الكابتن بلنتشلى : احد اصدقائنا
الصريين الجدد .

(رانيا تنحنى : ينحنى بلنتشلى .)

رانيا : ياغبائي ! (تتقدم الى وسط المجموعة بين بلنتشلى

وبتكوف) . لقد اعددت هذا الصباح حليّة
جميلة « الفالودج » المثلج ولكن الغبي نيوقولا
وضع عليها كومة من الاطباق وأتلفها (الى
بلنتشلى بتودد) ارجو الا يكون قد جال بذهنك
يا كابتن بلنتشلى انك المقصود بجندى كريمة
الشوكلاته .

بلنتشلى (ضاحكا) اؤكد لك اننى ظننت ذلك . (يجتلس
اليها نظرة غريبة) وقد طيب شرحك خاطرى

بتكوف (فى شك الى رانيا) ومنذ متى من فضلك بدأت
عندك عادة الطهى ؟

كاترين : فى الفترة التى كنت غائبا فيها . هذه هى آخر
« تقليعة » لها .

بتكوف : (حائقا) وهل ادمن نيوقولا معاقره الخمر ؟ لقد
عهدناه حسن التصرف . فهو اولا يدخل الكابتن
بلنتشلى الى هنا وهو يعلم تماما اننى كنت فى المكتبة ،
ثم هو ينزل الى المطبخ ويحطم جندى الشوكلاته الذى
صنعته رانيا . لا بد انه . . (يظهر نيوقولا على قمة
السلام بالحقيبة . ينزل السلام . يضع الحقيبة باحترام
امام بلنتشلى وينتظر اى اوامر أخرى . دهشة عامة .
نيوقولا لا يتنبه الى التأثير الذى احدثه ، ويبدو عليه
الرضاء التام عن نفسه . حين يسترد بتكوف قدرته

على الكلام ينفجر فيه صائحا (هل جنت يا نيقولا ؟

نيقولا : (مذهولا) سيدى ؟

بتكوف : ما الذى جعلك تخضر هذه الحقيبة ؟

نيقولا : اوامر سيدتى ياسيادة الميجور . لقد اخبرتني لو كا ان ...

كاترين : (تقاطعه) اوامرى ! وما الذى يجعلنى آمرُك باحضار

متاع الكابتن بلنتشلى الى هنا ؟ ما الذى جرى لعقلك
يا نيقولا ؟

نيقولا : (بعد حيرة تستمر لحظة يلتقط الحقيبة وهو يخاطب

بلنتشلى بلباقة الخادم التى بلغت حد الكمال)
لاتؤاخذنى يا سيدى الكابتن . (الى كاترين) غلطة
منى يا سيدتى : أرجو اغتفارها لى . (ينحنى ويهم
بالسير الى السلام بالحقيبة وإذا بتكوف يصرخ فيه)

بتكوف : اذهب والى بتلك الحقيبة ايضا على الفالودج الثلج

الذى صنعته مس رانيا ! (لا تتحمل أعصاب نيقولا
كل هذا . تسقط الحقيبة من يده وتكاد تدهس
اصابع قدم سيده فينفجر فيه صائحا) اغرب عن
وجهى ايها الحمار ذو اصابع من زبدة .

نيقولا : (يلتقط الحقيبة خطفا ويفر الى البيت) أمرُك يا سيدى
الميجور .

كاترين : هدى نفسك يا بول ودعك من الغضب .

بتكوف : (في نوبة هياج) الوغد ! لقد أفلت زمامه في غيائى

سألقيه درسا . السافل المنحط ! سأفصله من الخدمة

يوم السبت القادم واطهر منه البيت باكماله . .
(تختنق الحملة تحت لمسات زوجته وابنته اللتين
تتعلقان برقبتة وهما تدللانه) .

كاترين : لا ، لا ، لا . لا تغضب . انه لم يقصد اساءة .
ورانيا : وو ، وو ، وو : لا تفعل ذلك في يوم عودتك
كن لطيفا من أجل خاطري أيها العزيز . صه ،
صه ، صه ، صه !

الى البيت . سأصنع فالودج مثلجا آخر .
كفى ، كفى ، كفى !

بتكوف : (يستسلم) حسنا : قد صفحت . هيا يا بلنتشلى :
كفانا هراء بشأن رحيلك . أنت تعلم تماما انك لن
تعود الى سويسرا بعد . وحتى يحين موعد عودتك
فستبقى عندنا .

رانيا : ارجوك ان تبقى يا كابتن بلنتشلى .

بتكوف : (الى كاترين) وأنت يا كاترين . إذا كان هناك
أحد يخشاه فهو أنت . اضغطي عليه وسيبقى .

كاترين : سأشعر طبعاً بسعادة عظيمة حقا إذا كان (بتوسل)
الكابتن بلنتشلى يريد حقيقة ان يبقى . انه يعرف رغباتي

بلنتشلى : (في أحسن لهجة عسكرية يملكها) انا في خدمة
سيدتي .

سير جيوس : (بمودة) هذا يسوى المسألة .

بتكوف : (من قلبه) قطعاً !

رانيا : رأييت . لابد أن تبقى .

بالتشلى : (مبتسما) إذا لم يكن من ذلك مناص فليس لى ان
اختار .

(تصدر من كاترين اشارة يأس .)

الفصل الثالث

في المكتبة بعد الغداء . هي ليست مكتبة بمعنى الكلمة ، فتجهيزها الأدبي يتكون من رف واحد ثابت حشدت عليه روايات قديمة رخيصة وتكسر غلافها الورقي وسكبت عليها القهوة فلطختها ، تمزقت وثبتت صفحاتها ، ومن رفين معلقين صغيرين عليهما عدد قليل من الكتب ذات الطبعة الفاخرة من النوع الذي يقدم كهدية : أما بقية فراغ الحائط فتحتلها تذكارات الحرب والصيد . ولكنها حجرة جلوس مريحة للغاية ، ففيها صف من ثلاث نوافذ كبيرة وتكشف عن منظر جبلي يتبدى في هذه اللحظة بالذات وفي ضوء العصر الواني ، في حلة من أرق حله وفي الركن المجاور للنافذة اليمنى ترتفع مدفأة مربعة من الخزف تكاد تصل إلى السقف كبرج من الفخار اللامع وتضمن دفئا كثيرا . والديوان العثماني يشبه ذلك الموجود في حجرة رانيا وهو موضوع في مثل مكانها . أما مقاعد النوافذ فهي فاخرة بوسائدها المزركشة . شيء واحد يبدو متنافر مع بقية ما يحيط به بشكل صارخ ، وهو مائدة مطبخ صغيرة في حالة سيئة من البلى تستخدم كمائدة كتابة وعليها علبة قديمة من الصفيح ملأى بالاقلام وآنية بيض في شكل فناجين ملأى بالحبر وقطعة من ورق النشاف الوردي في حالة يرثى لها من كثرة الاستعمال .

وإلى جانب هذه المائدة التي تقع إلى يسار أي شخص يواجه النافذة يرى بلنتشلي مكبا على العمل وأمامه خريطتان وهو يكتب أوامر .

وعند رأس المائدة يجلس سيرجيوس المفروض أن يكون سيرجيوس هو الآخر منهكا من العمل . ولكن الواقع انه يمزغ بأسنانه ريشة القلم ويتأمل بلنتشلى وهو ينجز عمله في جدية وسرعة وثقة بالنفس ، بمزيج من الحسد والضيق لعجزه هو ومن العجب والرغبة لقدرة تبدو له كالمعجزات رغم أن طبيعتها التي لا تمت إلى القيم العليا بصلة ممنعه من احترامها . السيد الميجور يجلس آخذا راحته على الديوان العثماني وفي يده صحيفة ، وخرطوم نارجيلته في متناول يده . كاترين جالسة إلى المدفأة وظهرها اليهم وهي تطرز . رانيا تحمق ، وهي مائلة على الديوان ، في حلم من أحلام اليقظة ، في المنظر الطبيعي البلقاني ورواية مهمة في حجرها .

الباب يقع في نفس الجانب الذي تقوم فيه المدفأة ، بعيدا عن النافذة . زر الجرس الكهربى في الجانب المقابل ، خلف بلنتشلى . يتكوف : (يرفع رأسه من صحيفته ليطلع على مجريات الأمور على المائدة) هل أنت واثق أنك لست بحاجة إلى أى مساعدة منى يا بلنتشلى ؟

بلنتشلى : (دون ان يقطع كتابته أو يرفع رأسه) كل الثقة . شكرا لك . سارانوف وأنا سنقوم باللازم .

سيرجيوس : (متجهما) نعم : سنقوم باللازم . هو يحدد مايجب عمله ويكتب الاوامر ، وانا اوقعها . تقسيم العمل . (بلنتشلى يناوله ورقة) . واحدة أخرى ؟ متشكر : (يضع الورقة امامه بالعرض ثم يضع كرسيه بعناية في وضع محاذ لها ويوقع بامضائه وخذله على مرفقه ولسانه البارز يتبع حركة القلم) . هذه اليد تعودت على السيف أكثر مما تعودت على القلم .

بتكوف : كرم كبير منك يابلتشي في الحقيقة ان تتركنا
نثقل عليك بهذا الشكل. هل أنت متأكد تماما اني
لاستطيع أن أفعل شيئا .

كاترين : (في لهجة تحذير منخفضة) تستطيع ان تكف عن
مقاطعتي يابول .

بتكوف : (يفاجأ ويحول بصره اليها) ماذا ؟ آه ! حسنا
ياحبيبي : حسنا . (يأخذ صحيفته ثانية ولكنه
لا يلبث ان يتركها تسقط) أنت لم تشركي في
الحرب يا كاترين : انت لاتعرفين مدى المتعة التي
نجدها في الجلوس هنا بعد غداء شهى وكل ماعلينا
ان نفعله هو ان نروح عن انفسنا . شيء واحد
ينقصني لأشعر براحة تامة .

كاترين : ماهو ياتسرى ؟

بتكوف : سترتي القديمة . أنا لأحس وانا ارتدى سترتي هذه
اني في بيتي بل احس اني في استعراض .

كاترين : ياعزيزى بول ، ماأسخف حديثك عن تلك السترة
القديمة ! لا بد أنها معلقة في الدولاب الازرق الذى
تركتها فيه .

بتكوف : ياعزيزتي كاترين ، سبق ان أخبرتك اني بحشت
عنها فيه . هل المفروض ان أصدق عيني أو
ألا أصدقها ؟ (كاترين تنهض وتعبّر الغرفة
لتضغط زر الجرس الكهربى) . لماذا تشيرين الى
ذلك الجرس ؟ (تنظر اليه في عظمة ثم تعود الى
كرسيها والى شغل ابرتها في صمت) . ياعزيزتي :

اذا كنت تتوهمين ان عناد بنات جنسك يستطيع
ان يقلب ثوبين من ثياب رانيا القديمة ومعطفك
الواقى من المطر ومعطى الى سترة فانت مخطئة .
هذه الملابس هي بالضبط محتويات الدولاب
في الوقت الحاضر .

(يحضر نيقولا)

كاترين : نيقولا : اذهب الى الدولاب الازرق واحضر
سترة سيدك القديمة : السترة المزركشة بشریط
التي يرتديها في البيت .

نيقولا : أمر سيدتي . (يخرج)

بتكوف : كاترين .

كاترين : نعم يا بول .

بتكوف : اراهنك على أى قطعة مجوهرات تحبين أن تطلبها من
صوفيا مقابل مصروف البيت لمدة اسبوع ان السترة
ليست هناك .

كاترين : اتفقنا يا بول !

بتكوف : (ينشط لاحتمالات المقامرة) هه : هذه فرصة
لمن يريد اللعب . من يراهن ؟ بلنتشلى : أعطيك
ستة لواحد .

بلنتشلى : (دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال) لو فعلت
ياسيدى الميجور فكأنى سرقتك المؤكد أن السيدة
على حق (يناول سيرجىوس) فرخا آخر من الورق
دون أن يرفع بصره .

سيرجيوس : (متحفزا هو الآخر) تحيا سويسرا ! سيدى
الميجور : اراهن على أفضل فرس عندى مقابل فرس
عربية لرانيا أن نيقولا سيجد السترة فى الدولار
الازرق .

بتكوف : (بلهفة) أفضل فرس عند . . .

كاترين : (تقاطعه على عجل) لا تكن أحمتى يابول .
ثمن الفرس العربية يصل إلى ٥٠٠٠٠ ليفا .

رانيا : (تفيق فجأة من سهومها المستغرق فى المناظر
الجميلة) لا يا أمى . إذا كنت أنت ستحصلين على
المجوهرات فانا لا أرى داعيا لتستكثرى على الفرس
العربية .

(نيقولا يعود بالسترة ويقدمها لبتكوف الذى لا
يكاد يصدق عينيه) .

كاترين : أين كانت يا نيقولا ؟

نيقولا : كانت معلقة فى الدولار الأزرق ياسيدتى .

بتكوف : اذن على الله ..

كاترين : (تستوقفه) بول !

بتكوف : لو طلب منى أن اقسم لا قسمت أنها ليست هناك .

لقد بدأت اعراض السن تظهر علىّ - بدأت أخرف

(الى نيقولا) تعال ساعدنى فى تغيير السترة . معذرة

يا بلنتشلى . (يبدأ فى خلع سترة وارتداء أخرى

ونيقولا يقوم بدور الخادم الخصوصى تذكر)

ياسيرجيوس : أنا لم أقبل الرهان الذى عرضته .

وخير لك أن تهدي تلك الفرس العربية إلى رانيا
انت نفسك مادمتم قد طمعتها فيها . اليس كذلك
يارانيا ؟ (ينظر ناحيتها ولكنها تعود إلى هيامها
بالمناظر الطبيعية . يشير لهم إليها بفورة من الحنان
الابوى والفخر) انها تحلم ، كعادتها .

سيرجيوس : بالتأكيد لانها لن تكون الخاسرة .

بتكوف : أحسن لها . أما أنا فاني اتوقع الا تكون خسارتي
هينة . (انتهت الآن عملية الاستبدال . يخرج فيقول
بالسرة المخلوعة) . أخيرا . أنا الآن اشعر اننى
في بيتى . (يجلس ويأخذ صحيفته وهو يتنفس
الصعداء) .

بلنتشلى : (الى سيرجيوس وهو يسلم ورقة) هذا هو آخر
الوامر .

بتكوف : (يثب واقفا) ماذا ! انتهيت ؟

بلنتشلى : انتهيت .

بتكوف : (بحسد صياني) أليس لديك شيء أوقعه أنا ؟

بلنتشلى : لا ضرورة لذلك . توقيعه سيكونى .

بتكوف : (ينفخ صدره ويضربه بقبضته) حسنا . اعتقد اننا
قمنا اليوم بعمل عظيم جداً . هل هناك شيء آخر
استطيع أن أقوم به .

بلنتشلى : يجدر بكما انتما الاثنين ان تريا الرفاق الذين سيكون

عليهم ان يأخذوا هذه . (سيرجيوس ينهض) ابعت
بهم على الفور وبين لهم اننى أشترت على الاوامر

بالوقت الذى يجب عليهم ان يسلموها فيه . وقل
لهم انهم لو توقفوا للشرب او للكلام الفارغ . . .
لو تأخروا خمس دقائق ، فستسلخ جلود ظهورهم .

سير جيوس : (بلهجة جافة وفي استنكار) سأقول ذلك . (يسير
الى الباب) وإذا كان واحد منهم من الرجولة بحيث
يبصق في وجهى لاهانتة فسأدفع مكافأة خدمته
واعطيه معاشا . (يخرج) .

بلنتشلى : (في سرية) أرجو ان تتأكد يا سيدى الميجور
— إذا سمحت — من انه سيخاطبهم كما يجب .

بتكوف : (بسداجة) في محله يا بلنتشلى ، في محله . سأتحرى
ذلك . (يسير نحو الباب شاعرا بأهميته ولكنه يتردد
على عتبه) . كاترين . ربما كان من المناسب ان
تحضرى انت أيضا . فسيهابونك اكثر منى بكثير .

كاترين : (تضع شغل الابرة بجوارها) أظن ان ذلك فعلا
أفضل فانك ستكتفى بالتأثأه ولن تفصح . (تخرج
ويمسك لها بتكوف الباب ثم يتبعها) .

بلنتشلى : يا له من جيش : يصنعون المدافع من اشجار الكرز ،
وضباطهم يستدعون حريمهم للمحافظة على الضبط
والربط ! (يبدأ في طي الورق وتلخيص فحوى كل
ورقة على ظهرها) .

(رانيا ، التى نهضت من الديوان ، تدرع الغرفة
ويداها مشبوكتان خلف ظهرها وتنظر اليه في شقاوة)

رانيا : أنت تبدو ألطف بصورة متناهية مما كنت في آخر

لقاء لنا . (يرفع بصره باستغراب) ماذا فعلت
بنفسك ؟

بلنتشلى : اغتسلت ، وازلت التراب بالفرشاة ، ونمت الليل
نوما هادئا وتناولت الافطار . هذا كل ما هناك .

رانيا : هل عدت بأمان في ذلك الصباح ؟

بلنتشلى : غاية الامان . شكرا .

رانيا : هل غضبوا منك لفرارك من هجوم سير جيوس ؟

بلنتشلى : (بابتسامة عريضة) لا : لقد سروا بذلك ، لانهم هم
انفسهم لو كانوا مكاني لولوا الادبار .

رانيا : (تسير الى المائدة وتنحنى عليها في مواجهته) لا بد
ان القصة شاقتهم كثيرا : كل ذلك الكلام الذى
يتعلق بى وبغرفى .

بلنتشلى : قصة رائعة . ولكنى لم اسر بها الا لواحد منهم
صديق حميم .

رانيا : صديق تستطيع ان تطمئن كل الاطمئنان الى كتمانك ؟

بلنتشلى : كل الاطمئنان .

رانيا : كذا ! لقد حكى الموضوع كله لابی ولسير جيوس
يوم تبادلتهم الاسرى . (توليه ظهرها وتسير في لامبالاة
عبر الغرفة الى طرفها الآخر) .

بلنتشلى : (باهتمام شديد وهو يكاد لا يصدق) لا ! أنت
لا تعنين هذا !

رانيا : (تستدير ، بجدية مفاجئة) بل اعنيه وأعنيهِه .
ولكنهما لا يعرفان ان البيت الذى أويت اليه هو

هذا البيت . وإذا عرف سير جيوس هذا فسيتحدثك
للمبارزة ويقتلك .

بلنتشلى : يا منجى يارب ! اذن لا تحبريه

رانيا : أرجوك ان تترك المزاح يا كابتن بلنتشلى . ايمكنك
ان تدرك ماذا يعنى بالنسبة الىّ أن أخدعه ؟ أنا اريد
ان اكون كاملة الخصال مع سير جيوس : لاضعة ،
ولا اسفاف ، ولا خداع . علاقتى به هى الجزء
الوحيد الجميل والنبيل حقا ، فى حياتى . ارجو ان
يكون فى وسعك ان تفهم ذلك .

بلنتشلى : (مرتابا) تعين انك لا تريد ان يكتشف ان قصة
الفالودج المثلى كانت مجرد . . مجرد . . مجرد . .
أنت عارفة .

رانيا : (تجفل) أرجوك الا تتحدث عن هذا الموضوع
باستخفاف . لقد كذبت : اعرف ذلك . ولكنى
فعلت ذلك لا نقد حياتك . لولا هذا لقتلك . كانت
هذه هى المرة الثانية فى حياتى التى نطقت فيها بغير
الحق . (بلنتشلى يقوم بسرعة ويتطلع اليها فى شك
وفى شئ من الصرامة) هل تذكر المرة الاولى ؟

بلنتشلى : أنا ؟ لا . هل كنت حاضرا ؟

رانيا : نعم . قلت للضابط الذى كان يفتش عنك انك غير
موجود .

بلنتشلى : صحيح . كان الواجب ان اذكر هذا .

رانيا : (متشجعة الى حد كبير) طبعى ان تنسى أنت ذلك

اولا . لانه لم يكلفك شيئا . ولكنه كلفني كذبة !
كذبة ! !

(تجلس على الديوان العثماني تنظر امامها مباشرة
ويدها مشبوكتان حول ركبتيها ، بلنتشلي ، في
تأثر شديد يذهب إلى الديوان العثماني بهيئة يراعى
فيها ان تبعث على الاطمئنان وتكشف عن الاحترام
الفائق ، يجلس بجوارها .)

بلنتشلي : لا تدعى الأمر يزعجك يا آنستي العزيزة . تذكرى :
انى جندى . الآن ما الشيطان اللذان يحدثان
للجندي بكثرة تجعله لا يعيرهما اهتماما ؟ أول هذين
الشيئين هو سماع الناس وهم يكذبون (رانيا
تؤخذ) الثانى هو انقاذ حياته بكافة أنواع الطرق
على يد كافة انواع الناس .

رانيا : (تنهض باحتجاج واستياء) وهكذا فانه يصبح
مخلوقا عاجزا عن الانجلاص والاعتراف بالجميل .

بلنتشلي : (يزوى وجهه) هل يعجبك الاعتراف بالجميل ؟
أما أنا فلا . إذا كانت الشفقة قريبة من الحب
فالاعتراف بالجميل قريب من الشيء الآخر .

رانيا : الاعتراف بالجميل ! (تستدير لتواجهه) إذا لم
تكن قادرا على الاعتراف بالجميل فانت غير قادر
على أى شعور نبيل . حتى الحيوانات تعترف
بالجميل . على العموم ، أنا الآن أرى بالضبط رأيك
في ! أنت لم تندعش حين سمعتنى اكذب . كان
ذلك بالنسبة لك شيئا ربما كنت امارسه كل يوم !

بل كل ساعة ! ! هذا هو رأى الرجال في النساء .
(تدرع الغرفة بهيئة تراجيدية) .

بلنتشلى : (شاكا) . كل شيء له علة . لقد قررت انك لم
تكذبى في حياتك كلها سوى كذبتين .

يا آنسى العزيزة : اليس في ذلك مبالغع في التهوين ؟
أنا شخصا رجل مستقيم للغاية ، ومع ذلك فانالا
استطيع ان اسلم بذلك يوما كاللا .

رانيا : (ترمقه بشموخ) أتدرك ياسيدى انك نهينى ؟

بلنتشلى : بالرغم منى . انك حين تتخذين ذلك المظهر النيل
وتتحدثين بذلك الصوت المؤثر فانى اعجب بك
ولكننى اجد نفسى عاجزا عن تصديق كلمة واحدة
مما تقولين .

رانيا : (بعزة) كابتن بلنتشلى !

بلنتشلى : (لايهتز) نعم .

رانيا : (تقف فوقه كما لو كانت لا تصدق حواسها)
أتعنى ما قلته منذ لحظة ؟ أتعرف ماذا قلت منذ
لحظة ؟

بلنتشلى : أعرف .

رانيا : (تلهث) أنا ! أنا ! ! ! (تشير إلى نفسها غير
مصدقة كأنها تقول « أنا ، رانيا بتكوف ،
أكذب ! » يواجه نظرتها دون أن تبدو عليه بادرة
تحاذل . فجأة تجلس إلى جواره وتضيف وقد
تغيرت طريقتها تماما من اللهجة البطولية إلى لهجة
ألفه طفولية) كيف اكتشفت حقيقتى ؟

بلنتشلى : (دون تردد) بالفراصة يا آنسى العزيزة . بالفراصة
ونخبرة الناس .

رانيا : (متعجبة) اتعرف ؟ أنت أول رجل صادفته في حياتي
لم يحملني على سبيل الجسد .

بلنتشلى : تعنين — اليس كذلك — اننى أول رجل أخذك على
سبيل الجسد تماما ؟

رانيا : نعم : أظنى اعنى ذلك . (في استرخاء وفي لهجة
ليس فيها اثر للتوتر) ما اغرب ان يتحدث الينا أحد
بهذا الشكل ! سأقول لك شيئاً . لقد كنت دائماً هكذا

بلنتشلى : تقصدين الـ . . ؟

رانيا : اقصد المظهر النحيل والصوت المؤثر (يضحكان معا)
كنت افعل ذلك وانا طفلة صغيرة مع مرييتى .
وكانت هى تصدق ذلك . وأفعله مع والدى . وهما
يصدقانه . وأفعله مع سير جيوس وهو يصدقه .

بلنتشلى : نعم : هو ذاته الى حد ما من نفس الطراز . أليس
كذلك ؟

رانيا : (تباغت) اتظن ذلك ؟

بلنتشلى : انت تعرفينه اكثر مما أعرفه .

رانيا : انى لأتساءل هل هو كذلك ؟ ان ذلك إذا خطر على
بالى . . (مثبطة العزيمة) أيا كان الأمر : ماذا يهم ؟
اعتقد انك بعد ان اكتشفتنى ، تحتقرنى .

بلنتشلى : (بحرارة ، ينهض) كلا يا آنسى العزيزة ، كلا ،
كلا والف مرة كلا . ان ذلك جزء من شبابك :

جزء من سحرك . ان شأني في ذلك شأن الباقيين
جميعا : المريية ووالديك وسير جيوس : انا من
المعجبين المدلهين بك .

رانيا : (مسرورة) حقا ؟

بلنتشلي : (يصفع صدره بيده برشاقة على الطريقة الالمانية)
يدى على قلبي . حقا وصدقا .

رانيا : (في غاية السعادة) ولكن ماذا كان ظنك بي حين
اهديتك صورتى ؟

بلنتشلي : (مندهشا) صورتك ! أنت لم تهدينى صورتك قط .

رانيا : (بسرعة) اتعنى انك لم تحصل عليها ابدا ؟

بلنتشلي : ابدا (يجلس بجوارها باهتمام متجدد ويسأل في
شئ من الرضا الذاتى) متى ارسلتها الى ؟

رانيا : (مستنكرة) انا لم ارسلها لك . (تشيح بوجهها
وتضيف بالرغم منها) لقد كانت في جيب تلك
السترة .

بلنتشلي : (يزم شفثيه ويكور عينيه) أوووه ! انا لم أعثر
عليها ابدا . لا بد انها لا تزال في مكانها .

رانيا : (تقفز واقفة) لا تزال في مكانها ! لكى يجدها ابى
مجرد ان يضع يده في جيبه ! يا الهى . كيف امكنك
ان تكون بهذا الغباء ؟

بلنتشلي : (ينهض هو الآخر) لا يهم : ماهى سوى صورة
فوتوغرافية : انى له أن يعرف من أجل من
وضعت ؟ أخبريه انه وضعها هناك بنفسه .

رانيا : (بمرارة) أجل : منتهى البراعة ! أليس كذلك؟
(تكاد تجن) كيف اتصرف يا الهى ؟

بلنتشلى : ها . فهمت لقد كتبت عليها شيئا . كان هذا تهورا منك .

رانيا : (تكاد تنهمر دموعها من الغضب) وافعل هذا من أجلك انت الذى لا تعباً بى الا لكى تجعل منى موضعا لسخريتك ! هل انت واثق ان احدا لم يمسه ؟

بلنتشلى : ليس في امكاني حقيقة ان اقطع بذلك ، والحق أنه لم يكن في وسعى ان احملها معى طول الوقت فان المرء منا لا يستطيع وهو في الخدمة ان يحمل معه متاعا كثيرا .

رانيا : وما الذى فعلته بها ؟

بلنتشلى : حين انتهى بى المطاف إلى « بيرت » كان علىّ بطريقة ما أن اضعها في مكان أمين . وقد فكرت في غرفة حفظ المعاطف بمحطة السكة الحديدية ، ولكن هذا المكان هو أول مكان يتعرض للسلب في الحرب . لذا فقد رهنتها .

رانيا : رهنتها ! !

بلنتشلى : اعلم أن وقع ذلك لا يبدو لطيفا ، ولكنها كانت أضمن خطة . وقد استرددتها أول من أمس . والله وحده يعلم ما إذا كان صاحب محل الرهونات قد أنجلى الجيوب أولا .

رانيا : (في ثورة : تقذف بالكلمات في وجهه قذفا)
ان عقليتك عقلية صاحب حانوت وضيع . انت
تفكر في اشياء لا تخطر على بال جنتلمان .

بلنتشلى : (دون ان يفعل) هذه هى سمة السويسريين القومية
ياسيدتى العزيزة . (يعود إلى المائدة) .

رانيا : بودى لو لم أعرفك قط . (تنفر مبتعدة وتجلس عند
النافذة وهى تتميز من الغيظ) .

(لوكا تدخل وعلى صينيتها كومة من الخطابات
والبرقيات وتعبّر الغرفة بمشيتها الجريئة الحرة ، الى
المائدة . كمها الايسر مربوط إلى كتفها بمشبك .
ذراعها العارى يبدو منه وقد غطيت فيه الحزة
بسوار عريض مذهب .

لوكا : (الى بلنتشلى) لك ، (تفرغ ما على الصينية بنشره
على المائدة) . الرسول في الانتظار . (هى مصممة
على الا تكون مؤدبة حيال عدو حتى إذا اضطرت
إلى حمل خطاباته اليه) .

بلنتشلى : (لرانيا) عن اذنك . آخر بريد تسلمته يرجع
تاريخه إلى ثلاثة أسابيع مضت . هذه رسائل
متراكمة لاحقة . اربع برقيات : ارسلت منذ
اسبوع . (يفتح احداها) . وأسفاه : اخبار
سيئة !

رانيا : (تنهض وتقرب قليلا بشئ من ندم) أخبار سيئة ؟

بلنتشلى : والدى توفي . (ينظر الى البرقية وقد زم شفثيه
وهو يفكر في التغيير غير المتوقع الذى سيطراً

على براجه . لو كا تبادر الى رسم علامة الصليب
على صدرها) .

رانيا : يا للخبر المحزن !

بلنتشلي : نعم : سأضطر الى السفر الى بلدى في ظرف . ساعة
لقد ترك وراءه كثيرا من الفنادق الكبرى ولا بد
من العناية بأمرها (يلتقط خطابا داخل مطروف
طويل ازرق) هذا خطاب طويل عريض من محامى
العائلة . (يسحب المرفقات ويلقى عليها نظرة)
يا الله السموات ! سبعون ! مائتان : (وذوله
يترايد) اربعمائة ! أربعة آلاف ! ! تسعة آلاف
وستمائة !!! ماذا بحق السماء أفعل بكل هذا ؟

رانيا : (باستحياء) تسعة آلاف فندق ؟

بلنتشلي : فندق ! هراء . آه لو عرفت ! الامر مضحك للغاية !
لاتواخذيني . لا بد ان اعطى رفيقى تعليمات بشأن
الرحيل . (يترك الغرفة على عجل وفي يده
المستندات) .

لوكا : (وهي تدرك ادراكا غريزيا ان في وسعها ان تغیظ
رانيا بالخط من قدر بلنتشلي) ذلك السويسرى
عديم الشعور . لم ينطلق بكلمة حزن واحدة على ابيه .

رانيا : (بمرارة) حزن ! رجل قضى سنوات وهمه الوحيد
قتل الناس ! ماذا يهمه ؟ ماذا يهم اى جندى ؟
(تمضى الى الباب وهي تغالب دموعها بصعوبة) .

لوكا : الميجور سارانوف هو الآخر كان يحارب . ومع
ذلك فلا يزال شعوره حيا الى حد كبير . (رانيا ،

لدى الباب ، ترفع قامتها في أنفة وتخرج (.
ها ! كنت اتوقع الاتنالي شعورا كثيرا من جنديك.
(تتبع رانيا واذا نيقولا يدخل وبين ذراعيه حمولة
من الكتل الخشبية للمدفأة) .

نيقولا : (يتسهم لها بهيام) لقد أمضيت العصر كله أحاول
ان اختلى بك دقيقة يافتاني . (تنقلب سحنته حين
يلحظ ذراعها ،) . اى « مودة » تلك التى جعلتك
ترفعى كمك أيتها الطفلة ؟

لوكا : (بفخر) « مودتى » الخاصة .

نيقولا : حقا ! . اذا ضببتك السيدة فسيكون لها معك
حديث . (يضع الكتل الخشبية على الارض ويجلس
على الديوان العثماني في وضع مستريح) .

لوكا : وهل هذا سبب يجعلك تأخذ على عاتقك ان تحدثنى

نيقولا : هدئي نفسك ! لا تقفى منى هذا الموقف العدائي .
ان عندى لك أخبارا طيبة . (تجلس الى جواره .
يخرج بعض النقود الورقية . لوكا تحاول ، بوميض
نهم في عينيها ، ان تخطفها ولكنه ينقلها بسرعة
الى يده اليسرى بعيدا عن متناولها) . انظرى !
ورقة بعشرين ليفا ! سيرجيوس أعطاني هذه لمجرد
التباهي . الاحمق ونقوده سرعان مايفترقان .

وهذه عشر ليفات أخرى . السويسرى نفحنى بهذا
المبلغ لاني أيدت أكاذيب السيدة رانيا بخصوصه .
اما هو فليس بالاحمق . لا) . ليتك سمعت العجوز
كاترين تحت وهي تخاطبنى في غاية الادب

وتناشدني الا اغضب من عصبية الميجور ذلك انهم
يعرفون اى خادم ممتاز أنا . . بعد ان رموني
بالخبل والكذب بمشهد من الجميع ! العشرون ليفا
ستذهب الى مدخراتنا ، وسأعطيك العشرة لتنفقيها
ولكن بشرط ان تخاطبيني لتذكريني باني انسان .
ان التعب ينال مني احيانا من كوني خادما .

لوكا : أجل : بع رجولتك بتلاتين ليفا واشتريني بعشرة !
(تنهض باحتقار) نخل نقودك لك . لقد ولدت
لتكون خادما . اما انا فلا . وحين تفتح حانوتك
فستكون خادما لدى الناس جميعا بدلا من خادم
لدى احدهم . (تمضي منحرفة المزاج الى المائدة
وتجلس كملكة على كرسي سيرجيوس) .

نيقولا : (يحمل كتله الخشبية ويسير الى الموقد) انتظري حتى
تري . ستكون لنا امسياتنا لا يشاركنا فيها أحد .
وسأكون سيدا في بيتي . (يلقي الكتل الخشبية من
يده ويركع امام المدفأة) .

لوكا : لن تكون ابدا سيدا في بيتي .

نيقولا : (يستدير وهو لا يزال على ركبته ويقعى بابتئاس
وقد ثبط همته از دراوؤها الذي لاسيل الى تغييره)
ان فيك يالوكا طموحا كبيرا ولكن تذكرى :
اذا حالفك الحظ يوما فاني انا الذي جعلت منك
امراة .

لوكا : أنت !

نقولا : (ينهض بصعوبة ويذهب اليها (أجل ، أنا .
من الذى جعلك تكفين عن اضافة رطلين من
الشعر الاسود المستعار الى رأسك وعن طلاء شفتيك
وخديك بالاحمر كأى فتاة بلغارية أخرى .

انا . من الذى علمك ان تقصى أظفارك وتنظف
يدك وتحرصي على اناقتك كسيدة روسية من علية
القوم ؟ انا : اتسمعين ماقول ؟ أنا ! (ترفع
رأسها بتحد وينصرف هو عنها مستطردا بنبرة
اهداً) كثيرا مافكرت انه اذا حدث وازيحت
رانيا من الطريق وكنت انت اقل حماقة مما أنت
بقليل وكان سيرجيوس اكثر حماقة مما هو بقليل ،
فان من غير المستبعد ان تصبحي عميلة من أحسن
عملائي بدلا من ان تكوني زوجة لي وتكلفيني
نقودا .

لوكا : اعتقد انك لو خيرت لفضلت ان تكون خادما
عندى بدلا من أن تكون زوجي ، ولو كنت كذلك
لخدمتني اكثر . أنا أعرف طبيعتك .

نقولا : (يقترب منها ليكون لكلماته وقع اكبر) دعى
طبيعتي وشأنها . كل ماأطلبه هو ان تستمعى
لنصحي . اذا أردت أن تكوني سيدة محترمة فان
سلوكك الراهن حيالي لن يكون مقبولا اللهم
الاحين نكون في خلوة . ان فيه حدة وصفاقة
والصفاقة نوع من المباشطة : وهي تدل على اعزاز
تجاهي . ولاتحاولي ايضا ان تتعالى وتتكبرى علي .
انك تشبهين كل فتيات الريف : أنت تظنين ان

الرقى ان تعاملى خادما بالطريقة التى أعامل أنا بها
صبي الاصطبل . جهلك وحده هو الذى يدفعك
الى هذا . لاتنسى هذا . ولا تكونى هكذا متحفزة
لتحدى الناس جميعا . ليجىء تصرفك كما لو كنت
تنفذى ارادتك لا كما لو كنت قد توقعت ان تتلقى
اوامر الآخرين . ان الطريق الذى يقودك لتكونى
سيدة هو نفس الطريق الذى يقودك لتكونى خادمة :
يجب ان تعرفى مكانك : هذا هو سر الصنعة .
ولك ان تطمئني الى انى سأعرف مكانى اذا حدث
وارتفع قدرك . فكرى فى هذا يا بنيتى سأقف الى
جانبك : ان من واجب الخادم ان يناصر خادما
مثله .

لوكا : (تنهض فى تدمر) لن اتصرف الا بطريقتى الخاصة .
أنت تجردني من كل شجاعتي بحكمتك الميتة .
اذهب وضع تلك الكتل فى النار : هذا هو نوع
الامور التى تفهمها .

(قبل ان يتاح لنيقولا ان يرد ، يدخل سيرجيوس .
يراجع نفسه لحظة حين يرى لوكا ، ثم يمضى
الى المدفأة .)

سيرجيوس : (الى نيقولا) ارجو الا اكون قد ازعجتك فى
عملك .

نيقولا : (فى نبرة ناعمة وباحترام) لا ، لياسيدى :
شكرا لعطفك . كنت فقط احادث هذه الفتاة
الحمقاء عن عاداتها فى الجوى الى هذه المكتبة

كلما سنحت لها الفرصة لتنظر الى الكتب . هذا
أسوأ ما في تربيتها ياسيدى . انه يغرس فيها عادات
فوق طبقتها . (للوكا) رتبى تلك المائدة يالوكا
للسيد الميجور . (يخرج بأدب) .

(لوكا ، دون ان تنظر الى سيرجيوس ،
تتظاهر بترتيب الاوراق على المائدة . يعبر الغرفة
اليها ببطء ويمعن النظر في الطريقة التي رفع بها كمها .

سيرجيوس : دعنى ار : هل هناك علامة ؟ (يرفع الاسورة
بحركة دائرية ويلحظ الحزة التي احدثتها قبضته .
تقف بلا حراك دون ان تنظر اليه : مخلوبة اللب ،
ولكن في حذر) أف ف ف ف ! هل تؤلمك ؟
لوكا : نعم .

سيرجيوس : اتريدن ان أشفيك منها ؟

لوكا : (تسحب نفسها فوراً بأنفة ولكنها لاتزال تتفادى
النظر اليه) لا . لن تستطيع الآن شفاءها .

سيرجيوس : (بلهجة السيد) متأكدة ؟ (تصدر منه حركة
كما لو كان يريد ان يحتويها بين ذراعيه) .

لوكا : ارجو الاتهزأ بي . لاينبغى لضابط ان يهزأ بخادمه .

سيرجيوس : (يشير الى الحزة بجرة مؤلمة من اصبعه) تلك لم
تكن هزأاً يالوكا .

لوكا : (تجفل ، ثم تنظر اليه للمرة الاولى) هل انت آسف ؟

سيرجيوس : (بتوكيد محسوب وهو يشبك ذراعيه) انا
لاآسف قط .

لوكا : (باكتئاب) ليتنى استطيع ان اصدق ان رجلا من الرجال يمكن ان يختلف عن المرأة الى هذا الحد . اني . اتساءل هل انت حقيقة رجل شجاع ؟

سيرجيوس : (دون ان يتأثر ، يلطف من نبرته) نعم : انا رجل شجاع جدا . لقد انخلع قلبي كقلب امرأة عند أول طلاقة ، ولكن اكتشفت عند الهجوم اني كنت شجاعا . نعم : هذا على الاقل حقيقي فيما يتعلق بي .

لوكا : هل وجدت في الهجوم ان الرجال الذين آباؤهم فقراء كأبي كانوا أقل شجاعة من الرجال الاغنياء مثلك ؟

سيرجيوس : (بنخفة مرة) على الاطلاق . لقد كانوا كلهم يضربون ويلعنون ويصيحون كالابطال . لكن شجاعة الغضب والقتل شجاعة رخيصة . ان عندى كلبا انجليزيا كبيرا من فصيلة الترير يملك من تلك الشجاعة ما تملكه الامة البلغارية بأكملها ومن ورائها الامة الروسية ولكن مع ذلك يسمح لسائس بأن يجلده . هذا هو جنديك بكل صفاته ! لا يالوكا : رجالك الفقراء لديهم القدرة على قطع الرقاب ولكنهم يخافون ضباطهم . هم يتحملون الاهانة والضرب . هم يقفون « انتباه » ويشاهدون بعضهم البعض وهم يعاقبون كالأطفال : بل ويعاونون في العملية حين يؤمرون بذلك . اما الضباط ! ! ! (بضحكة قصيرة خشنة) انا

ضابط . (بحماس) اثنى برجل مستعد لأن
يتحدى الى الموت اى قوة في الارض او في السماء
تتحدى لارادته وضميره : هذا الرجل وحده
هو الرجل الشجاع .

لوكا : ما أسهل الكلام ! ينخيل الي ان الرجال لا يكبرون
ابدا : كلهم لديهم افكار كأفكار التلاميذ . انت
لا تعرف ما هي الشجاعة الحق .

سيرجيوس : (ساخرا) صحيح ! أنا على استعداد لتلقى درس
في هذا . (يجلس على الديوان العثماني باسطا
ذراعيه وقدميه في عظمة) .

لوكا : انظر اليّ ! الى اىّ حد يسمح لي انا بأن انفذ
ارادتي ؟ ان عليّ ان اعد لك غرفتك : ان اكنس
وامسح ، ان احضر الاشياء واحملها . كيف
يحط ذلك من قدرى إذا كان لا يحط من قدرك
ان تؤدى لاجلك هذه الاعمال ؟ ولكن (بفوز
انفعال مكبوتة) لو اننى كنت امبراطورة روسيا ،
اى ذات مقام يعلو على مقام اى انسان في العالم ،
فعندئذ ! نعم عندئذ ، رغم اننى في رأيك عاجزة عن
اظهار اى قدر من الشجاعة ، سترى . أجل سترى .

سيرجيوس : ماذا كنت تفعلين يا أعرق امبراطورة في الدنيا ؟

لوكا : اتزوج الرجل الذى احبه وهو مالا تستطيع ان
تفعله اى ملكة في أوربا . اذا كنت أنت من أحب
حتى اذا كنت ادنى منى وكانت المسافة بينى
وبينك كالمسافة بينك وبينى ، لجروئت على ان

أكون في مستوى من هو أقل مني . هل تجرؤ أنت
على فعل نفس الشيء لو أنك أحببتني ؟ لا : انك
إذا شعرت بمبادئ حب لي فلن تترك هذا الحب
ينمو . لن تجرؤ على ذلك : وستزوج ابنة رجل
ثرى لانك ستخشى ما يقوله الناس عنك .

سيرجيوس : (يقفز واقفا) هذا كذب : اقسم بكل نجوم السماء
ليس الامر كذلك . انا اذا احببتك ، ولو كنت
قيصر روسيا بجلالة قدره ، فسأضعك على العرش
بجوارى . انت تعرفين اني احب امرأة اخرى ،
امرأة المسافة بينها وبينك كالمسافة بين السماء
والارض وأنت تغارين منها .

لوكا : ليس عندي ما يحملني على ذلك . هي لن تزوجك
الآن ابدا . لقد عاد الرجل الذي حدثتك عنه .
ستزوج السويسري .

سيرجيوس : (يتراجع) السويسري !

لوكا : رجل يساوي عشرة من امثالك . عند ذلك تستطيع
ان تأتي الى . وسأرفضك . انت أقل من ان تصلح
لي . (تتجه الى الباب) .

سيرجيوس : (يشب خلفها ويمسكها بوحشية بين ذراعيه)
سأقتل السويسري ، ثم أفعل ما يحلو لي معك .

لوكا : (بين ذراعيه سلبية وفي اصرار) من الجائز ان
السويسري هو الذي سيقتلك . لقد غلبك في الحب
وقد يغلبك في القتال .

سيرجيوس : (معذبا) اتظنين انني اصدق انها .. هي - واسوأ أفكارها أعلى من أحسن أفكارك - تقدر على مغازلة رجل آخر من وراء ظهري ؟

لوكا : وهل تظن انها تصدق السويسري اذا قال لها الآن انني بين ذراعيك .

سيرجيوس : (يرفع يديه من عليها في قنوط) اللعنة ! اللعنة .
ياالسخرية ! سخرية في كل مكان ! كل شيء اعتقده
يسخر منه كل شيء افعله . (يضرب نفسه على صدره في حالة من الهياج الشديد) انا جبان !
وكاذب ! واحمق ! هل أقتل نفسي كرجل او
أعيش وأتظاهر بالتهكم على نفسي ؟ (تتحول
مرة ثانية لتذهب) . لوكا ! (تتوقف قريبا من
الباب) تذكرى : انت ملكي .

لوكا : (تستدير) مامعنى هذا ؟ اهانة ؟

سيرجيوس : (في لهجة آمرة) معناه انك تحيينى واننى قد
احتويتك هنا بين ذراعى وقد احتويك بينهما
مرة أخرى . وسواء كانت هذه اهانة ام لم تكن
فشيء لا اعرفه ولا اكرث له : خذها كما
تشائين . ولكننى (بقوة) لن اكون جباناً او عابثاً .
اذا راق لي ان احبك فاني اجروء على الزواج منك
رغم أنف بلغاريا كلها . واذا مستك هاتان اليدان
بعد الآن فستمسان الخطيبة التي سأأخذها زوجة .

لوكا : سترى ما اذا كنت ستجروء على الوفاء بوعدك .
وليكن في علمك اننى لن انتظر طويلا .

سيرجيوس : (يطوى ذراعيه ثانية ويقف بدون حراك في منتصف الغرفة) نعم : سري . وسنتظرين ماشاء لي انا الانتظار .

(بلنتشلي ، يدخل مشغول البال جدا والاوراق لاتزال في يده ، ويترك الباب مفتوحا لتخرج منه لوكا . يعبر الغرفة الى المائدة ويرمقها وهي تمر . سيرجيوس يرقبه طويلا دون ان يغير مظهر التصميم الذى يرتسم على وجهه . تخرج لوكا وتترك الباب مفتوحا .)

بلنتشلي : (يجلس شاردا في مكانه السابق الى المائدة ويضع اوراقه عليها) هذه فتاة بارعة الجمال .

سيرجيوس : (بصرامة ودون ان يتحرك) كابتن بلنتشلي .

بلنتشلي : هل تناديني ؟

سيرجيوس : لقد خدعتني . أنت منافس وأنا لاأطبق منافسا . في الساعة السادسة سأكون في ارض التدريب في طريق كليسورا ، بمفردى ممتطيا جوادى ومنتضيا سيفي . هل فهمت ؟

بلنتشلي : (محمقا ولكنه يجلس في وضع مريح) شكرا . هذا تحدى رجل من سلاح الفرسان . ولكننى من سلاح المدفعية ، وانا الذى يحق لي اختيار السلاح . لذا فاني اذا ذهبت فساخذ معي مدفعا رشاشا ولن يكون هناك هذه المرة خطأ في الطلقات .

سيرجيوس : (يصعد الدم الى وجهه ولكنه يقول بهدوء قاتل)

اني أحذرك ياسيدى . ليس من عادتنا في بلغاريا
ان نسمح لاحد بان يسخر من مثل هذه الدعوة .

بلنتشلي : (بحرارة) هه ! لاتحدثنى عن بلغاريا . انتم
لاتعرفون ماهو القتال . ولكن ليكن لك ماتريد .
احضر معك سيفك . سأقابلك .

سيرجيوس : (في شدة الابتهاج لانه وجد في خصمه رجلا
ذا همة) لافض فوك ايها السويسرى هل اعيرك
خير جىادى ؟

بلنتشلي : لا : اللعنة على خير جىادك ! مع ذلك فلك الشكر
ياصاحبي العزيز . (رانيا تدخل وتسمع الحملة
التالية) سأقاتلك راجلا : القتال على الجياد بالغ
الخطر وانا لا اريد ان أقتلك اذا كان لي من ذلك
مناص .

رانيا : (تهرع الى الامام مذعورة) سيرجيوس . لقد
سمعت مقاله الكابتن بلنتشلي . فيم هذه المبارزة
(سيرجيوس يعرض عنها دون ان ينبس ويسير الى
المدفأة ويقف عندها . يرقبها وهي تستطرد موجهة
الحديث الى بلنتشلي) ، فيم قتالكما ؟

بلنتشلي : لأعرف : هو لم يخبرني . أرجو الا تتدخلى ياآنستي
العزيزة . لن يحدث مكروه : لقد اشتغلت كثيرا
كمعلم للمبارزة بالسيف . لن يتمكن من لمسي وانا
لن اوذيه . وسيغنيانا ذلك عن الشرخ . وفي الصباح
سأكون قد رحلت الى بلدى ولن ترينني او تسمعى

عني ثانية ، وبعدها ستصطلحان وتعيشان في سعادة
الى آخر الزمن .

رانيا : (تستدير مبتعدة وقد جرحت عواطفها جرحا عميقا
بصوت يكاد يكون باكيا) انا لم أقل ابدا اني
لا اريد ان اراك ثانية .

سيرجيوس : (يخطو الى الامام) ها ! هذا اعتراف .

رانيا : (في ترفع) ماذا تعني ؟

سيرجيوس : انت تحيين هذا الرجل !

رانيا : (باستنكار) سيرجيوس !

سيرجيوس : انت تسمحين له بمغازلتك خلف ظهري ، تماما كما
تعامليني كخطيئك خلف ظهره . بلنتشلي : انك
كنت تعرف علاقتنا وقد خدعتني . لهذا السبب
طلبتك لاناقشك الحساب ، لا لانك نلت منها عطفًا
لم أحظ انا بمثله .

بلنتشلي : (ينثر واقفا بامتعاض) هراء . كلام فارغ . انا لم
اتلق عطفًا مما تدعيه . الانسة لا تعرف حتى ماذا
كنت متزوجا او عزب .

رانيا : (تنسى نفسها) أوه ! (تنهار على الديوان العثماني)
هل أنت متزوج ؟

سيرجيوس : ها أنت ترى اهتمام الانسة ياكابتن بلنتشلي . من
العبث محاولة الانكار . لقد تفضلت واستقبلتك في
غرفتك الخاصة في ساعة متأخرة من الليل . .

بلنتشلي : (يقاطع بسخرية لاذعة) نعم ، أيها الابله !

استقبلتني ومسدسي مصوب الى رأسها . كان فرسانك
في اعقابى لو ان لسانها قد ارتفع بصيحة واحدة
لهشمت رأسها بطلقة منه .

سيرجيوس : (مذهولا) بلنتشلي ! رانيا : هل هذا صحيح ؟

رانيا : (تنهض بجلال وهي في غاية الغضب) كيف تسمح
لنفسك ، كيف تسمح لنفسك ؟ !

بلنتشلي : قدم اعتذارك يارجل : قدم اعتذارك . (يعود الى
مقعده لدى المائدة) .

سيرجيوس : (بلهجة التوكيد القديمة الموزونة وهو يشبك ذراعيه)
انا لا اعتذر ابدا !

رانيا : (منفعة) هذا من فعل صديقك ، يا كابتن
بلنتشلي . هو الذى اذاع عنى هذه القصة الفظيعة .
(تجوس في الغرفة ثائرة الاعصاب) .

بلنتشلي : كلا : لقد مات هذا الصديق . احرق حيا !

رانيا : (تتوقف مصدومة) أحرق حيا ؟

بلنتشلي : اصيب في عجزه بعيار في فناء لتخزين الخشب ،
ولم يستطع ان يجر نفسه خارجه . وقد اشعلت اعيرة
جماعتك النار في الخشب واحرقته مع اثني عشر
مسكينا شاركوه نفس المصير .

رانيا : يا للفظاعة !

سيرجيوس : ويا للسخف ! آه . الحرب ! الحرب ! حلم
المواطنين والابطال ! انها خدعة يا بلنتشلي . زيف
فارغ ، كالحب .

رانيا : (في شدة الغضب) كالحب تتفوه بذلك أمامي !
بلنتشلي : لاعليك يا سارانوف : لقد انتهينا من شرح هذه
المسألة .

سير جيوس : اقول زيف فارغ . إذا لم يكن قد حدث بينكما شيء
الا تحت تهديد فوهة مسدسك فهل كنت تعود الى
هنا ثانية . رانيا مخطئة في شأن صديقك الذي احترق .
لم يكن هو مخبري .

رانيا : من اذن ؟ (تخمن الحقيقة فجأة) آه . لو كا !
وصيفتي ! خادمتي ! لقد كنت معها هذا الصباح
طيلة الوقت بعد . . . ويلي . . . اي نوع من الآلهة هذا
الذي كنت اعبدته ! (يقابل نظرتها باستمتع تهكمي
بخفية ظنها . يزيد ذلك من غضبها . تقترب منه
وتهتف بنبرة اقل ارتفاعا واكثر عمقا) أتدرى اني
نظرت من النافذة وانا صاعدة الى الدور الاول لالتي
نظرة أخرى على بطل واني ابصرت شيئا لم اجد له
في ذلك الوقت تعليلا . الآن عرفت انك كنت تغازلها

سير جيوس : (بحق مكفهر) رأيت ذلك ؟

رانيا : وملاأت منه عيني . تتحول مبتعدة وترتمي على
المقعد تحت النافذة الوسطى وقد قاض بها الكيل .

سير جيوس : (بتهكم) رانيا : لقد تحطم غرامنا . انما الحياة مهزلة

بلنتشلي : (الى رانيا ، بنظرة غريبة) رأيت : لقد وجد
نفسه الآن .

سير جيوس : (يذهب اليه) بلنتشلي : لقد سمحت لك ان تلقيني

بالإبله . لك الآن ان تلقيني بالجبان أيضا . انا ارفض
منازلتك . اتعرف لماذا ؟

بلنتشلى : لا ، ولكن هذا لا يهم . أنا لم اسأل عن السبب
عندما تحدثتني ولن اسأل عن السبب الآن وقد سحبت
تحدثك . أنا جندى محترف : اقاتل حين اضطر الى
ذلك ويسرنى جدا ان اعفى من القتال حين لا تكون
هناك ضرورة له . اما أنت فهماو : القتال في نظرك
تسليه .

سير جيوس : (يجلس الى المائدة وجها لوجه معه) ستسمع السبب
رغم هذا يا سيدى المحترف . السبب هو ان أى نزال
حقيقى يتطلب رجلين . . رجلين بمعنى الكلمة . . لكل
منهما قلب رجل ودم رجل وشرف رجل . انا
لا استطيع ان انازلك باكثر مما استطيع ان اغازل
امراة دميمة . أنت مجرد من الحيوية : أنت لست
رجلا : أنت آلة ميكانيكية :

بلنتشلى : (معتذرا) تمام . تمام . لقد كنت دائما هذا
الصنف من الرجال . آسف جدا .

سير جيوس : هـه !

بلنتشلى : والآن وبعد ان اكتشفت ان الحياة ليست مهزلة
ولكنها شىء معقول وجدى تماما ، اى عقبة جديدة
تعرض سعادتك ؟

رانيا : (تقدم) عطف منك ان تهتم بسعادته وسعادتى . هل
نسيت حبه الحديد . . لو كا ؟ لست انت الذى يجب
ان يبارزه الآن ولكن منافسه . . نيقولا . .

سير جيوس : منافسى ! ! (يتفزز قفزة تصل به الى وسط الغرفة)

رانيا : ألا تعرف انهما مخطوبان ؟

خير جيوس : نيقولا ! هل تفتح اغوار جديدة ؟ نيقولا ! !

رانيا : (بسخرية لاذعة) تضحية تصدم الشعور ، أليس

كذلك ؟ مثل هذا الجمال ! مثل هذا الذكاء ! مثل

هذا الحياء ! تبدو على خادم متوسط العمر . حقيقة

يا سير جيوس ، انت لا تستطيع ان تقف مكتسوف

اليدين وتسمح بشيء من هذا القبيل . لو فعلت

لخرجت على مقتضيات الشهامة .

سير جيوس : (يفقد كل سيطرته على نفسه) أيتها الافعى !

أيتها الافعى ! (ينطلق جيئة وذهابا وهو يزجر) .

بلنتشلى : اسمع يا سارانوف : انت الخاسر في هذا .

رانيا : (يزداد غضبها) أتدرك ما فعل يا كابتن بلنتشلى ؟

لقد نصب تلك البنت جاسوسة علينا . ومكافأها هي

ان يطارحها الغرام .

سير جيوس : افتراء ! بشاعة !

رانيا : بشاعة ! (تواجهه) اتنكر انها اخبرتك عن وجود

الكابتن بلنتشلى في غرفتي ؟

سير جيوس : لا ولكن ..

رانيا : (لا تدعه يكمل) اتنكر انك كنت تطارحها

الغرام حين اخبرتك بذلك ؟

سير جيوس : لا ، ولكنى أقول ..

رانيا : (تقاطعه بازدراء) لا ضرورة لا فادتنا بأى شىء
آخر . حسبنا هذا . (توليه ظهرها وتسير بوقـار
عائدة الى النافذة) .

بلنتشلى : (بهدوء وسير جيوس ، وقد أمضيه الشعور بالخزى ،
يغوص في الديوان العثماني وهو يمسك رأسه المائل
بين قبضتيه) ألم اخبرك ياسارانوف انك الخاسر في
هذا ؟

سير جيوس : ايتها النمرة المتوحشة !

رانيا : (تجرى في هياج الى بلنتشلى) اسمعت الالهات التي
يوجهها الى هذا الرجل يا كابتن بلنتشلى ؟

بلنتشلى : وماذا يستطيع ان يفعل غير ذلك يا سيدتي العزيزة ؟
لا بد ان يدافع عن نفسه بصورة ما . هدئي اعصابك
(بلهجة اقناع قوية) لا تتشاحنا . أى خير في ذلك ؟
(رانيا تجلس لاهثة على الديوان العثماني وبعد
ان تبذل مجهودا فاشلا في التطلع الى بلنتشلى بوجه
غاضب ، تستسلم لطبيعتها المرحية وتميل الى الوراء
بروح طفولية مستندة الى كتف سير جيوس المختلج)

سير جيوس : مخطوبة الى نيقولا ! هنا ! هنا ! أنت محق (—)
يا بلنتشلى في عدم احتفالك بخدعة هذا العالم الضخمة .

رانيا : (بنبرة طريفة الى بلنتشلى وهي تتصور بالغريزة
ما يدور بخلداه) لعلك تظن اننا طفلان كبيران .

سير جيوس : (يبتسم بوحشية) فعلا : فعلا . المدنية السويسرية
تراقب كالمرية بربرية البلغار أليس كذلك ؟

بلنتشلى : (يحمر) اطلاقا ، أوكد لكما . كل ما في الأمر
انى مسرور لتوفيقى في تهدئة اعصابكما .
والآن لنكن ظرفاء ولنتحدث في الموضوع بروح
ودية . اين هي هذه الآنسة الاخرى ؟

رانيا : لعلها تسمع لدى الباب .

سيرجيوس : (يرتجف كما لو كان قد اصيب بغيار نارى ويتحدث
بأنفة هادئة وان تكن عميقة) سأثبت ان هذا على
على الاقل افتراء . (يذهب منتدا إلى الباب ويفتحه .
تصدر منه صرخة هياج وهو ينظر خارجه . ينطلق
في الممر ويعود وهو يجر لوكا وراءه ويدفعها بعنف
أمام المائدة وهو يصيح) اصدر عليها حكمك
يا بلنتشلى . انت ايها الرجل المحايد ، الذى لا ينفع
اصدر حكمك على مسترقة السمع .
(لوكا تظل رابطة الجأش ، أبية ، صامته .)

بلنتشلى : (يهز رأسه) لا ينبغي أن اصدر عليها حكما فذات
مرة استرقت انا السمع خارج احدى الخيام في وقت
كانت تدبر فيه حركة عصيان . المسألة كلها تتوقف
على مدى خطورة الباعث . لقد كانت حياتي
معرضة للخطر .

لوكا : وأنا كان حبي معرضا للخطر . انا لا أخجل من
التصريح بذلك .

رانيا : (بامتهان) حبك ! تعنين فضولك .

لوكا : (تواجهها وتورد الامتهان بمثله) حبي الذى
هو أقوى من أى شيء يمكن ان تشعرى به ،

حتى لجنديك . جندى كريمة الشوكلاته .

سيرجيوس : (بوسوسة سريعة ، الى لوكا) ماذا يعنى هذا الوصف ؟

لوكا : (بشراسة) يعنى ..

سيرجيوس : (يقاطعها باستخفاف) آه . تذكرت . الفالوذج هذه معايرة تافهة ايتها الفتاة !

(الميجور بتكوف يدخل بدون سترة .)

بتكوف : معذرة أيها السادة لدخولى بالقميص . رانيا : هناك شخص لبس سترتى تلك . انا مستعد لان اقسم على هذا . شخص يختلف شكل ظهره عن ظهري . لقد تمزقت السترة عند الاكمام . امك تقوم الآن برتقها . بودى لو اسرعت والا تعرضت للاصابة بنوبة برد . (ينظر اليهم بامعان اكبر) هل حدث شيء ؟

رانيا : لا . (تجلس على الموقد وعليها سمات الهدوء) .

سيرجيوس : لا أبدا . (يجلس عند طرف المائدة كما كان أولا) .

بلنتشلى : (الذى اتخذ مكانه منذ لحظة) لاشيء . لاشيء .

بتكوف : (يجلس على الديوان العثماني في مكانه القديم) عظيم . عظيم . (يلحظ لوكا) . هل حدث شيء يالوكا ؟

لوكا : لا يا سيدى .

بتكوف : (بحبور) عظيم . (يعطس) . اذهبي يا شاطرة من فضلك واحضري سترتى من سيدتك .

(يدخل نيقولا بالسترة . لوكا تتظاهر بان لديها

عملا في الغرفة فتنقل المنضدة التي عليها النارجيلة
بعيدا الى الجدار قريبا من النوافذ . (

رانيا : (تنهض بسرعة وهي ترى السترة على ذراع نيقولا)
هاهي ذى يا أبى . أعطنيها يا نيقولا واضف مزيدا
من الخشب الى المدفأة . (تأخذ السترة وتقدمها الى
الميجور الذى يقف ليرتديها . نيقولا يقوم بتغذية
النار بالخشب) .

بتكوف : (الى رانيا وهو يعاتبها بشغف) ها ! تراعين اباك
العجوز المسكين ليوم واحد فقط بعد عودته من
الحروب ؟

رانيا : (بعتاب جاد) كيف تقول لى هذا الكلام يا أبى ؟

بتكوف : لا تغضبي . لا تغضبي . أردت فقط ان امازحك .
يا صغيرتى . تعالى . اعطنى قبلة . (تقبله) . والآن
اعطنى السترة .

رانيا : لا . سألبسها لك بنفسى . أدر ظهرك . (يدير ظهره
ويتحسس بذراعه خلفه بحثا عن الكمين . تأخذ الصورة
الفوتوغرافية من الحيب ببراعة وتلقيها على المائدة
امام بليتشلى الذى يغطيها بفرخ ورق تحت بصر
سيرجيوس الذى يرقب العملية بدهشة وقد ثارت
وساوسه الى اقصى درجة . تساعد بعدها بتكوف
على ارتداء السترة) هكذا يا أبى الحبيب . والآن هل
تحس انك مستريح ؟

بتكوف : جدا يا حبيبتى الصغيرة . شكرا لك . (يجلس وتعود
رانيا الى مقعدها بالقرب من الموقد) . على فكرة .

وجدت شيئاً طريفاً . مامعنى هذا ؟ (يضع يده في الجيب الذى حدثت فيه عملية النشل) . ما هذا ! (يجرب الجيب الآخر) . أقسم . . ! (في شدة الحيرة يفتش في الجيب الداخلى) . شىء عجيب . . (يعالج الجيب الاصلى) . اين يمكن أن . . ؟ (ينهض صائحا) أملك أخذتها !

رانيا : (وقد تضرع وجهها) أخذت ماذا ؟

بتكوف : صورتك مكتوبا عليها : « رانيا » الى جنديها . جندى كريمة الشوكلاته . تذكر ان في هذا شيئاً اكثر مما يصادف العين وانا عازم على اكتشافه . (يصيح) نيقولا !

نيقولا : (يتقدم منه) سيدى !

بتكوف : هل أفسدت شيئاً من حلوى مس رانيا هذا الصباح ؟

نيقولا : لقد سمعت سيادتك مس رانيا تقول انى فعلت يا سيدى .

بتكوف : اعرف ذلك أيها المغفل . هل كان ذلك صحيحا ؟

نيقولا : انا واثق ان مس رانيا عاجزة عن ذكر شىء غير صحيح يا سيدى .

بتكوف : انت واثق ؟ اما أنا فاني اخالفك في ذلك . (يتحول الى الآخرين) دعونا من التظاهر : أتظنون انى غافل عن كل ذلك ؟ (يتقدم من سيرجيوس ويلطمه على كتفه) . سيرجيوس : انت جندى كريمة الشوكلاته . ام انى مخطئ ؟

سيرجيوس : (ينتشر قائما) انا . ! جندي كريمة الشوكلاته !
لا بكل تأكيد .

بتكوف : لا (يتفحصهم . كلهم جادون ؛ وفي حالة من
التوجس الشديد) هل تعني ان رانيا ترسل مثل هذه
الكلمات الى رجال آخرين ؟

سيرجيوس : (بغموض) العالم يا بتكوف ليس بالمكان البريء الذي
تعودنا ان نظنه .

بلنتشلى : (ينهض) حسنا يا سيدى الميجور . انا جندي كريمة
الشوكلاته . (بتكوف وسيرجيوس يأخذهما نفس
العجب) . لقد انقذت الانسة الفاضلة حياتى باعطائى
فطائر من كريمة الشوكلاته فى وقت كنت اتضور
فيه جوعا : هل يمكن أن أنسى طعمها يوما من الايام؟
صديقى المرحوم شتولز اخبرك بالقصة فى « بيرت » .
لقد كان الهارب هو أنا .

بتكوف : انت ! (تتلاحق انفاسه) . سيرجيوس : هل تذكر
حالة هاتين السيدتين هذا الصباح حين جاء ذكر هذا
الموضوع على لساننا ؟ (سيرجيوس يبتسم فى تهكم .
بتكوف يواجه رانيا بصرامة) انت فتاة لطيفة .
أليس كذلك ؟

رانيا : (بمرارة) الميجور سارانوف غير رأيه . وعندما
كتبت تلك العبارة على الصورة لم أكن أعرف
أن الكابتن بلنتشلى كان متزوجا .

بلنتشلى : (يفاجأ فيهب للاحتجاج بشدة) انا لست متزوجا .

رانيا : (بلوم شديد) لقد قلت انك متزوج .

بالتشلى : انا لم أقل هذا . أنا قطعاً لم أقله . أنا لم اتزوج في حياتى .

بتكوف : (ساخطاً) رانيا : هل تتكرمين بافادتى ، إذا لم يكن في سؤالى تجاوز للحدود ، إلى أى من هذين السيدين أنت مخطوبة ؟

رانيا : لست مخطوبة لأى منهما . هذه الآنسة (تقدم لوكا التى تواجه الجميع بكبرياء) هى في الوقت الحاضر موضع عواطف الميجور سارانوف .

بتكوف : لوكا ! انت مجنون ياسيرجيوس ؟ هذه الفتاة مخطوبة لنيقولا .

نيقولا : ارجو المذرة ياسيدى . هناك خطأ . لوكا ليست مخطوبة لى .

بتكوف : ليست مخطوبة لك ايها الوغد ! لقد تقاضيت منى خمسا وعشرين ليفا يوم خطوبتك وتلقت هى تلك الاسورة المذهية من مس رانيا .

نيقولا : (بترلف هادئ) هذا ما أعلنه ياسيدى . ولكن الغرض من ذلك كان مجرد اسباغ الحماية على لوكا لقد أوتيت نفساً أعلى من مستواها ولم اكن سوى خادماً في السر . انا انتوى كما تعلم ياسيدى ان افتح حانوتاً في صوفيا بعد فترة من الآن ، وأنا اتطلع لأن تكون زبونة لى وان تقوم بالدعاية لى إذا حدث واقترنت باحد النبلاء . (يخرج بأدب جم ويتركهم جميعاً وهم يشيعونه بانظارهم) .

بتكوف : (يقطع الصمت) على الا . . . هم !

سيرجيوس : هذه إما أروع بطولة أو أخط سفالة . ايهما هي يا بلنتشلى ؟

بلنتشلى : لا تعر الامر التفاتا سواء كانت بطولة أم سفالة .
نيقولا هو ابرع رجل صادفته في بلغاريا . سأجعل منه
مديرا لفندق إذا كان يستطيع التحدث بالفرنسية
والالمانية .

لوكا : (تنفجر فجأة في سيرجيوس) ما من أحد هنا الا
وسبنى . انت الذى ضربت لهم المثل .
انت مدين لى باعتذار .

(سيرجيوس كساعة ضبط الوقت التى مس
زئير كها يبدأ على الفور فى طى ذراعيه)

بلنتشلى : (قبل ان توائى سيرجيوس القدرة على الكلام) لا
فائدة . هو لا يعتذر أبدا .

لوكا : لا يعتذر لك انت ، نده وعدده . أما أنا ، خادمتي
المسكينة ، فلن يرفض الاعتذار لى .

سيرجيوس : (موافقا) معك حق . (يحنى ركبته فى افخم هيئة
يستطيعها) اسألك الصفح .

لوكا : صفحت عنك . (تعطيه يدها باستحياء فيقبل اليد) .
هذه اللمسة تجعلى خطيبتك .

سيرجيوس : (يثب) آه ! لقد نسيت ذلك .

لوكا : (دون انفعال) تستطيع ان تسترد كلمتك ان أردت

سيرجيوس : استرد كلمتى ! ابدا ! انت ملكى . (يحيطها
بذراعه) .

(كاترين تدخل فترى لوكا بين ذراعى سير جيوس
والجميع يحدقون فيهما وهم يضربون أنفاسا في
اسداس .

كاترين : ما معنى هذا ؟

(سير جيوس يرخي يديه من على لوكا) .

بتكوف : المسألة يا عزيزتى ان سير جيوس ، فيما يبدو ،
سيتزوج لوكا بدلا من رانيا . (توشك ان تفجر فيه
سخطها : يوقفها بعصبية) لا تلومينى . انا لاشأن لى
بهذا الموضوع .

(يتقهقر الى المدفأة) .

كاترين : يتزوج لوكا ! سير جيوس : لقد ارتبطت معنا بكلمة

سير جيوس : (يشبك ذراعيه) لا شيء يربطنى .

بلنتشلى : (مسرورا لهذا الرد المعقول) سار انوف : يدك :

تهانى . بطولاتك هذه لها جانبها العملى ايضا .

(الى لوكا) يا آنسى العزيزة : تقبلى اطيب تمنيات

جمهمورى صالح ! (يقبل يدها مثيرا بذلك تقزز

رانيا الشديد ، ثم يعود الى مقعده) .

كاترين : لوكا : لقد قلت عنا الأقاويل .

لوكا : انا لم ألحق برانيا أى ضرر .

كاترين : (بتعال) رانيا !

(رانيا ، فى مثل سخط امها ، تكاد تحتق لما فى

هذا النداء من خرق لقواعد الاحترام الواجبة من

خادمة لسيدتها .)

لوكا : من حقى ان ادعوها رانيا : انها تدعونى لوكا . لقد
اخبرت الميجور سارانوف انها لن تزوجه ابدا اذا
عاد السيد السويسرى .

بلنتشلى : (ينهض ، في دهشة بالغة) كذا !

لوكا : (تستدير الى رانيا) كنت اعتقد انك مغرمة به اكثر
من سير جيوس . أنت تعلمين اكثر من غيرك ما اذا
كنت على حق .

بلنتشلى : اى هراء ! اوكد لكما يا عزيزى الميجور وياسيدتى
العزيزة ان الآنسة الفاضلة لم تفعل اكثر من انها
انقذت حياتى . ولم يحدث ابدا انها اكرثت بى مقدار
قشتين . ولكى تقنعا بذلك فما عليكم الا ان تنظروا
الى الآنسة والى . هى غنية وشابة وجميلة بخيالها الذى
يملاؤه امراء الاساطير والنفوس النبيلة وهجمات
الفرسان وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله . اما انا فجندي
سويسرى عادى لا يكاد يعرف ما هى الحياة الكريمة
بعد خمس عشرة سنة من الثكنات والمعارك : متشرد .
رجل اضاع كل فرصة في الحياة من خلال نزع
رومانتية لاشفاء منها . رجل . .

سير جيوس : (ينتفض كالذى شكته ابرة ويقاطع بلنتشلى في عجب
غير مصدق) معذرة يا بلنتشلى : ما هو الشيء الذى
اضاع فرص حياتك ؟

بلنتشلى : (فورا) نزع رومانتية لاشفاء منها . لقد فررت من
بئى مرتين وانا طفل . وانخرطت في الجيش بدلا
من اعمال والدى . وتسلفت شرفة هذا البيت في

الوقت الذى كان اى رجل لديه ذرة من عقل ينزل الى اقرب قبو . وجئت الى هنا متسللا لألقى نظرة أخرى على الآنسة في الوقت الذى كان اى رجل فى سنى يكتفى بان يرسل السترة مع آخر .

بتكوف : سترتى !

بلنتشلى : . . نعم : هى السترة التى أعنيها . . بان يرسلها ويرحل الى بلده فى هدوء . هل تظنون انى شخص من النوع الذى تقع فى غرامه الفتيات؟ انظر الى سنى وسنها : انا فى الرابعة والثلاثين : أما الآنسة فلا اظن ان عمرها يزيد كثيرا عن السابعة عشرة . (هذا التقدير يحدث هزة . الباقون جميعا يستديرون وينظرون الى بعضهم البعض . يستمر هو فى سذاجة) كل هذه المغامرة التى كان فيها موتى وحياتى لم تكن بالنسبة لها الا لهوا كلهو تلاميذ المدارس . . كريمة الشوكلاته ولعبة الاستخفاء . هذا هو الدليل ! (يأخذ الصورة من على المائدة) . انا الآن احتكم اليكم . هل يعقل ان تبعث لى امرأة تأخذ هذه المسألة مأخذ الجدل ، بهذه الصورة وتكتب عليها « من رانيا الى جنديها . جندي كريمة الشوكلاته : تا. كارا » ؟ (يبرز الصورة بحركة انتصار كما لو كانت تحسم الموضوع بما يسد ابواب الجدل) .

بتكوف : هذه هى الصورة التى كنت ابحث عنها . كيف بحق الشيطان وصلت اليك . (يترك مكانه لدى المدفأة ويقرب لينظر اليها ويجلس على النيوان العثمانى) .

بلنتشلى : (الى رانيا مجاملا) لقد وضعت النقط فوق الحروف
فيما ارجو يا آنسى الفاضلة .

رانيا : (تذهب الى المائدة لتواجهه) انا متفقة معك تماما
في الوصف الذى وصفت به نفسك . انت رومانى
أحمق . (بلنتشلى يصعق بصورة تفوق الوصف) .
المرّة القادمة ، ارجو ان تستطيع التمييز بين تلميذة
في السابعة عشرة من عمرها وبين امرأة في الثالثة
والعشرين .

بلنتشلى : (مذهولا) الثالثة والعشرين !

(رانيا تخطف الصورة باحتقار من يده وتمزقها
وتقذف بقطعها في وجهه وتعود مختالة الى مكانها
السابق .)

سير جيوس : (يستمتع بلا رحمة باندحار غريمه) بلنتشلى :
الاعتقاد الوحيد الذى بقى لى ولى وذهب . ان
حكمتك حكمة زائفة ككل شيء آخر . ان حظك
من العقل اقل حتى من حظى أنا .

بلنتشلى : (غير مصدق) ثلاثة وعشرون ! ثلاثة وعشرون !
(يتفكر) . حسنا ! (يحزم أمره بسرعة ويتقدم
من مضيفه) في هذه الحالة يا ميجور بتكوف اسمح
لى بالتقدم رسميا لطلب يد ابنتك بدل الميجور
سارانوف المنسحب .

رانيا : يا لجرأتك !

بلنتشلى : إذا كانت سنك ثلاثا وعشرين سنة حين قلت لى ذلك
الكلام عصر هذا اليوم فساخذه على سبيل الجحد .

كاترين : (بادب متعال) أنا أشك ياسيدى في كونك تدرك موقف ابنتى أو موقف الميجور سيرجيوس سارانوف الذى تريد أن تحتل مكانه ، ادراكا كاملا . ان اسرتى بتكوف وسارانوف معروفتان بانهما اغنى وأكبر اسرتين في البلد . مكانتنا تكاد تكون تاريخية : عراقتنا ترجع إلى عشرين سنة .

بتكوف : لا تعيرى هذه المسألة أهمية ياكاترين (الى بلنتشلى) كان ذلك يا بلنتشلى يكون مما يسعدنا إذا كانت المسألة . مسألة مركز وحسب . ولكن رانيا للأسف اعتادت على الرفاهية . ان سيرجيوس يملك عشرين جوادا .

بلنتشلى : ومن ذا الذى يريد عشرين جوادا ؟ ليس في عزمنا ان نفتح سيركا .

كاترين : (بصرامة) ابنتى ياسيدى ألقت أن يكون لديها اسطبل من الطراز الاول .

رانيا : صه يا أمى : انت تجعلينى أبدو مضحكة .

بلنتشلى : إذا كانت المسألة مسألة رفاهية ، تفضل ! (يهجم باندفاع على المائدة ويأخذ الاوراق التى يحتويها المظروف الأزرق ويلتفت إلى سيرجيوس) . كم عدد الجياد التى ذكرتها ؟

سيرجيوس : عشرون أيها السويسرى النبيل .

بلنتشلى : أنا عندى مائتا جواد . (تتولاهم الدهشة) . وكم عربة ؟

سير جيوس : ثلاث .

بلنتشلى : وانا عندى سبعون . منها أربعة وعشرون تسع كل منها
اثنى عشر شخصا بداخلها وشخصين على مقعد الحوذى
غير الحوذى نفسه والكمسارى . وكم عندك من
مفارش المائدة ؟

سير جيوس : وكيف لى أن اعلم بحق الشيطان ؟

بلنتشلى : هل لديك منها أربعة آلاف .

سير جيوس : لا .

بلنتشلى : أنا عندى هذا العدد من المفارش . وعندى تسعة
آلاف وستمئة زوج من الملاءات والبطاطين وألفان
وأربعمئة لحاف . وعندى عشرة آلاف سكةينة
وشوكة ونفس العدد من ملاعق الحلو . وعندى
ثلاثمئة خادم . وعندى ست قصور فضلا عن
اسطبلين لتأجير الخيل ، وحديقة شاي ومنزل
خاص وعندى أربع مداليات للخدمة الممتازة وعندى
رتبة ضابط ومركز جتلمان . وعندى ثلاث لغات
قومية . أرنى أى رجل فى بلغاريا يمكنه أن يعرض
ما أعرضه .

بتكوف : (بنحوف طفولى) هل انت امبراطور سويسرا ؟

بلنتشلى : مقامى هو أعلى مقام معروف فى سويسرا : أنا
مواطن حر .

كاترين : اذن يا كابتن بلنتشلى وما دمت الشخص الذى وقع
عليه اختيار ابنتى . .

رانيا : (بتمرد) ليس هو الشخص الذى وقع عليه اختيارى

كاترين : (تتجاهلها) . . فلن أقف في سبيل سعادتها .
(يهم بتكوف بالكلام) وهذا أيضا هو شعور
الميجور بتكوف .

بتكوف : ثق أن ذلك سيكون من بواعث غبطتى . مائتا
جواد ! !

سيرجيوس : ماذا تقول الآنسة ؟

رانيا : (تتظاهر بالتمنع) الآنسة تقول انه يستطيع أن
يحتفظ لنفسه بمفارشته وعربات اجرته .

انا هنا لست معروضة للبيع لمن يدفع أكبر ثمن .
(توليه ظهرها) .

بلنتشلى : انا لن اقبل هذه الاجابة . لقد لجأت اليك كهارب
وكتسول وكرجل يتضور جوعا .

وقد اكرمت وفادتى واعطيتنى يدك لاقبلها وفراشك
لاناام عليه وسقفك لا حتمى تحته .

رانيا : ولكننى لم أعطيها لاميراطور سويسرا .

بلنتشلى : هذا بالضبط هو ما أقوله . (يمسكها من منكبها
ويحول وجهها ليكون امام وجهه) والآن حدثينا
لمن أعطيته ؟

رانيا : (تدعن بابتسامة خجلى) إلى جندى . جندى كريمة
الشوكلاته .

بلنتشلى : (بضحكة ابتهاج صبيانية) في هذا الكفاية . شكرا
لك . (ينظر إلى الساعة ثم يتخذ وجهه فجأة تعبير

رجل الاعمال (. ليس لدينا وقت ياسيدى الميجور .
لقد دبرت سيادتك امر تلك السرايا بكفاءة تجعل
من المؤكد أن يطلبوا منك التخلص من جزء من
مدفعية فرقة التيموك .) ارسلها الى بلدها عن طريق
« لوم بلانكا » . وانت يا سارانوف : لا تتزوج
حتى أعود : سأكون هنا في الخامسة تماما من مساء
الثلاثاء بعد أسبوعين من اليوم . سيدتى الفاضلتين
(يقف « انتباه » ويصطدم كعباه) طاب مساؤكما .
(ينحنى لهما انحناءة عسكرية ، وينصرف) .

سيرجيوس : ياله من رجل ! ولكن أهو رجل حقا !

مقدمة بقلم المترجم

سيرة كانديدا

قصة كانديدا لدى النظرة الاولى ، هي قصة صراع يقوم بين رجلين على امرأة . قصة الزوجة المهجورة التي تزدهم حياة زوجها بالمشاغل والتي تسوق اليها الظروف شاعرا يحبها حبا جما ، وقصة الزوج الذي تفتتح عيناه على حقائق في حياته الزوجية لم تكن تخطر له على بال .

وقد كتب برناردشو عددا من المسرحيات الاجتماعية التي تعالج مثل هذا الموضوع ، ولكن شيئا ما في هذه المسرحية يحمل المرء على الاعتقاد بأن مؤلفها لم يرد لها أن تكون مسرحية اجتماعية بل أراد ، من وراء شخصياتها واحداثها الظاهرة ، ان يتعرض لموضوع آخر بعيد ترمز اليه هذه الشخصيات والاحداث ولكن ادراكه يحتاج من جانب القارئ او المشاهد الى مجهود ذهني والى وقوف لدى بعض سمات المسرحية التي لا تتفق مع المعنى الظاهر .

وأول ما يسترعى النظر في هذا الصدد أن مارشبانكس لا يتصرف في هذه المسرحية تصرف الحب التقليدي . ان أول ما يحرص عليه المحبون في مثل ظروفه هو اخفاء حقيقة مشاعرهم نحو الزوجة من الزوج ثم هم يعلنون حبهم للمرأة المحبوبة ويعملون في وقت واحد على اهدار قيمة الزوج في عين الزوجة وعلى الظهور امامها في أجمل صورة ممكنة . فهل فعل مارشبانكس ذلك ؟ .

الذي فعله هو عكس ذلك تماما ، فهو أولا لم يخف مشاعره نحو كانديدا عن موريل بل حرص منذ بداية المسرحية على اطلاعه على حبه لزوجته ، ولما حاول موريل التهوين من أمر هذا الحب انفجر فيه انفجارا غير متوقع واصر على انه ليس حب مراهقين ، وهو يعود بعد ذلك فيؤكد له انه مجنون بها . وهو في موضع آخر يستفزه قائلا « اقبض على من ياقة القميص يا موريل وستصلح لي هي بعد ذلك .. سأحس بيديها تلمسانني » ، وهو استغزاز لم نسمع بمثله . وهو ثانيا لم يحاول ان يصارح كانديدا بحبه لا قبل ان يحضرا الى لندن ولا في الخلوة التي هيأها لهما موريل في بيته . وهو ثالثا لم يحاول الطعن في موريل امام كانديدا من ورائه ولا أن يخفي عنها عيوبه الشخصية بل كان يثبت على نفسه امامها وامام زوجها صفات تعد من المثالب .

ويسترعى الالتفات في المقام الثاني ذلك الهجوم المركز الذي شنه مارشباتكس على موريل . وللمرء ان يتساءل عن مبررات هذا الهجوم وبواعثه . لقد كان موريل حفيا به فأواد واکرمه وفتح له بيته وأتمنه على عرضه . وكان المفروض ان يداخل مارشباتكس ازاءه شيء من الشعور بالذنب لا أن يعلن عليه هذه الحرب التي لا ترحم .

وفضلا عن ذلك فان موريل لا يبدو لنا - لأول وهلة - في صفاته العامة والخاصة بالبشاعة التي يصوره بها مارشباتكس . انه رجل لا تنقصه الصفات الحميدة سواء كانسان او كرجل دين او كزوج . فهو أولا طيب القلب يرق قلبه للفتى الذي وجده على جسر النهر . وهو يعطي وشاحه للكسى لانه يخاف عليه من البرد وهو يحسن معاملة سكرتيرته ومساعديه . وهو ثانيا انسان متواضع يتخلف عن حفلة عشاء تقيمها له شركة كبيرة ليلقى محاضرة دعتة اليها جماعة من باعة الخضر المتجولين الفقراء وهو يعتبر هؤلاء الباعة اخوة له ويعاقب سكرتيرته لانه ترفع عنهم ، ولا يجد غضاضة في ان يعترف لمارشباتكس بأنه يستشف فيه ما يبشر بامكانيات أسمى مما يستطيع هو ان يدعيه يوما لنفسه ، وهو انسان شديد في الحق يقطع حماه لانه يدفع للعاملات في مصنعه أجورا لا تكفي لاقامة الأود . وهو كرجل دين لا يكتفي من الدين بجانب القيادة بل يرى أن له رسالة اجتماعية هامة . وهو غير متعصب ولا ضيق الافق فهو عضو في جمعيات ذات اتجاهات اصلاحية مختلفة وهو لا يجد حرجا في القاء المحاضرات مهما اختلفت مبادئه مع مبادئ الجماعة الداعية له الى الكلام ولا يدخل بالثناء على رئيس جماعة يختلف معه في العقيدة اختلافا شاسعا . وهو فقير غير مرفه وهو يقدر مسئولية رجل الدين ويرى ان القس كالطبيب عليه ان يواجه العدوى كما يواجه الجندي الرصاص ، ويعنف المترددين على كنيسة لانهم لا يسلكون السلوك الديني الصحيح . وهو كزوج يحب زوجته ويشعر بسعادة فامرة لان الله منّ عليه بها ويحمل نفسه من الجهد فوق ما يطيق ليدفع دينه لاسماء عن سعادته معها . هو باختصار قسيس ناجح وخطيب مفوه وانسان تحبه زوجته وتحبه جميع سكرتيراته ويتخله مساعده قدوة له ومثلا . ما الذي يستثير مارشباتكس اذن في صفاته ويجعله يتهمه بالدجل والزهو والفرور ويصفه بالثرثرة وبأنه خنزيرى الرأس ؟ .

ثم ما الذي يجعل مارشباتكس ، من الجهة الاخرى ، يريد أن ينقص عليه عيشته ويفسد عليه سعادته ؟ ، ما الذي يجعله يحاول ان يهز ثقته بنفسه ويحطم معنوياته ويزلزل كيانه ؟ .

اذا لم يكن لدى مارشباتكس داع قوى يحمله على الوقوف من موريل مثل هذا الموقف فهو انسان وضيع يستحق ما نعت به موريل حين قال عنه انه خائن وعابث وشيطان حقير .

ولكن كيف يكون مارشباتكس خائنا وشيطانا حقيرا بالنسبة لموريل ويكون في الوقت ذاته موضع اعزاز كانديدا وتقديرها وحديها ؟ .

هذه كلها نقاط لا يستقيم معها تكييف المسرحية على انها قصة صراع على امرأة بين مارشبانكس وموريل ، ولو كانت القصة هي قصة هذا الصراع مع وجود تلك المفارقات الغريبة لكانت قصة متداعية الحبكة ضعيفة البنيان .

والذي نرجحه ان مسرحية « كانديدا » مسرحية لم يقصد بها معناها السطحي وان مؤلفها اراد لموريل فيها ان يمثل الكنيسة او الديانة السائدة ولكانديدا ان تمثل سيدة مسيحية اعتدت بحكمة فؤادها الى الدين القويم ولمارشبانكس ان يمثل شاعرا اعتدى بالهامه الى انها روح يهدى الى نور الحق واليقين . والذي نرجحه ايضا ان برناردشو اراد عن طريق هذه المسرحية ابداء رأيه في عدد من المسائل المتعلقة بالدين .

ان برناردشو معتقد - كما قال في مقدمة « مسرحيات سارة » عن هذه المسرحية ان الدين واحد ، وهو يعتقد ايضا ويقول ذلك في كتابات اخرى ... ان الناس قد اختلفت في الدين فأصبح له مائة صورة وصورة . وهو يعتقد كذلك ان المسؤل الاول عن ضياع الدين هي الكنيسة (١) وهم رجال الدين (٢) وذلك لعدة اسباب منها ان الفساد كثيرا ما يستغل الكنيسة ونواياها الطيبة في قضاء مآرب لا يقرها الدين وان الكنيسة تعتمد في مواردها على تبرعات قوم سلوكهم ليس دائما فوق مستوى الشبهات وانها مضطرة من ثم الى مصانعتهم ورعاية مصالحهم ، وان رجال الدين الذين يلقنون الناس تعاليم الديانة والذين يتخلدهم الناس قدوة لهم بشر ضعفاء اذا غروا - بالفعل

(١) تطلق كلمة الكنيسة عند الغربيين ويقصد بها أحد معنيين : الاول - وهو المعنى المتداول في البلاد العربية - هو المبنى الذي تقام فيه الصلاة والشعائر الدينية عند المسيحيين ، ويقابلها المسجد عند المسلمين ، والثاني ، وهو الذي نعنيه هنا - هو الجهة التي تتولى كافة الامور الدينية والمالية والادارية المتعلقة بكل مذهب من مذاهب الديانة المسيحية ، كتعيين رجال الدين ، وتحديد درجاتهم ومناطق اختصاصهم واقامة الكنائس والمدارس الدينية والاديرة وارسال البعثات التبشيرية الخ ، فهناك « الكنيسة الكاثوليكية » ويرئسها البابا ، وهناك « كنيسة انجلترا » او « الكنيسة الانجليكانية » وهي التي تتولى شئون الديانة البروتستانتية الرسمية في انجلترا ويرئسها قسيس بدرجة اسقف، وهناك عدد آخر من الكنائس البروتستانتية والارثوذكسية المختلفة .

(٢) برناردشو مع ذلك لا يطلق الحكم ويرى أن بعض رجال الدين يفيدون المجتمع وقد رأينا في مسرحية « بيوت الارامل » ان الخصم الحقيقي لمالك البيوت الحقيرة الاستغلالي كان رجل دين لم يظهر على المسرح ، وهو يرى بصفة عامة أن جوهر رجل الديانة كائنسان - وليس كقسيس - هو خير ما فيه .

او بالقول او بالصمت - اغروا بعض الناس واضعفوا ثقة الآخرين في الدين ، وان الدين كامل والحلال بين والحرام بين ، وان صفة القسيس تطمس جوهر الانسانية في الرجل ، وان كل انسان يجب ان يفكر في الدين بعقله وضميره بغير عون من أحد فكل انسان مسئول عن نفسه ، وان محاولة رجل الدين اصلاح الديانة بالاشتراكية محاولة عقيمة فالوسيلة الوحيدة لاصلاح الدين هي تربية عقل الانسان ، هذه هي المعاني التي اراد برناردشو - فيما نرى أن يعبر عنها في هذه المسرحية .

ان مارشبانكس يفهم سر كانديدا وهو لا ينظر اليها كامرأة جميلة - كما يفعل القس ميل مثلا - او كامرأة يمكن لرجل ان يدخل معها في علاقة غرامية ، ولكن كروح عظيم ، تفهم الدين فهما صحيحا ، ولا ترضى عما آل اليه حاله وحال الناس .

ولكن يبعد المؤلف عن اذهاننا فكرة أن مارشبانكس يحب كانديدا حب الرجل للمرأة حين جعله ينفر من السعادة التي تستمد من مثل هذا الحب ، فهو يشعر بالاشمئزاز حين يشير موريل من بعيد الى الجانب الحسى في العلاقة الزوجية ، وحين يتمنى له موريل ان يتزوج امرأة كانديدا يرفض الاعتراف بمثل السعادة التي تترتب على هذا الزواج ، وهو يصاب بالذعر حين تقول بروسبرين انها تفضله على القس اسكندر ميل ويهرب منها كما لو كانت تريده بسوء . وهو اذا شعر بسعادة في حبه لكانديدا فانما هي سعادة روحية تعيش على نفسها ولا تطلب محبة الطرف الآخر وهو يتنازل حتى عن هذه السعادة في النهاية ويقول ان الحياة أنبل من السعادة . وهو اذا كان يبحث عن الحب ، كما يستفاد من حديثه مع بروسبرين ، فانما يبحث عنه بمعناه العام الواسع العريض الذى يشمل الانسانية كلها وكائنات الارض جميعا لا عن حب انسان بداته . هو بعبارة اخرى يحب ذات الله ويفنى في حبها ولكن الحياء يعقد لسانه فلا يجرؤ - كالتصوفين - على طلب المحبة الالهية .

اذا كان مارشبانكس قد قال لموريل انه يحب زوجته فحبه اذن نوع من التقدير ، والشواهد على ذلك كثيرة نجدها في اكثر من موضع من المسرحية .

نجدها أولا في هذه العبارة : « ان الناظر الذكي الفؤاد اذا تطلع اليها - أى الى كانديدا - يدرك أنه ايا كان الشخص الذى وضع لوحة « صعود العذراء » فوق مدفاتها فانه فعل ذلك لانه تخيل شبها روحيا ما يجمع بينهما » أى بين كانديدا وبين العذراء مريم أم المسيح عليه السلام .

ونجدها ثانيا في قوله : « ان امرأة مثل كانديدا تملك بصيرة كبصيرة الالهة وانها تحب ارواح الناس لا حماقاتهم وغرورهم وأوهامهم ولا ياقاتهم وسترانهم ولا غير ذلك من الخرق والاسمال البالية التي يتدثرون بها » وقوله : « انها امرأة ذات روح عظيم توافة الى الحقيقة والصدق والحرية وانها ، استحالت الى ملك » ، وفي حديثه عن مركبة الخيل التي يريد أن يهديها لها لتصعد بها في عنان السماء حيث النجوم هي المصابيح ، وفي كونه حين يفكر فيها لا يفكر او يشعر ابدا بمسز موريل ، الانسانية

والزوجة ، وفي ان كل نداء يناديه ، هو صلاة لها ، أى صلاة للنقاء والبراءة والطهر
وهي المعاني اللغوية لكلمة « كانديدا » ، وأنه حين يكون معها يحس أنه فى السماء وأنه
غير محتاج الى شيء .

ومارشبانكس بعد ذلك انسان ملهم « ذو طبيعة لا أرضية يرى فيها ذوو الفطرة
الشاعرية قبسا من الملائكية . وهو ليس كسائر من قال عنهم موريل أنهم قد يصعدون
الى أعلى القمم ولكنهم لا يستطيعون ان يلبثوا فيها طويلا ، بل هو يستطيع ان يلبث
هناك الى الابد ، واللحظات الأخرى هى التى لا يستطيع أن ينعم فيها بالراحة أو يشعر
بمجد الحياة الصامت .

ان طبيعة « لا أرضية » مثل طبيعة مارشبانكس لا تجد راحتها فى هذا العالم
المادى البغيض . ومن هنا أعلن - أى مارشبانكس - التمرد على حياة الترف والتفاهة
التي تعيشها أسرته ومجتمعه وخرج يبحث عن الحقيقة بين أحضان الطبيعة وفى
الكتب ، ولما التقى بكانديدا أحس بأنه وجد ضالته فتعلق بها واستظل بظلها واصبح
رضاها مناه وسخطها عدا به واحس أنه يفهمها بصورة لم تتيسر لأقرب الناس اليها وان
طريقها هو الحق والصدق وما سواه هو الباطل والضلال .

لقد قال شو فى مقدمة مسرحيات سارة انه كتب مسرحية كانديدا ليهاجم
المسيحية الاشتراكية . وهذه النية المعلنة وسائر الدلالات هي التى حملتنا على القول
بأن حب مارشبانكي لكانديدا هو حب روحى ودينى وليس حبا عاطفيا مما يصادفه
الانسان فى القصص والمسرحيات الرومانسية . ونحن نستطيع على هذا الاساس ان
نجد للمفارقات التى أشرنا اليها تفسيرا يستقيم مع مغزى احداث المسرحية ، وذلك
على النحو الآتى :

ان مارشبانكس لا يخفى حبه لكانديدا عن موريل لانه ليس حبا آتما ، وهو لم
يحاول ان يصارح كانديدا بحبه لان حب الانسان للمثل الأعلى هو بطبيعته حب من
طرف واحد . كذلك فهو لم يحاول الخط من قدر موريل فى عين كانديدا لانه ليس
عيابا بطبعه وهو لا يحاول ستر هيوبه عنها ولا أن يظهر امامها فى أجمل صورة لانه
لا يريد لها لنفسه . اما علة الهجوم الذى شنّه على موريل ورغبته فى تقويض سعادته
رغم خصاله الحميدة فتكمن فى الحقيقة الآتية : انه - أى موريل - لم يفهم الدين
حق فهمه وخان الامانة بأن انصرف عن تعاليمه الصحيحة وراح يدعو الى صورة
مشوهة من الدين ورضى عن نفسه حيث كان الواجب ان يسخط عليها . وقد رأى
مارشبانكس من واجبه ان يقف من موريل هذا الموقف لانه رأى نفسه مكلفا برسالة
واذا كان موريل قد أحسن اليه فان مسئوليته قبل الحقيقة الالهية أكبر ومن واجبه
ان يوجه الاتهام الى موريل لانه من التسبيين فى ضياع الدين ورسالات الانبياء .

ولكن موريل غافل عن كل هذا لانه مشغول بنفسه وبمواظبه ، وهو لا يرى فى
كانديدا الا انها زوجته وربة بيته وفى مارشبانكس الا انه فتى يعرض اليه التى
أحسنّت اليه .

وقد تحرى شو في رسم شخصية القسيس الا تكون شخصية ذميمة لئلا يترك مجالا لقائل أن يقول ان رأيه اذا كان صحيحا بالنسبة لرجل الدين السيئ فان رجل الدين السيئ لا يمثل الكنيسة ، ومن ثم فقد جعل موريل حميد الصفات وحسن النية بحيث يمكن اعتباره نموذجا طيبا لرجل الكنيسة ، ولم يجعله منافقا ولا فاسقا ولا نفعا يستغل صفته الدينية في مآرب شخصية . كذلك لم يجعل شو موريل رجعا ضيق الافق متعصبا لأفكار ونظريات دينية لا تسير روح أواخر القرن التاسع عشر بل جعله - في براعة نادرة المثال - يؤمن بنفس المبادئ التي يؤمن بها هو نفسه (أى المؤلف) ووضع في مكتبته عددا من كتب الاقتصاد والاجتماع ومن الكتابات الدينية الحديثة التي تأثر بها هو نفسه . وأخيرا لم يجعل شو من موريل انسانا تافها بل جعل له شخصية قوية وقدرة خاصة في التأثير على الناس .

ولنحاول الآن في ضوء ما سبق من شرح أن نستخلص من أحداث القصة ومن أفواه شخصياتها العبرة او العبر التي اراد لنا المؤلف ان تخرج بها منها - ولنتابع أولا ما تقوله كانديدا لموريل فهو جوهر المسرحية وليتها .

انها تخاطبه برفق وفي عطف فتقول : « لماذا تترك بالخروج كل ليلة لكي تحاضر وتحدث .. كلامك طيبا جيدا للغاية ولكنه لا يجدي فتيلا . هم لا يعبأون بشرو تقيم بما تقول . هم يحسبون أنهم متفوقون معك ولكن ما قيمة موافقتهم اذا كانوا في اللحظة التي تدير لهم فيها ظهرهم يمشون لحالهم ويفعلون عكس ما تنهاهم عنه بالضبط . انظر الى المترددين على كنيسةنا .. ما الذي يجيء بهم ليستمعوا اليك وأنت تتحدث عن المسيحية كل يوم أحد ؟ مجرد ان حياتهم حافلة بالأعمال والجري وراء المال ستة أيام في الاسبوع لدرجة تجعلهم يحاولون نسيان كل ما يتعلق بها وأخذ نصيب من الراحة في اليوم السابع ، لكي يعودوا بعد ذلك الى أعمالهم في انتعاش ويجروا وراء المال بأشد من ذي قبل . أنت في الواقع تحثهم على ذلك بدلا من أن تزهدهم فيه . » وهي تقول له : ان الناس تتردد على كنيسة يوم الأحد لان الأماكن الاسوأ - أى دور اللهو - مغلقة في ذلك اليوم ولأنهم لا يجروون على أن يراهم أحد وهم يرتادونها ولأن وعظه رائع الى درجة لا تقل بالنسبة لهم عن مسرحية . وتقول أيضا : ان النساء لسن متحمسات له ، كما يظن هو ، بسبب اشتراكه وتعاليم ديانته ، لأن هذا لو كان صحيحا لاتبعوا ما يقوله بدلا من الاكتفاء بالحضور لمشاهدته ، ولكنهن متيمات به كرجل ، وتقول له أخيرا « أنت متيم بالوعظ لأن وعظك ساحر . أنت تتوهم ان كل هذا ليس الا حماسا لمملكة السماء على الأرض وهن يتوهمن ذلك أيضا . » وفي موضع آخر تقول ان مواعظه لا تساوى عندها قلامة ظفر « فما هي الا عبارات تغش بها نفسك وتغش بها الناس كل يوم » .

والكلام واضح لا يحتاج الى تأويل ويمكن تلخيصه في ثلاث حقائق كبرى : ان الناس تتردد على الكنيسة للراحة والترفيه والظهور بمظهر التدين لا للعبادة والدليل انهم - مهما قال موريل - لا يكفون عن الجري وراء المال وان موريل متيم بالوعظ حبا للوعظ وان وعظه في الواقع غش وخداع وهو يأتي بنتيجة عكسية .

ولم يدرك موريل أن قول زوجته هو صوت الدين الصحيح وكان كل ما خرج ،
منه أن زوجته نزار من بروسبرين ومن المترددات على الكنيسة لسماعه . ولما رأت
كانديدا أنها لم تنجح في اقناعه بوجهة نظرها لم تصر بل اكتفت بأن تسجل عليه
تناقضه حين قالت فيما بعد أنه هو الذي علمها أن تفكر بغير عون من أحد ، وهذا
القول يعتبر في رأينا محور المسرحية لأنه يلخص فلسفة شو في الدين التي من مقتضاها
أن الإنسان ينبغي أن يفكر في وسائل الدين بغير عون من رجال الدين وهو إذا فعل
ذلك سيصل الى مفهوم للدين قد لا يقره رجال الدين ولكنه هو المفهوم السليم إذا
كان صاحبه سليم النية حكيم الفؤاد .

فاذا تساءلنا بعد ذلك عن أقوال مارشبانكس وجدنا أن رأيه في موريل لا يختلف
كثيرا عن رأي كانديدا وأن كان موقفه ازاءه ليس فيه تسامحها . أنه يقول لموريل :
« ان الهلع يدركني كلما تصورت كمية الدجل التي كان عليها أن تتجرعها كل تلك
السنوات الطويلة المملة التي جعلتك الانانية وعمى البصيرة تضحي خلالها بامراتك
على مذبح غرورك ، أنت الذي لا تشترك معها في فكرة أو معنى واحدا . جملة قصيرة
يتهمه فيها بالدجل وبالانانية وبعمى البصيرة وبالغرور (والمقصود بالزوجة هنا هو
الدين) . وهو يصف كلام موريل بأنه « استعارات ومواعظ وخطب عصماء عفا عليها
الزمن ، وتندق بالالفاظ » ويقول أن موهبته هي موهبة الثروة لا أكثر ولا أقل وأن
قدرته على الكلام المنمق لا تمت الى الحقيقة بصلة . وهو يقول له أن زوجته (يعنى
ديانته) تحتقره في قلبها كما احتقرت زوجة الملك داود زوجها ، وقصة الملك داود
مع زوجته قصة وردت في الكتاب المقدس (أخبار الايام الاولى : الاصحاح الخامس
عشر) بشأن نقل التابوت الذي يشتمل على الألواح الى مدينة داود ، في هذه
العبارة : فكان جميع اسرائيل يصعدون تابوت عهد الرب بهتاف وبصوت الاصوار
والابواق والصنوج يصوتون بالرباب والعيدان . ولما دخل تابوت عهد الرب مدينة
داود اشرفت ميكال بنت شاول من الكوة فرأت الملك داود يرقص ويلعب فاحتقرته
في قلبها » . وهو يسأل موريل : « ما مثلك الأعلى أنت وكل هؤلاء الناس الشبيعين
الذين يعيشون في هذه الصفوف البشعة من الدور ؟ » يعنى بذلك الناس جميعا ،
ثم يرد على السؤال بقوله : « المواعظ وفرش ديك البلاط ، على أن تقوم أنت بالقاء
المواعظ وتقوم زوجك بدعك البلاط » . وهو يعير موريل بأنه يترك زوجه توسخ
يديها في زيت الكيوسين وتنظيف ارضية البيت وتقوم بالطهي فهو - أى مارشبانكس -
يعتقد أن الحقيقة التي تحملها كانديدا والتي يدفنها زوجها في المطبخ وفي أعمال البيت
هي الحقيقة الدينية العليا التي يحتاج اليها العالم ليهتدى وتنصلح احواله وأنه كان
الاولى بموريل بدل الثروة الفارغة بمفهومه الدنيء الخاطيء أن يجعلها رسالة حياته
ويعمل لها ويذيعها في العالمين . ولم يفهم موريل ما في كلام مارشبانكس من مغزى عميق
رغم أنه كان يرى « أن روح الإنسان المقدسة وهي نفحة من عند الله لا تقترب من
صورة الخالق في أحد كما تقترب منها في شخص الشاعر » ، ولم يدرك أنه حين كان
يقول أنه مجنون بكانديدا وأنها ملكة لم يكن يعنى كانديدا المرأة ولكن كانديدا الروح
والعقيدة ، ولم يتنبه الى المعنى الكامن وراء اتهام موريل له بالحماقة وبأنه لا يفهم

كانديدا ولا الى حقيقة الأفكار التي يتحدث عنها في عبارات كقوله « انا لا أخشى أفكار قسيس وسأحارب أفكارك » و « سأنقذ زوجتك من استعباد هذه الأفكار واسلط عليها أفكارى أنا » و « انت تطردني من بيتك لانك لا تجرؤ على السماح لها بأن تختار بين أفكارك وأفكارى » ، ولا الى المعنى المختفي وراء قوله : « الرجل الذى اريد ان القاه هو ذلك الذى تزوجته كانديدا . لا أعني القس الداعية الاخلاقي والطبل الاجوف بل أعني الرجل الحقيقي الذى لابد أن القس المحترم جيمس قد أخفاه في مكان مّا داخل سترته السوداء ، الرجل الذى احبته كانديدا « وهوان احترام الدين يشوه جمال الفطرة الانسانية التى برأها الله . كذلك لم يحاول موريل ان يقف لحظة عند موقف الحزن والألم الذى وقفه مارشباتكس حيال كانديدا حين رأى - أو ظن - انها تعذبه ولا عندما تنطوى عليه عبارات مثل : « كنت أشعر حيالك بنفور وكان هذا هو السبب فى اننى كنت اجزع اذا مسستنى ، ولكننى رأيت اليوم حين عذبتك أنك تحبها ومنذ تلك اللحظة أصبحت صديقك » ومثل « كان حبي لها من الروعة بحيث لم يكن لى مطلب اكثر من السعادة التى يجلبها ذلك الحب » ومثل « لا أبغى الآن شيئاً سوى سعادتها » وليس فيها كلمة تحمل معنى الاستئثار الذى هو قوام حب البشر بل اعنته الفيرة وكان كل ما تخيله أن مارشباتكس واقع فى غرام كانديدا ويريد أن يخطفها منه .

وكما ان حديث مارشباتكس عن محبته لكانديدا حجب عن موريل حقيقتها التى يعنىها ، كان حديث كانديدا عن مارشباتكس من العوامل التى حجبت عن موريل حقيقته . لقد أعربت كانديدا لموريل عن اعزازها لمارشباتكس وقالت انه لا يحظى من الحب بما هو أهله رغم شدة حاجته اليه بينما يحظى هو بقدر اكبر مما يناسبه كما قالت كلاما يفهم منه انها تشعر حياله بالمسؤولية وتخشى الا يغتفر لها انها لم تلقنه الحب بنفسها وتركته للنساء الشريرات اللاتي يتصور ذوو الشاعرية من الرجال انهن ملائكة . وكان كل ما فهمه موريل من هذا الكلام ومن أقوال سابقة سمعها من مارشباتكس تدل على اعتزازه بنفسه . ان المحذور قد وقع وان كانديدا - المرأة - احبت مارشباتكس الرجل وانها توشك ان تفر معه او ان تحيد عن الصراط ، فقال لها - فى محاولة لتذكيرها بواجبها وبفضيلتها - انه يثق فى طيبتها وفى طهرها وتوهم ان قبلتها له هي قبلة الخيانة ، والواقع ان ما قصده كانديدا - التى كانت تجهل ان مارشباتكس قد توصل الى النور الذى اهتدت اليه وانه يعتبرها قديسة - تخشى على مارشباتكس من فتنة الدنيا وتريد ان تنبهه بامومتها الى انه ليس كل من لبس رداء الملائكة ملاكا ، ولو انه خطر ببالها أن تخون زوجها لكان زوجها آخر من تفكر فى ابلافه بذلك .

هذا عن كانديدا وموريل ومارشباتكس ، فما الذى يمكن ان يقال عن بروسبرين والقس اسكندر ميل وبرجيس وهي شخصيات المسرحية الثانوية ؟

ان صلة بروسبرين بالدين نابعة من حبها الرومانسي لموريل ، ونظرتها الى الدين من ثم كانت نظرة خاطئة . والفرق بين رأيها فى موريل وبين رأى مارشباتكس انها تنظر اليه كرجل بينما ينظر مارشباتكس اليه كقسيس ، ولذا فهي ترى انه جدير

بالحب وهو يستغرب منها هذا الرأي لان الدين يطلب من الانسان اكثر من أن يكون رجلا طيبا . اما القس اسكندر ميل فموريل يمثل بالنسبة له المثل الاعلى في فضائل الداعية الديني . واما برجيس فهو يستحق ان نقف عنده لحظة اطول .

وكما فعل شو في تصوير شخصية موريل فانه لم يصور برجيس صورة بالغة البشاعة لانه اراد ان يتخذ منه نموذجا يرمز به الى القاعدة العريضة من التجار ورجال الاعمال المترددين على الكنيسة يوم الاحد والتي كانت كانديدا تعنيها خلال حديثها مع موريل حول نشاطه الديني ، فلم يحرمه من خلال الحسنه بل قال انه لا يحمل في قلبه ضعيفة او حسدا وانه في حياته الخاصة لين العريكة طيب القلب يحب المرح . اما صفاته السيئة فقد أرجع اغلبيتها لا الى طبيعة أصيلة فيه ولكن الى نوع النشاط الذي يقوم به مثلا ان غلظته وحقارته تولدتا نتيجة لانانية التجارة التي هي انانية لا مفر منها وان الفرور البليد جاءه نتيجة لافراط التغذية والنجاح التجاري كما تولد عنده الجشع لانه لم يجد عملا ذا دخل كريم سوى عمل من يعيشون على عرق غيرهم ، وكلها ظروف مخففة اراد شو من ذكرها ان يشير من طرف خفي الى مسئولية المجتمع في خلق اسباب الفساد احيانا وهي مسئولية يشترك فيها رجل الدين باعتباره من دعائم هذا المجتمع ومن حراسه .

لقد ابدى برجيس رأيه في موريل وفي الكنيسة في اقوال تحمل على الابتسام مثل : أحقق كبير كعهدي بك دائما يا جيمس « و » ان قليلا من الحمق يعتبر ميزة لرجل الدين « و » الانسان لا يحمل كل ما يقوله رجل الدين محمل الجد والا ما استطاعت عجلة الدنيا ان تدور « و » كن مسيحيا « و » كل هذا يفيدك يا جيمس فهو يجعل اسمك يظهر في الصحف ويصنع منك رجلا عظيما « و » كيف سمع لك بالوعظ بتانا . انا أعرف قسيسا اوقفه اسقف لندن عن عمله عدة سنوات رغم ان المسكين لم يكن اكثر منك ورعا « و » انت وفريقك اصبحتم ذوى نفوذ . لا بد أن ينعموا عليك بمنصب كبير في يوم من الايام ان لم يكن لشيء فلكي يسدوا فمك « و » مهما يكن ، فقد ادركت انت بالفراصة ما يجب عمله فالخط الذي اخترته هو الخط الرابع لرجل من طرازك « الى آخره . وكثير من هذا الكلام يمثل آراء برناردشو نفسه الذي يقول في مقدمة « مسرحيات سارة » ان « الديانة بعثت الى الحياة وعادت الى الناس بل والى رجال الدين بقوة بلغ من شدتها ان احدا لم يستطع ان يحول دونها حتى ولا كنيسة انجلترا » .

وقد اراد شو ان يوضح قصر نظر رجل الكنيسة - او ما يسميه برجيس بالحماقة - في موضعين من هذه المسرحية هما سبب القطيعة وسبب المصالحة . لقد كان موريل قصير النظر في مقاطعته لبرجيس لانه لم يدرك ان المنطق الذي جعل برجيس يدفع لعماله اجور كفاف هو منطق الربح والنافعة الذي يقصره المجتمع والكنيسة وان مقاطعة برجيس لن تجدى في اصلاح الاحوال وأن السدى يجدى - وهذا هو ما حدث بعد ذلك هو حماية العاملين وفرض اجور دنيا لهم . وكان موريل قصير النظر في مصالحته لبرجيس لانه فرح بالاجور المرتفعة التي اصبح

يدفعها للعمال وفاته ان ادخال الآلات في المصنع قد ترتب عليه للعاملات وضع أسوأ من الوضع القديم لانه يقطع مورد رزقهن ويحرمهن حتى من أجور الكفاف ويعرضهن لشر مما كن يتعرضن له من قبل .

وقد جمع شو برجيس والقس ميل وبروسبرين في مناسبة لا يجب ان نفوتنا الدلالة التي ارادها المؤلف منها : لقد طلب موريل من برجيس ان يصحبه الى المحاضرة ولكن برجيس رفض في بداية الامر فهو يرى ان موعظة دينية واحدة في الاسبوع يوم الاحد فيها الكفاية . ولم يجد موريل وسيلة لاغرائه بالذهاب سوى ان يعده بتقديمه لرئيس جماعة القديس متى الدينية الذي هو عضو ذو نفوذ في لجنة الاشغال في المجلس البلدى اى ان يلوح امامه بما يمكنه ان يجنيه من التعرف عليه من كسب مادي ، وهذا افراد لا يتفق مع كرامة رجل الدين الذي يريد ان يصلح المجتمع والذي ينادى بالامانة وبالقيم العليا . وقد ذهب برجيس تحت هذا الاغراء الى المحاضرة الدينية ، التي كانت من أروع محاضرات موريل ، ومع ذلك ما الذي حدث بعدها مباشرة ؟ نفس ما كانت تقوله كانديدا لموريل : دعا برجيس رئيس الجماعة الدينية الى العشاء ودعا معه القس اسكندر ميل وبروسبرين وسقا الجميع شمبانيا ، وهي الخمر وافلى انواع الخمر ، وعاد مسرورا الى البيت وعادت معه بروسبرين المحبة لموريل ومسيحيته واشتراكيته سكرى تتطوح بعد ان حنثت بوعدها بالا تقرب الخمر وعاد معه القس اسكندر ميل ، رجل الدين ، وهو يلهج بالثناء عليه ، في الوقت الذي كانت دعوته لا تنبع من أريحية خاصة ، ولكن من نية مشبوهة ومن غرض مبيت لاستغلال نفوذ عضو المجلس البلدى في خدمة مصالحه في مناقصات التوريد التي يطرحها المجلس والتي يجنى هو من ورائها مالا وفيرا .

لقد اطلق شو على هذه المسرحية اسم كانديدا ولكن بطلها الحقيقي في الواقع هو موريل . والمسرحية تمثل في خطوطها العريضة محاكمة لموريل في محكمة الديانة الصحيحة . وكان أحد الادوار التي لعبتها كانديدا في هذه المسرحية هو دور القاضي والحكم . وقد تطورت الامور في المحاكمة الى خصومة بين المتهم وبين ممثل الادعاء الذي هو مارشباتكس . وسمعت كانديدا مرافعة طرفي الخصومة واصدرت حكمها . وتغلبت رحمة القاضي على عدله واعترف المتهم بعد صدور الحكم . اما الادعاء ، فقد رأى ان مهمته انتهت وانصرف بعد رفع الجلسة بعد ان ركع - كما ركع المتهم قبله - امام رحمة القاضي وعطفه .

وبعد : فهذا هو مدى فهمنا للمعنى البعيد لمسرحية « كانديدا » وهو فهم اجتهدى كان مما دفعنا اليه موقف المؤلف نفسه من شخصية مارشباتكس . لقد رسم شو هذه الشخصية بكثير من العطف والرعاية . ولو ان حب مارشباتكس لكانديدا كان مجرد حب رومانسي مثالى لامرأة عادية مهما بلغ حظها من الروعة لأغرقه شو في بحر من تهكم وسيخرية . ولكن الذي حدث انه جعل كانديدا يحترم عواطفه احتراماً كاملاً وتقف في صفه باستمرار وتقول انه دائماً على صواب وانه يفهم مالا يفهم موريل ، وجعل موريل الذي كان يعتبره طفلاً ومراهقاً وبكاء وجباناً

في البداية بهابه بعد ذلك ويحس قوة ضرباته ويخرج في نقاشه معه أكثر من مرة عن مسلك الوقار المقترض في رجل الدين بل جعله يضعف امامه ، وجعله بعد ان اتهم في نواياه وقال انه ثعبان وشيطان يدرك خطاه في النهاية ويشفق عليه من القيام بعمل طائش .

والذي دفعنا اخيرا الى ترجيح الرمزية في فهم هذه المسرحية بالاضافة الى ما ذكرناه عبارات معينة يخيل لنا ان المؤلف ساقها عمدا على لسان مارشبانكسي ليحملنا على التعمق في البحث عن معانيه وعدم الاكتفاء بالنظرة العاجلة مثل حديثه عن السيف المشتعل ومثل هذه الكلمات التي وجهها الى كانديدا بعد الموقف الذي ابدت فيه لوريل رأيها في مواعظه : « انا أعلم أنك لست مسئولة وان ما حدث لم يكن منه مناص » ومثل انكاره للبديهييات كقوله وهو يتحدث عن موريل « بأى حق هو السيد » وقوله لكانديدا ، « انا اكبر منك سنا لو تعلمين » وقوله « ولكن فؤادى ينطوى على سر افضل من هذا » .

ونحن ندرك جيدا ان تفسيرنا لمعنى المسرحية الخفى قد لا يتفق وبعض المواقف او بعض العبارات التي وردت فيها هنا وهناك ، ولكن ذلك شيء لم يكن منه مفر فالمسرحية ذات المعنيين تلزم المؤلف في بعض المواقف والتفاصيل الصغيرة الى مراعاة ما تقضي به وقائع القصة الظاهرة على حساب معناها الخفى .

ومع هذا كله فليس لتفسيرنا صفة الالتزام فهو ليس تفسير المؤلف الذي اقتصر تعليقه بشأن المسرحية تقريبا على ما ذكرناه منسوبا اليه . وللقارئ بطبيعة الحال ان يخرج من المسرحية بمعنى رمزي مختلف مستندا في ذلك الى اسانيد أقوى مما استندنا اليه . بل ان للقارئ حرية كاملة في ان يرفض فكرة المعنى البعيد من اساسها وان يرى للمسرحية مغزى واحدا هو مغزاها الظاهري اذا وفق الى العثور على رد مقنع لمختلف ما اثرناه في صدد مفهومها الظاهر من مفارقات .

هذا وقد لقيت مسرحية كانديدا التي ادرجها شو ضمن مجموعة مسرحياته السارة على اعتبار ان موريل قد اعترف في النهاية بانه كان مخطئا في فهم زوجته ، نجاحا كبيرا لدى القراء والمشاهدين في جميع البلاد التي مثلت المسرحية أو نشرت فيها ككتاب . كذلك فان اكثر النقاد يعتبرونها من أحسن ما كتب برناردشو .



كانديدا

١٨٩٥

المسرحية الأولى : من أربع مسرحيات متارة

تأليف : جورج برنارد شو

ترجمة وتقديم : محمود علي مراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

CANDIDA

1895

Being The Second of Four Pleasant Plays

الفصل الأول

صباح جميل من شهر اكتوبر ١٨٩٤ في المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة لندن . حى فسيح يبعد أميالا عن لندن التى يراها الانسان فى حى « مبي فير » و « بقلديس جيمس » . وهو بيوتته الحغيرة دون هذين الحين ضيقا وقذارة وعفونة وافتقارا الى الهواء . حى من الاحياء الهامة فى حياة الطبقة المتوسطة غير ذات الواجهة فشوارعه عريضة وسكانه لا يحصون من كثرتهم ، وبه عدد كاف من دورات المياه الحديدية القبيحة ومن نوادى الراديكالية (١) ومن خطوط الترام التى يتدفق فيها موكب ازلى من العربات الصفراء . طرقاته الرئيسية تنعم بترف يتمثل فى « حدائق امامية » ينبت فيها النجيل ولا تطوؤها قدم انسان الا فى الممشى الذى يصل ما بين البوابة وباب البهو . وقد نكب هذا الحى بمرض تحمله بتبلد ، فى شكل أميال وأميال متواترة من البيوت الدميمة المبنية بالطوب ، واسوار سوداء حديدية وارصفة حجرية وأسقف من الاردواز وناس غير انيقين فى احتشام وأقل منهم فى حقارة تعودوا تماما على المكان ، يتسكعون اكثر الاحيان فى استهتار قريبا من الاماكن التى يعمل فيها غيرهم . اما ما يتجمع من طاقة قليلة ومن حماس قليل فيبددان فى صورة جشع كوكنى (٢) وشحن للاعمال . حتى رجال الشرطة وحتى

(١) الراديكالية هى الفريق المتطرف من حزب الأحرار البريطانى الذى نادى بإجراء اصلاحات جذرية .

(٢) الكوكنى وصف يوصف به احياء لندن الأصلية القديمة وسكانها ولهجتهم وهى تشمل الشرق ، الشمال الشرقى ، والجنوب الشرقى .

الكنائس ليسوا من الندرة بحيث يخفون من حدة الرقابة. الشمس ساطعة في اشراق ، وليس في الجو ضباب . ورغم ان الدخان يجعل الاشياء كلها - سواء كانت وجوها أو أيدي أو طوبا أو ملاكا - تبدو فعلا وقد فقدت نضرتها ونظافتها ، فهو ليس كثيفا الى درجة تزعج أهل لندن .

على أن لصحراء البشاعة هذه واحتها ، فبالقرب من نهاية شارع « هيكني » الخارجية حديقة عامة مساحتها ٢١٧ هكتارا (١) لم يصنع سياجها من قضبان الحديد ولكن من الأوتاد الخشبية ، وهي حافلة بالمروج والاشجار وفيها بركة لهواة الاستحمام ومناطق مزروعة بالرياحين تعتبر مفخرة لفن اهالى لندن الاصلين الذى يثير الاعجاب في فلاحه البساتين بأبسطة من الزهور ، ورقعة صغيرة من الرمل الذى استحضر أصلا من شاطئ البحر ليلهو به الاطفال والذى سرعان ما عزفوا عنه مع ذلك عندما اصبح المرتع الطبيعى لكل حشرات أحياء « كنجزلاند » و « هيكني » و « هوكستون » . وقد اقيم في الحديقة لاجتذاب الناس منصة للفرق الموسيقية وساحة غير مؤثثة للخطابة الدينية والمناهضة للدين والسياسة ، وساحات للعبة « الكريكييت » ، و « جمنيزيوم » لممارسة الالعاب الرياضية ، و « كشك » حجري من الطراز القديم . وحيثما كانت الاشجار او الارض الخضراء المرتفعة تحف بمجال الرؤية فان المكان يبدو بهيجا . اما حيث تنبسط الارض مسطحة الى الأوتاد الرمادية ومن ورائها الطوب والملاط والاعلانات التى ترتفع في السماء والمداخن المزدهمة والدخان ، فان المنظر يجعله موحشا تغافه النفس .

ان أجمل منظر لحديقة فكتوريا هو ذلك الذى تطل عليه النافذة الامامية ، لبيت قس كنيسة القديس دومينيك الذى لاتقع العين المطلة

(١) الهكتار ١٠,٠٠٠ متر مربع .

منه على طوبة واحدة . هو بيت شبه منفصل تتصدره حديقة مدخل مسقوف . ثمة درج يصعده الزوار حتى المدخل المسقوف : اما الباعة وافراد الاسرة فينزلون عن طريق باب يقع تحت الدرج الى الدور الارضى حيث توجد حجرة الافطار التى تستخدم لجميع الوجبات في المقدمة ويوجد المطبخ في المؤخرة . وفي الدور الاول ، في مستوى باب البهو ، يقع الصالون الذى تطل نافذته ذات اللوح الزجاجى العريض على الحديقة العامة . وفي هذه الحجرة ، وهى حجرة الجلوس الوحيدة التى امكن الاحتفاظ بها بمنأى عن الاطفال وعن وجبات الاسرة ، يؤدى القس المحترم جيمس ميفور موريل عمله . وهو يجلس على كرسي مقوس الظهر متين يمكن التحرك به حركة دائرية ، عند طرف مائدة طويلة وضعت بعرض النافذة بحيث يستطيع القس ان يروح عن نفسه بالنظر فوق كتفه الايسر الى الحديقة العامة . وعند طرف المائدة الآخر منضدة صغيرة ملاصقة لها عرضها نصف عرض المائدة الاولى عليها آلة كتابة . سكرتيرة القس تجلس الى هذه الآلة الكتابة وظهرها الى النافذة . نشرات وصحف وخطابات ومجموعة من الادراج المتداخلة واجنحة مكتب وميزان بريدى وما الى ذلك متشرة في اهمال على المائدة الكبيرة . كرسي احتياطي للزوار الذين يقصدون القس لامر يتعلق بهم ، موضوع في الوسط في اتجاه القس . في متناول يد القس علبة تشتمل على ورق ابيض وأدوات كتابية ، وصورة فوتوغرافية داخل اطار . في الحائط الذى يقوم وراء ظهره ركبت رفوف رصت عليها كتب تستطيع العين الخبيرة أن تدرك منها مدى تفقهه وتبحره في الدين ، من كتاب مقالات في علم اللاهوت لموريس والمجموعة الكاملة لاشعار براوننج وعن سياسته الاصلاحية من كتاب أصفر الغلاف عنوانه : التقدم والفقر ، ومقالات فابية ، وكتاب « حلم جون بول » ، وكتاب « رأس المال » لماركس ونصف دسنة من الشوامخ الادبية التى تتناول

موضوع الاشتراكية . وفي مواجهة القس في جانب الحجرة الآخر ،
قريبا من الآلة الكاتبة باب . وبعد الباب وفي مواجهة المدفأة خزانة
كتب وضعت على صوان (بار) لزجاجات الحمر والى جوارها كنبه .
نار سخية تشتعل في المدفأة . المكان المواجه للمدفأة يغرى بالجلوس ففى
أحد جانبيه مقعد وثير ودلو للفحم مطلى باللون الاسود وقد نقش
عليه زهور ، وفي الجانب الآخر كرسي صغير للاطفال . الجزء البارز
في أعلى المدفأة خشبي مدهون « بالورنيش » وعليه رفوف صنعت بعناية
ورصعت قوائمها بقطع صغيرة من المرايا ، ومنبّه مما يستخدم فى
الاسفار فى حق جلدى (هدية الزواج التقليدية) وعلى الحائط بأعلى
المدفأة لوحة كبيرة للمنظر الرئيسى من لوحة « صعود العذراء » للفنان
تيشان أو تيشان . نظام الحجرة فى مجموعها ينبئ عن ربة بيت قديرة
هزمتها ، فيما يتعلق بالمائدة ، رجل غير مرتب ولكنها فى باقى المكان سيدة
الموقف . الاثاث يغلب عليه ، من ناحية الزينة ، طابع ، طقم غرفة
الصالون « الذى يعلن عنه تاجر الاثاث المزاحم فى الضواحي ، ولكن
الحجرة ليس فيها شئ عديم الفائدة او مظهرى فان مالية قس فى الحى
الشرقى من لندن أضعف من أن تبدد فى كماليات منزلية للتفاخر .

والقس المحترم جيمس ميفور موريل من رجال الدين المسيحى
الاشتراكيين التابعين لكنيسة انجلترا ، وهو عضو عامل فى جماعة
القديس متى والاتحاد الاشتراكي المسيحى ، وهو رجل فى
الاربعين قوى العارضة ، نابغ ، محبوب ، صلب العود ، وسيم
الطلعة ، يتفجر حيوية ، رقيق الحاشية ، حلو المعشر ، جميل الحصال ،
صوته رائق غير متكلف ، وهو يستخدمه بلسان ذرب ، ونطق واضح
فصيح فصاحة الخطيب كثير المران . وهو يملك ثروة لغوية واسعة
وقدرة كاملة على التعبير . رجل دين من الطراز الاول ، له القدرة
على أن يقول ما يشاء لمن يشاء وان يحاضر الناس دون ان يقف منهم

موقف المهجوم وان يفرض سلطانه عليهم دون اذلال وان يتدخل ،
عند اللزوم ، في شئونهم دون تطفل . ولم يحدث قط ان نصب المعين
الذى يسمونه حماسة ومشاركة وجدانية ولو لحظة : وهو لا يزال
يأكل وينام بالاقبال الذى يضمن له الانتصار في المعركة اليومية التى
تدور بين الانهباك واستعادة القوى . وهو فيما عدا ذلك
طفل كبير ، يغتفر له اعترازه بقدراته ، وهو راضٍ عن نفسه دون
وعى منه . له بشرة ناضرة وجبين ناصع وحاجبان تنقصهما الحدة
نوعا وعينان لامعتان متلهفتان وفم ينطق بالعزم ولو أن رسمه ليس
فائق الجمال ، وأنف ضخمة ، منخراه ، في حركة تمودهما منخارا
خطيب درامى وهما ، كسائر ملامحه ، يفتقران إلى الارهاف .

أما مس بروسبرين جارنيت ، السكرتيرة ، فهي امرأة صغيرة
الحجم نشيطة في حوالى الثلاثين من عمرها ، من الطبقة المتوسطة
حسنة الهندام وان يكن ثوبها رخيصا وهو يتكون من «
«جونلة» سوداء من الصوف و «بلوزة» . وهى على قدر ملحوظ من
سلطة اللسان وسرعة الرد ، ولا تتمتع بقسط كبير من دماء الخلق .
ولكنها ذات حس وقلب . وهى مكبة على آلتها الكاتبة في جلبة بينما
يفض موريل آخر خطابات الصباح . تندب عنه وهو يقف على
محتوياته أنه يأس مضحكة .

بروسبرين : محاضرة أخرى ؟

موريل : نعم . جماعة هوكستون للحرية تدعونى إلى القاء
محاضرة عليها صباح الاحد (يضغط بشدة على كلمة
الاحد باعتبار أن هذا هو جانب العملية غير المعقول)
ما لونهم يا ترى ؟

بروسبرين : شيوعيون فوضويون على ما أعتقد .

موريل : ليس بمستغرب ان يجهل فوضيون أن لدى القس
يوم الاحد ما يشغله عنهم . اخبرهم بأن يحضروا
إلى الكنيسة إذا كان يهمهم سماعي . وقولي لهم
انني لن أتمكن من الذهاب اليهم الا يوم الاثنين أو
يوم الخميس . هل اجندة المواعيد معك ؟

بروسبرين : (تتناول الأجندة) : نعم .

موريل : هل عندي محاضرة يوم الاثنين القادم ؟

بروسبرين : (تراجع الاجندة) : نادى تاور هاملت^(١) الراديكالي.

موريل : حسنا . ويوم الخميس ؟

بروسبرين : اتحاد احياء الارض الانجليزى .

موريل : وبعد ذلك ؟

بروسبرين : جماعة القديس متى يوم الاثنين . حزب العمال

المستقل ، فرع جرينويتش يوم الخميس .

الاثنين : الرابطة الاشتراكية الديمقراطية فرع

ميل اند . الخميس : فصل تثبيت العماد .

(نافذة الصبر) لا . الاخرى ان أخبرهم انك لن

تستطيع الذهاب . ما هم الا نصف دسته من باعة

الخضر المتجولين الجهلة المغرورين لا يملكون فيما

بينهم خمسة شلنات .

موريل : (لا هيا) ولكنهم يمتنون الى بصلة قرابة وثيقة ؟

بروسبرين : (تحلق فيه) يمتنون لك بصلة قرابة !

موريل : نعم : أبونا واحد . . في السموات .

(١) اسم لمكان يحسن عدم ترجمته .

بروسبرين : (وقد سرى عنها) : أهذا كل ما هناك ؟
موريل : (بكآبة هي نوع من الترف لرجل مثله يصورها
صوته تصويرا بديعا) : انت لا تؤمنين بذلك .
الكل يقوله : ولا أحد يؤمن : لا أحد . (يعود فجأة
الى ما كان بصدده) ؟ يا مس بروسبرين : أليس
في وسعك أن تجدى تاريخا مناسباً لباعة الخضر
المتجولين ؟ ما رأيك في يوم ٢٥ ؟ كان هذا اليوم
خاليا أول من أمس .

بروسبرين : (تراجع الاجندة) : مشغول . الجمعية الفائية .
موريل : أف من الجمعية الفائية ! هل يوم ٢٨ مشغول هو
الآخر ؟

بروسبرين : عشاء في حي السي (١) . انت مدعو لتناول العشاء
لدى شركة سباكة المعادن .

موريل : ههنا مناسب : سأذهب بدلا من ذلك الى جماعة
هو كستون للحرية . (تقيد الموعد في صمت وكل
خط في وجهها ينطق بسخط ناغم على فوضوي
هو كستون . موريل يفض عددا من أعداد مجلة
« مصلح الكنيسة » وصل بالبريد ويلقى نظرة سريعة
على مقال مستر ستوارت هلام الافتتاحي وعلى
أخبار جماعة القديس متى . يظهر مساعد موريل ،
القس المحترم اسكندر ميل ، فيشيع الحياة في هذا
الجو . والقس ميل جنتلمان شاب تلقفه موريل من

(١) حي المال والأعمال الذي تركز فيه البنوك والبورصة ومكاتب الشركات
بأنواعها .

أقرب مدينة جامعية وكان قد وفد إليها من جامعة
اكسفورد ليفيد حتى لندن الشرقي بتدريسه الجامعي.
وهو حديث عهد بوظيفته كرجل من رجال الدين،
معتز بنفسه في حسن نية، متحمس، غر. ليس
فيه شيء غير مقبول سوى عادة في الحديث مع قفل
شفتيه بعناية نصف بوصة من كل ركن من ركني
الفم لكي تخرج الالفاظ حروف العلة في حذقة،
وفي استخدام طريقة الجامعيين في نطق حروف العلة
وكانت هذه حتى ذلك الوقت طريقته الرئيسية
لتغليب تأنقه الاكسفوردي - كما كان يسمى عاداته -
على سوقية الكلام الشعبي. يرفع موريل - الذي
نجح مساعده في كسب قلبه بالتعجب اليه تعجب
الكلب لصاحبه - بصره من صحيفة «مصلح الكنيسة»
ويغمزه: «ها يالكس. متأخر، كالمعتاد!»

لكسي : هذا صحيح فيما أخشى. بودى لو استطعت ان أبكر
في النهوض.

موريل : (جذلا لنشاطه هو) : ها ! ها ! (معاتبا) انظر
وادم ربك يا لكسي : انظر وادم ربك :

لكسي : عارف. (يرتفع بذكاء إلى مستوى المناسبة) ولكن
كيف لي ان انظر وادعوربي وانا نائم؟ أليس كذلك
يا مس بروس؟ (١) (يقرب من دفع النار).

(١) اختصار لاسم بروسبرين. والأسماء لدى الغربيين تتكون من شقين : اسم
الفرد وهو لا يستخدم إلا بين أشخاص رفعت بينهم الكلفة، واسم الأسرة
ويستخدم بين الغرباء وفي المعاملات والمستندات الرسمية. ومس جانيت تنبه
لكسي في السطر التالي إلى أنها لا تسمح له بالتبسط معها.

- بروسبرين : (بجدّة) : مس جارنيت من فضلك .
- لكسى : عفوا . مس جارنيت .
- بروسبرين : عليك أن تقوم اليوم بالعمل كله .
- لكسى : (امام المدفأة) لماذا ؟
- بروسبرين : لا يهم لماذا . من الخير لك أن تكسب — مثلى — ثمن عشائك قبل تناوله ولو مرة . هلم ! دعك من التكاسل . كان المفروض أن تخرج لدورتك منذ نصف ساعة .
- لكسى : (مضطربا) أهى جادة يا موريل ؟
- موريل : (في أحسن حالاته المعنوية وعيناه ترقصان طربا) : نعم . انا الذى سأتكاسل اليوم .
- لكسى : أنت ! أنت لا تعرف ما هو التكاسل .
- موريل : (ينهض) ها ! ها ! صحيح ؟ سيكون هذا النهار بأكمله لى . زوجتى عائدة : ستكون هنا فى الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين .
- لكسى : (مستغربا) بهذه السرعة ! مع الاطفال ؟ كنت أظن انهم سيمكثون هناك حتى آخر الشهر .
- موريل : فعلا : ستأتى يومين فقط لتأخذ بعض الملابس الصوفية بلجيمى ، ولترى كيف تسير احوالنا بدونها .
- لكسى : (قلقا) ولكن ، يا عزيزى موريل ، إذا كان ما ألم بجمي وفلافي هو الحمى القرمزية ، أظن من الحكمة ..
- موريل : الحمى القرمزية ! كلام فارغ ! إنها الحصبة الألمانية أنا الذى نقلتها بنفسى إلى البيت من مدرسة شارع

بأيكر وقت . القسيس يابني كالطبيب : عليه أن يواجه العدوى كما يواجه الجندى الرصاص .
(يضرب على كتفي لكسي برجولة) خذ عدوى الحصبة ان استطعت يالكسي وهي تقوم بتمريضك وإذا حدث لك هذا فسيكون من حسن حظك .
ألسن من هذا الرأي ؟

لكسي : (يتسم متمللا) من الصعب أن يفهمك الانسان بخصوص مسز موريل . .

موريل : (برقة) تزوج يابني : تزوج امرأة صالحة وساعتها ستفهم . هذه عينة من أحسن ما تحفل به مملكة السماء (١) ، التي نحاول أن نقيمها على الأرض . تزوج وستجد أنك شفيت من داء التكاسل . الرجل الأمين يشعر بأن عليه أن يدفع دينه للسماء عن كل ساعة سعادة بفترة كافية من العمل الشاق المتفاني لاسعاد الآخرين . نحن لا نملك استهلاك السعادة دون أن ننتجها أكثر مما نملك استهلاك الثروة دون أن ننتجها . اتخذ لنفسك زوجة مثل كانديدای وستكون دائما متأخرا في الوفاء بدين السماء عليك (يربت على لكسي بجذب ثم يتحرك ليترك الغرفة) .

لكسي : رويدك : نسيت أن اخبرك . (موريل يتوقف ويستدير ومقبض الباب في يده) حموك قادم ليراك .
(موريل يغلق الباب ثانية في دهشة وامتعاض وتتغير لهجته تماما .)

(١) أي الجنة .

- موريل : متر برجيس ؟
- لكسى : أجل . التقيت به في الحديقة العامة وهو يتناقش مع شخص ، وطلب منى أن أخطر بك بأنه قادم .
- موريل : (يكاد لا يصدق) ولكنه لم يأت لزيارتنا منذ ثلاث سنوات . أنت واثق بالكسى ؟ . أم أنها دعاية ؟
- لكسى : (جادا) لا ياسيدى . حقيقة .
- موريل : (متفكرا) أظف الألوان ليلقى نظرة أخرى على كانديدا قبل أن تتغير مع الأيام صورتها التي يعرفها (يرضخ للامر الواقع ويخرج) .
- (لكسى يتبعه بنظرة واساريه تنطق باجلال كالعبادة مس جارنيت ، لعجزها عن تعنيف لكسى ، تصب جام غضبها على الآلة الكاتبة .)
- لكسى : ياله من انسان خير ! ياله من روح عطوف ! (يجلس مكان موريل إلى المائدة ، ويتخذ مريحا للغاية وهو يتناول سيجارة) .
- بروسيرين : (ضيقة الصدر ، تجذب الخطاب الذى كانت تكتبه من الآلة الكاتبة وتطويه «) : أف . لا حرج على أى رجل من أن يحب زوجته ولكن لا إلى الحد الذى يجعله اضحكوكة .
- لكسى : (مصدوما) مس بروس . ماذا تقولين !
- بروسيرين : (تستخرج مظروفا من علبة الأدوات الكتابية بحركة عنيفة وتضع بداخله الخطاب وهى تتحدث) جاءت كانديدا . ذهبت كانديدا . كانديدا في كل مكان ؟

(تعلق المظروف) . شئ يخرج أى انسان عن طوره
(تضغط بقبضتها على المظروف ليلتصق) أن يسمع
الانسان ان امرأة تستشير الهذيان بهذه الصورة السخيفة
لمجرد أن شعرها لا بأس به وان شكلها مقبول .

لكسى : (بصرامة ولوم) هى فى رأى سيدة بارعة الجمال
يامس جارنيت . (يرفع الصورة الفوتوغرافية .
يتطلع اليها ويضيف باعجاب مترايد) بارعة
الجمال . ما أبهى عينيها !

بروسبرين : عيناها ليستا أفضل فى شئ من عيني ! (يعيد الصورة
إلى مكانها ويحلق فيها مقطبا) وأنت تعلم جيدا
انك تظنى زرية الملبس ومن الدرجة الثانية .

لكسى : (ينهض باباء وشمم) حاشا لله أن يكون هذا رأى
فى كائن خلقه سبحانه (يبتعد عنها بجفاء عبر الحجرة
مقربا من خزانة الكتب) .

بروسبرين : (فى تهكم) شكرا . قول رقيق للغاية ، يفرج
الكرب .

لكسى : (وقد أحزنه قلبها الاسود) ، لم يكن يخطر على
بالى ان بك حفيظة على مسز موريل .

بروسبرين : (باستنكار) ليس بى حفيظة عليها . هى سيدة غاية
فى الرقة وطيبة القلب وأنا أميل اليها كثيرا واستطيع
أن أقدر خصاها الحقيقية أكثر بكثير من أى رجل .
(يهز رأسه باكتئاب .)

(تنهض وتتقدم منه فى عصبية شديدة) ألا تصدقنى ؟
أنت تظن اننى أغار منها . عجبى لمعرفةك للقلب

الآدمي يامستر لكسي ميل ! ما أعظم علمك بنقاط
الضعف عند المرأة ! شيء جميل بلاشك ان يكون
المرء رجلا وان يكون صاحب ذكاء خارق نفاذ
بدلا من مجرد عاطفي مثلنا ، وان يعلم ان السبب
الذي يجعلنا لانشارككم في أوهامكم العاطفية هو
أننا جميعا نغار من بعضنا البعض ! (تنصرف عنه بهزة
من منكبيها وتعبّر الغرفة الى نار المدفأة لتدفئ يديها) .
لو أن لديكن أيتها النساء مفتاح قوة الرجل كما ان
لديكن مفتاح ضعفه يامس بروس ، لما كان هناك
مسألة نسائية .

لكسي

بروسبرين : (من فوق كتفها وهي تنحني مادة يديها إلى اللهب)
أين سمعت موريل يقول ذلك ؟ لست أنت صاحبة
هذا القول : أنت لست على هذه الدرجة من الفطنة .

لكسي : عين الصواب . ولا ينجلني اني مدين له بهذا القول
كما انا مدين له بالعديد من الحقائق الروحية الاخرى .
لقد قال هذه الكلمة في المؤتمر السنوي لاتحاد حرية
المرأة . واسمحي لي ان أضيف ان النساء اذا كن لم
يقدرن حق قدرها فقد قدرتها أنا الرجل . (يتحول
ثانية الى خزانة الكتب آملا أن يكون قد سحق برده
بروسبرين) .

بروسبرين : (تسوى شعرها في احدى قطع المرايا برف المدفأة)
عموما اذا خاطبتني فخاطبتني بأفكارك الخاصة كما
هي ، لا بأفكاره هو . انت تبدو في أسوأ حالاتك
حين تحاول تقليده .

لكسي : (يحس الوخزة) انا أحاول ان أقتدى به لا أنأقلده .

بروسبرين : (تتقدم منه ثانية في طريق عودتها الى عملها) بلى :
أنت تقلده . لماذا تضع مظلتك تحت ذراعك اليسر
بدل أن تحملها في يدك كأي شخص آخر ، لماذا تسير
وذقنك الى الامام وتسرع الخطو وتلك النظرة المتلهفة
في عينيك ؟ ! أنت ! أنت الذي لا يستيقظ أبدا
قبل التاسعة والنصف صباحا . لماذا حين تنطق كلمة
« المعرفة » في الكنيسة تنطقها بطريقة غير التي ننطقها
بها في الوقت الحديث الخاص ! أتظن اني لا أعرف؟
(تعود الى الآلة الكاتبة) هلم ! تعال وابدأ عملك :
لقد اضعنا من الوقت مافيه الكفاية ليوم واحد . اليك
نسخة من الاجندة عن أعمال اليوم . (تسلمه مذكرة) .

لكسى : (مجروح الاحساس) أشكرك . (يأخذ المذكرة
ويقف أمام المائدة ليقرأها موليا ظهره لبروسبرين .
تبدأ في نقل مذكراتها المكتوبة بطريقة الاختزال على
الآلة الكاتبة غير عابثة بحالته النفسية) .

(يفتح الباب ويدخل مستر برجيس دون أن يعلن أحد
عن قدومه . وهو رجل في الستين من عمره أضفت
عليه انانية التجارة الصغيرة — وهي أنانية لا مفر منها—
غلظة وحمارة ، ثم جاء افراط التغذية والنجاح التجاري
بعد ذلك فألبساه ثوبا ناعما من الغرور البليد . جلف
جاهل سكير ، يهين من يعملون بأجر زهيد ، ويحتقرهم ،
ويحترم الثروة والجاه ، وهو في كـلا الموقفين
صادق لا يحمل في قلبه ضغينة أو حسدا . لم تجد عليه

الدنيا بعمل ذى دخل كريم سوى عمل من يعيشون
على عرق غيرهم ، لذا فقد غدا جشعا الى حد ما .
ولكنه شخصيا لا يحس بذلك على الاطلاق بل يتصور ،
—امينا على نفسه — أن توفيقه في التجارة انتصار حتمى
ومكافأة اجتماعية طيبة لصفات الكفاءة والكدح
والمهارة والخبرة التى يتمتع بها رجل يتصف في حياته
الخاصة بلين العريكة وطيبة القلب وبحب المرح
والشراب الى درجة الافراط . وهو جسديا قصير
وبدين ، ذو أنف خرطومى يتوسط وجهها مربعا
مسطحا . لحيته بلون التراب في وسطها بقعة بيضاء
تحت الذقن . عيناه صغيرتان مائيتان زرقاوان يختلط
في تعبيرهما التشكى والعاطفية ، وهو ينقل هذا التعبير
بسهولة الى صوته بفضل عاداته في تفخيم نبرة عباراته .

برجيس : (يقف على العتبة ويجيل النظر حوله) قيل لى ان
المستر موريل هنا .

بروسبرين : (تنهض) سأبحث لك عنه .

برجيس : (يحدق فيها خائب الظن) أنت لست الأنسة التى
اعتادت أن تكتب له على الآلة الكاتبة .

بروسبرين : لا .

برجيس : (يغمغم في طريقه الى البساط الموضوع امام الموقد)
لا : هى كانت أصغر سنا . (مس جارنيت تحمق
فيه ثم تخرج وتصفق الباب) . ذاهب فى دورتك
يا مسترميل ؟

لكسى : (يطوى مذكرته ويضعها في جيبه) أجل : وأنا مضطر الى الذهاب فورا .

برجيس : (مؤكدا) لا أريد ان أعطلك يا مسترميل . ما جئت من أجله أمر خصوصى بينى وبين مسترموريل .

لكسى : (باستخفاف) ليس فى نيتى أن أكون متطفلا يامستر برجيس . طاب صباحك .

برجيس : (باستعلاء) طاب صباحك .

(موريل يعود ولكسى في طريقه الى الباب .)

موريل : (الى لكسى) ذاهب الى العمل ؟

لكسى : أجل يا سيدى .

موريل : خذ وشاحى الحريرى ولف به رقبتك ، فهناك ريح باردة . توكل على الله .

(عزاء عن فظاظة برجيس ، ينشرح صدره ويخرج .)

برجيس : ارى انك لازلت تفسد مساعديك كعادتك . طاب صباحك . انا حين أدفع نقودا لشخص ما وحين يعتمد علىّ هذا الشخص في كسب قوته ، الزمه مكانه .

موريل : (بشيء من خشونة) انا دائما ألزم مساعديّ مكانهم كأعوان لى ورفاق . واذا كنت أنت تحصل من كتبتيك وأمناء مخازنك على مثل العمل الذى أحصل أنا عليه من مساعديّ فلا بد أنك تسير نحو الثراء بخطى سريعة . ألا تجلس فى كرسيك القديم ؟

(يشير بحركة من يوجه امرا مقتضبا الى المقعد ذى الذراعين بجوار النار ثم يجذب الكرسي الخالى من

المائدة ويجلس على مسافة من زائره لاتكون بين
حميمين .)

برجيس : (دون أن يتحرك) أنت كعهدي بك دائما يا جيمس !

موريل : في زيارتك الاخيرة - التي مضى عليها ، فيما أظن ،
ثلاث سنوات - قلت نفس الكلام ، بقدر اكبر
قليلا من الصراحة . يومها قلت بالحرف الواحد
« أحقق كبير كعهدي بك دائما يا جيمس ! »

برجيس : (موافقا) جائر ، ولكنني (ببشاشة استرضاء) لم

أقصد اساءة . ان قليلا من التغفيل يعتبر - لو تدرى -
ميرة لرجل الدين ، ومما يناسب مهنته أن يكون
كذلك . على أي حال أنا لم آت إلى هنا لأثير ضغائن
قديمة ، والذي فات مات . (يغدو فجأة بالغ الجدية
ثم وهو يقترب من موريل) جيمس ، منذ ثلاث
سنوات أصابني منك مكروه . ضيعت على صفقة
و حين عبرت بكلمات شديدة عما كنت أحسه من
خيبة أمل طبيعية أو غرت على صدر ابنتي . وهأنذا
قد تجئت عملا بتعاليم الدين المسيحي (يمد يده)
لقد صفحت عنك يا جيمس .

موريل : (يهب واقفا) تبا لوقاحتك !

برجيس : (يتقهقر مستنكرا هذه المعاملة فيما يشبه البكاء) هل

هذه لغة تليق بواحد من رجال الدين يا جيمس ؟
وبك أنت بالذات !

موريل : (متحفزا) لا ياسيدي : هذه لغة لا تليق بواحد من

رجال الدين . لقد أخطأت في التعبير . كان الواجب

أن أقول « اللعنة على وقاحتك » : هذا ما كان يقوله
القديس بولس أو أى قس نزيه . أتظن انى نسيت
ذلك العطاء الذى تقدمت به للحصول على صفقة
توريد ملابس للملجأ ؟

برجيس : (في قمة من الشعور بمقتضيات المصلحة العامة) لقد
تصرفت وفقا لمصلحة دافعى الضرائب يا جيمس ،
كان عطائى أقل عطاء قدم في المناقصة : أنت لا
تستطيع ان تنكر ذلك .

موريل : أجل . أقل عطاء لأن الاجور التى كنت تدفعها
للنسوة اللائى كن يمكن الملابس كانت أقل مما
يدفعه أى رب عمل آخر . أجور كفاف ، بل
أقل من أجور الكفاف . أجور كان من شأنها أن تدفع
هن إلى طريق الرذيلة لكسب ما يسد الرمق (تزداد
حدة غضبه أكثر وأكثر) أولئك النسوة كن من
نساء أبرشيى (١) . أنا جعلت المسئولين عن الملجأ
ينحجلون من قبول عطائك ، كما جعلت دافعى
الضرائب ينحجلون من تركهم يقبلونه ، جعلت
الجميع ينحجلون الا أنت . (يضطرم غيظه) كيف
واتتك المرأة ياسيدى على الحضور إلى هنا وعرض
شمولى بصفحك والتحدث عن ابتك و . .

برجيس : على رسلك يا جيمس . على رسلك ، على رسلك ! لا تستسلم
للغضب دون داع . لقد اعترفت بأنى كنت مخطئا .

موريل : حقا ؟ أنا لم أسمعك .

(١) الابرشية هى منطقة الاختصاص التى يمارس فيها القس نشاطه الروحى .

برجيس : بالطبع اعترفت . هأنذا الآن اعترف . هدى روعك
انى أسألك الصفح للخطاب الذى كتبته لك . هل
يكفيك هذا ؟

موريل : (يفرقع باصابعه) ليس هذا هو المهم . هل رفعت
الاجور ؟

برجيس : (بانتصار) نعم .

موريل : ماذا تقول ؟

برجيس : (مصانعا) أنا أصبحت رب عمل نموذجى . أنا
الآن لا أستخدم النساء : طردتهن جميعا . الذى
يقوم الآن بالعمل هو الآلات . اقل رجل عندى
لا يتقاضى اقل من ست بنسات في الساعة . أما
العمال المهرة فيحصلون على الاجور التى حددتها
النقابة . (معتدا بنفسه) هل لديك الآن قول ؟

موريل : (مأخوذا) هل يمكن هذا ! « هكذا يكون فرح
في السماء بخاطئ واحد يتوب » (١) يتقدم من
برجيس وصدره يفيض بالموودة وبالاعتذار
(ياعزيزى برجيس : ما أروع هذا من جانبك !
من كل قلبي اعتذر لك عن ظني السيء .) يأخذ
كفه (والآن ، ألا تشعر بأنك أحسن حالا لهذا
التغير ؟ اعترف ! أنت أكثر سعادة من ذى قبل
يبدو عليك انك فعلا أكثر سعادة .

(١) الفقرة ٧ من الاصحاح الخامس عشر من انجيل لوقا نصها الكامل كالاتى من
أقول السيد المسيح : « أقول لكم أنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ
واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة » .

برجيس : (باكتئاب) ربما لا بد أننى أبذو كذلك ما دمت
قد لا حظته . على أى حال فالمجلس البلدى يقبل
العطاءات التى أتقدم بها ! (بضراوة) هم يرفضون
التعامل معى إلا إذا دفعت أجورا عادلة : شذمة من
الأغبياء يتدخلون فيما لا يعنيههم . عليهم اللعنة !

موريل : (يسقط كفه وقد فت فى عضده تماما) هذا اذن هو
السبب الذى حملك على رفع الأجور !
(يجلس متكدرا) .

برجيس : (متجهما وبنبرة منتشرة متصاعدة) وما الذى
يضطرنى إلى رفعها لولا ذلك ؟ ما الذى يجره رفع
الأجور سوى دفع العمال إلى السكر والتعالى ؟
(يجلس فى وقار على المقعد الوثير) كل هذا يفيدك
يا جيمس فهو يجعل اسمك يظهر فى الصحف ويصنع
منك رجلا عظيما . ولكنك لا تفكر أبدا فى الضرر
الذى تحدثه بوضع النقود فى يد عمال لا يعرفون
كيف ينفقونها وبأخذها ممن لعلهم يحسنون استخدامها

موريل : (بزفرة عميقة ، يتحدث فى أدب بارد اللهجة)
ما شأنك معى هذا الصباح ؟ أنا لن اتظاهر بتصديق
أنك جئت بدافع من شعورك العائلى المجرد .

برجيس : (بتثبث) بل هذا هو الواقع : شعورى العائلى ولا
ولا شئ غيره .

موريل : (بهدوء وضجر) أنا لا أصدقك .

برجيس : (يقوم مهددا) لا تقل ذلك ثانية يا جيمس ميفور
موريل .

موريل : (لا يهتر) سأقوله عدد ما يلزم من المرات لا قنعك بأنه صحيح . أنا لا أصدقك .

برجيس : (يهوى إلى قرار سحيق من المشاعر الجريحة) مادمتمصرا على هذا الموقف العدائي فلعل الانسب أن أنصرف . (يتحرك ملى مضض تجاه الباب . لا لا تبدر من موريل أى بادرة . يتلكأ) . لم أكن انتظر يا جيمس أن أجد فيك قلبا لا يعفو (حين يرى أن موريل لا يستجيب لكلامه ، يخطو على كره منه خطوات قليلة أخرى صوب الباب ثم يعود أدراجه ، وبصوت متهدج) . علاقتنا لم يكن يعكسها شيء تقريبا رغم ارائنا المختلفة فما الذى جعلك تتغير من جهتي ؟ أقسم لك بشرفى أننى جئت إلى هنا والمشاعر الطيبة رائدى الوحيد لكىلا تشوب الشوائب علاقتى بزواج ابنتى . هيا يا جيمس . كن مسيحيا وتقبل يدى الممدودة . (يضع يده بعاطفية على ذراع موريل) .

موريل : (يرفع اليه طرفه في تفكر) اسمع يا برجيس . اتريد أن تقابل هنا بنفس الترحيب الذى كنت تقابل به قبل أن تفقد تلك الصفة ؟

برجيس : أجل يا جيمس . ذلك ما أتمناه من كل قلبى .

موريل : لماذا اذن لا تتصرف بالطريقة التى كنت تتصرف بها في ذلك الوقت ؟

برجيس : (يرفع يده من مكانها بحذر) ماذا تعنى ؟

موريل : سأخبرك . زمان كنت تظنى شابا أحرق .

برجيس : (معاتباً) ابدا يا جيمس . انما . .

موريل (يقاطعه) بل كنت تظني كذلك . أما أنا فكنت
أظنك وغدا هرما .

برجيس : (يستهجن بأقصى ما يستطيع من قوة هذه المغالاة في
اتهام النفس من جانب موريل) هذا غير صحيح .
أنت تظلم نفسك .

موريل : بل هذا ما كنت أظنه . وبالرغم من ذلك كانت
علاقتنا على خير ما يرام . لقد جعل الله منك ما أسميه
انا بالوغد كما جعل مني ما تسميه أنت بالاحمق .
(التأثير الذي تحدثه هذه الملحوظة على برجيس هو
انها تزيل حجر الاساس في قوس بنائه المعنوى .
يصيبه وهن جثماني وبينما يثبت عينيه في موريل في
نظرة من لا حول له ولا قوة ، يمد يده في وجل
ليحتفظ بتوازنه كما لو كانت الارض قد انحدرت
تحتة فجأة . موريل يستطرد بنفس لهجة الاقتناع
الصارم) انا لا اعترض على خلة ربنا في احدي
الحالتين اكثر مما اعترض عليها في الحالة الأخرى .
وطالما أنك جئت الى هنا بأمانة كوغد تام يحترم نفسه
ويؤمن بأنه وغد ، وطالما كنت تجد لهذه الصفة فيك
ما يبررها وتفخر بها ، فأهلا بك وسهلا . ولكن
(هنا ينطلق صوت موريل مجلجلا وينهض ويلطم
ظهر الكرسي زيادة في توكيد ما يقول) أرفض ان
تجيشني لتخبرني متباكيا أنك رب عمل نموذجي
وانك قد آمنت واهتديت والحقيقة أنك لست الا

مرتدا قلب سترته ظهرا لبطنه من أجل صفقة يحصل عليها من المجلس البلدى . (يومئذ اليه معززا قوله ثم يذهب الى البساط الذى يغطى أرضية المدفأة ويقف على راحته في وضع آمر وظهره الى النار ، ويستطرد) لا : يهمنى ان يكون الانسان صادقا مع نفسه ، حتى في الشر . والآن : اما أن تأخذ قبعتك وتمضى مع ألف سلامة أو أن تجلس وتعطينى سببا وغديا وجيها يحملك على نشدان مودتى . (برجيس ، وقد هدأت انفعالاته بالقدر الكافي لكى يعبر عنها بابتسامة مبهورة ، يشعر بارتياح لهذا الاقتراح المحدد يديره في رأسه لحظة ثم ، ببطء وفي تواضع جسم ، يجلس على الكرسي الذى تركه موريل لتوه) والآن أفرغ ما في جوفك .

برجيس : (يغالب الضحك) انت شخص عجيب يا جيمس ، ما في ذلك جدال . ولكن المرء (فيما يشبه التحمس) لا يملك الا ان يستخف ظلك : وفضلا عن ذلك فان الانسان — كما قلت من قبل — لا يحمل كل ما يقوله رجل الدين محمل الجد والا ما استطاعت عجلة الدنيا ان تدور . اليس كذلك ؟ (يتخذ هيئة تناسب حديثا اكثر خطورة ويستأنف الكلام بجديسة بليدة وهو يقلب بصره في موريل) دعنى أخبرك ، مادمت ترغب في ان نتحدث على حريتنا ، اننى كنت اعتقد فعلا في وقت من الاوقات أنك أحمق ولكنى بدأت الآن ادرك اننى ربما كنت متخلفا بعض الشيء عن زمانى .

موريل : (جذلا) مرحى ! لقد اكتشفت ذلك أخيرا . أليس كذلك ؟

برجيس : (مزهوا) بلى : لقد تغير العصر أكثر مما كنت أعتقد ، فمنذ أربع سنوات لم يكن أى عاقل يفكر في الاخذ بآرائك . وكنت انا شخصا اتساءل كيف تسمح لك بالوعظ ، أنا أعرف قسيسا أوقفه أسقف لندن عن عمله عدة سنوات رغم ان المسكين لم يكن أكثر منك ورعا . اما اليوم فاذا عرض أى شخص ان يراهننى على ألف جنيه أنك أنت نفسك سينتهى بك الامر الى ان تصبح اسقفا فلن أقبل الرهان . (باقتناع عميق) انت وفريقك اصبحتم ذوى نفوذ : بوسعى ان أرى ذلك . لا بد أن ينعموا بمنصب كبير في يوم من الايام ، ان لم يكن لشيء فلكى يسدوا فمك . مهما يكن ، فقد ادركت انت بالفراسة ما يجب عمله فالخط الذى اخترته هو الخط الرابع في الزمن الطويل لرجل من طرازك .

موريل : (يمد يده في عزم) كفك يا برجيس . أنت الآن تتحدث بأمانة لا أظن أنهم سيجعلوننى أسقفا ولكنهم اذا فعلوا فسأقدمك الى اكبر سماسرة سيتاح لى أن أدعوهم الى حفلات العشاء التى أقيمها .

برجيس : (يقوم من مجلسه بابتسامة مرتبكة ويقبل يد المودة الممدودة اليه) امزح كما تشاء يا جيمس . لقد سويننا ما كان بيننا من خصام . أليس كذلك ؟

صوت نسائي : قل بلى يا جيمس .

(يباغتان . يلتفتان بسرعة ليجدا ان كانديدا وصلت
لتوها وانها تنظر اليهما بتسامح الام التي ترى شيئا
طريفا من صغارها ، وهو التعبير المميز لها .
كانديدا امرأة في الثالثة والثلاثين ، قوية البنية ،
لا تقتر على نفسها في الاكل ، ولديها ، فيما يبدو ،
استعداد لأن تصبح فيما بعد من نوع ربات البيوت
المثلثات ولكنها الآن في أحسن صورها فهي تجمع
الى سحر الشباب سحر الأمومة . طريقتها هي
طريقة امرأة وجدت أنها تستطيع دائما أن تسوى
أمورها مع الناس باستمالة قلوبهم واتبعت هذا
الاسلوب دون أقل غضاضة بصراحة وبصورة
تلقائية . وهي حتى الآن لا تختلف عن أى امرأة
أخرى جميلة اوتيت من سعة الحيلة ما يكفي لاستغلال
فتتها في اغراض ذاتية يسيرة ، لكن طلعتها
الوضاعة وعينيها الجريشتين وفمها وذقنها في جمال
تركيبها تنبئ عن رجاحة في العقل وكرم في الخلق
يعطيان لمكرها في كسب قلوب الناس معنى ساميا .
ان الناظر الذكي الفؤاد اذا تطلع اليها لا يلبث ان
يدرك انه ايا كان الشخص الذي وضع لوحه
« صعود العذراء » فوق مدفاتها فانه فعل ذلك لانه
تخيل شبها روحيا ما يجمع بينهما ولكنه لن يعزو الى
زوجها او اليها هي مثل هذا خاطر ، ولا أى اهتمام
بفن الرسام تيشان او ثيتيان .

وهي الآن ترتدى قبعة على شكل قلنسوة ومعطفا

محزما حشرت فيه مظلتها ، وحقية يدها وعددا من
الصحف المصورة .

موريل : (يستفزع بشاعة اهماله) كانديدا ! ولكن ..
(ينظر إلى ساعته ويهوله تأخيرته) .
ياحبيبي ! (يهرع اليها ويتناول لفّة البساط ،
والفاظ الأسف والاعتذار تنهال من فمه
طيلة الوقت) كان في نيتي أن أستقبلك في المحطة
ولكن الوقت سرقني .
(يقذف بالبساط على الكنبه) كنت منهمكا في ..
(يعود اليها) ويحه ! . . نسيت شيئا ! . (يقبلها
بانفعال وندم) .

برجيس : (في شيء من الخزي وفي شك من كيفية استقباله)
كيف حالك ا كاندى ؟ (هي ، وذراعا موريل
لايزالان يطوقانها ، تقدم له خدها . يقبلها) جيمس
وأنا توصلنا إلى تفاهم . تفاهم شريف . أليس كذلك
يا جيمس ؟

موريل : (بعصبية) تبا لتفاهمك ! لقد أخرتني عن استقبال
كانديدا . (بمشاعر اشفاق معتلجة) يا حبيبي
المسكينه : كيف دبرت أمر المتاع ؟ كيف ..

كانديدا : (تستوقفه وتخلص نفسها من ذراعيه) حسبك !
حسبك ! حسبك ! لم أكن بمفردي . أوجين كان
معنا وقد صحبني في السفر .

موريل : (مغتبطا) أوجين !

كانديدا : نعم : انه يكافح في حمل متاعى ، يالفتى المسكين .
اخرج اليه فورا يا عزيزى والا فسيُدفع أجر العربّة
وأنا لا أريد ذلك . (موريل يهرول خارجا .
كانديدا تتخفف من حقيبة يدها ثم تخلع معطفها
وقبعتها وتضعهما على الكنبّة مع البساط وهى
تتجاذب مع أبيها أطراف الحديث) . كيف تسير
أحوالكم يا أبى فى البيت ؟

برجيس : البيت منذ تركته يا كاندى لا يستحق أن يعيش فيه
الانسان . بودى لو جئت لزيارتنا وتحدث قليلا
إلى البنت . من أوجين هذا الذى أتى معك ؟

كانديدا : أحد اكتشافات جيمس . لقد وجدته نائما على جسر
النهر فى شهر يونيه الماضى . الم تلفت نظرك لوحتنا
الحديدية (تشير إلى لوحة العذراء) ؟ هو الذى
أهداها لنا .

برجيس : (غير مصدق) أتريدى أن تفهمينى — وأنا
أبوك — أن هذا الفتى الذى يشتغل باستدعاء سيارات
الاجرة وحمل حقائب ركابها أو بشىء قريب من
ذلك على جسر النهر يشترى لوحات من هذا النوع ؟
(عابسا) لا تخدعينى يا كاندى . هذه لوحة من
لوحات الكنيسة العليا وقد اختارها جيمس بنفسه .

كانديدا : خمس مرة ثانية . أوجين لا يشتغل باستدعاء سيارات
الأجرة وحمل حقائب ركابها .

برجيس : اذن ماهو ؟ (بتهمك) لابد أنه احد النبلاء .

كانديدا : (تومئ برأسها ايجابا فى حبور) فعلا . عمه من

النبلاء . « ايرل » (١) حقيقى على قيد الحياة .

برجيس : (لايجروا على تصديق مثل هذا الخبر السار) لا !

كانديدا : بلى . وكانت في جيبه كميالة تستحق الدفع بعد

اسبوع بمبلغ ٥٥ جنيهها عندما وجدته جيمس على
الحسر . كان يظن انه لا يستطيع ان يحصل على قيمتها
حتى تمر الايام السبعة وقد منعه حياؤه من طلب سلفة .
يا للغلام العزيز ! انه اثير لدينا جدا .

برجيس : (يتظاهر بالخط من قدر الارستقراطية ، ولكن

بعينين ملتفتين) لاشك من غير المعقول أن
يتردد ابن أخ ايرل على حديقة فكتوريا الا اذا كان
معدما الى حدما . (يعيد التطلع الى اللوحة) أنا بالطبع
لا أعجب بهذه الصورة يا كاندى ولكن هذا لا يمنع
من كونها تحفة فنية عظيمة . هذا شيء استطيع أن
أراه . اريد منك ان تقدمينى يا كاندى . (ينظر الى
ساعته في قلق) لن استطيع أن أبقى اكثر من دقيقتين .

(يعود موريل مع اوجين الذى يتأمله برجيس وقد
تندت عيناه من الحماس . وأوجين شاب غريب
الاطوار ، خجول في الثامنة عشرة من عمره ، نحيل ،
مخنث ، صوته رفيع كصوت طفل . تعبيره ، وهو
تعبير شخص معذب مطارد ، وهيئته المنكمشة ينبش
عن هذه الحساسية المؤلمة التى تتخذ صورة تهيب
سريع وحاد عند الشبان قبل أن تنمو شخصيتهم الى
أوج قوتها . لا يدري في تعاسة حيرته اين يقف ولا

(١) الايرل نبيل انجليزى رتبته بين المركز والفيكونت .

ماذا يفعل . انه يتهيب برجيس ولو واثته الجراءة لفرّ
لائذا بوحده : ولكن الشدة التي يعاني بها موقفا عاديا
جدا تنبع هي نفسها من قوة عصبية مفرطة . فتحتا
أنفه وفمه وعينه ملامح تفصح عن ارادة عنيفة
الهياج ولكن منحني جبينه الذي وخطته الشفقة في
هذه السن المبكرة ، يبعث على الاطمئنان . فنظره غير
عادي لدرجة تجعله يبدو كما لو لم يكن من أهل هذه
الارض ، وطبيعة اللا أرضية هذه تنطوى عند عامة
الناس على عنصر ذميم ، هذا في الوقت
الذي يرى فيها ذوو المزاج الشاعري قبسا من الملائكة .
فوضوى في لباسه ، وهو يرتدى جاكته قديمة
زرقاء من قماش السيرج الصوفي محولة الازرار فوق
قميص صوفي مما يلبسه لاعبو التنس ، ويستخدم
منديلا حريريا بدل رباط العنق ، وبنطلونا يناسب
الجاكته وحذاء بني اللون من القماش . والظاهر انه
رقد بهذه الملابس على العشب وخاض في المياه ،
وليس هناك ما يدل على انه استخدم الفرشاة في
تنظيفها ولو مرة .

حين يلمح غريبا عند دخوله يقف ويتحى وهو
يسير على طول الجدار ناحية في الجانب المقابل من
الحجرة .)

موريل : (وهو يدخل) تعال : أظن أنك تستطيع على اى
حال ان تمنحنا ربع ساعة من وقتك . هذا حماى .
يا مستر برجيس ، أقدم لك مستر مارشبانكس .

مارشبانكس : (يتقهقر فى عصبية بظهره الى خزانة الكتب) سعيد
بلقائك يا سيدى .

برجيس : (يعبر الغرفة اليه يتودد شديد بينما ينضم موريل الى
كانديدا بالقرب من نار المدفأة) وأنا يسعدنى حقاً
أن أتعرف بك يا مستر مورشبانك . (١) (يرغمه على
مصافحته) ما رأيك فى هذا الجو ؟ أرجو ألا تترك
جيمس يغرس فى رأسك أفكاراً حمقاء .

مارشبانكس : أفكار حمقاء ؟ تعنى الاشتراكية ؟ لا .

برجيس : هذا حسن . (ينظر الى ساعته ثانية) انا مضطر الى
الانصراف الآن : لامهرب لى من ذلك . هل انت
آت فى طريقى يامستر مورشبانكس ؟

مارشبانكس : أى طريق طريقك ؟

برجيس : محطة حديقة فكتوريا . هناك قطار ذاهب الى المدينة
فى الساعة ١٢,٢٥ .

موريل : هراء . أنا أنتظر من أوجين ان يبقى معنا للغداء .

مارشبانكس : (يعتذر بلهفة) لا . . أنا . . أنا . .

برجيس : انا على كل حال لا أريد ان اضغط عليك : أراهن
انك تفضل البقاء لتناول الغداء مع ... كاندى . أرجو
مع ذلك أن تأتى يوماً لتناول العشاء معى فى نادى " ،
نادى الفريمان فرندرز فى نورتون فوجليت : عدنى
بأنك ستفعل !

(١) برجيس ينطق اسم مارشبانكس بالواو بدل الالف الأولى . وفى نقطة عيوب
أخرى عديدة فهو مثلاً يحذف الهاء من مكانها الطبيعى ويضيف « هاء » إلى
الحروف المتحركة ولغته عموماً لغة سوقية تدل على انعدام كامل للثقافة .

مارشبانكس : شكرا يا مستر برجيس . واين نورتون فولجيت ؟ فى
« سرى » . أليس كذلك ؟

(برجيس ، وقد أحسّ بدغدغة تفوق التعبير ،
تنتابه نوبة من الضحك المتلاحق .)

كانديدا : (تهب لانقاذ الموقف) سيفوتك القطار يا أبى ان لم
ترحل من فورك . عد الينا فى العصر لتخبر المستر
مارشبانكس عن مكان النادى .

برجيس : (يزار ضاحكا) فى « سرى » ! ها ، ها ! يالها
من نكتة . انا لم أقابل قط رجلا يجهل نورتون فولجيت
(يدركه الحجل لما يحدث من ضوضاء) الى اللقاء
يا مستر مورشبانكس : أنا أعلم انك من عراقة
الاصل بحيث لا تأخذ مزاحى على محمل سيئ . (يمد
يده من جديد) .

مارشبانكس : (يأخذها برعشة عصبية) لا . أبدا .

برجيس : الى اللقاء يا كاندى . سأطل عليكم ثانية فيما بعد . الى
اللقاء يا جيمس .

موريل : أمن الضررى ان تغادرنا ؟

برجيس : لا تتحرك . (يخرج وانشراحه على حاله) .

موريل : سأصحبك الى الخارج . (يتبعه) .

(اوجين يشيعهما بنظره فى وجل ويكتم انفاسه

حتى يختفى برجيس .)

كانديدا : (تضحك) والآن يا أوجين ؟ (يلتفت متفضضا

ويقرب منها بلهفة ولكنه يتوقف مترددا وهو يقابل

نظرها اللاهية) . ما رأيك فى أبى ؟

مارشبانكس : أنا . . أنا لم اعرفه بعد . يبدو أنه كهل ظريف .

كانديدا : (بسخرية رقيقة) وسنذهب إلى نادى الفريمان فوندرز لتناول معه العشاء . اليس كذلك ؟

مارشبانكس : (يظنها جادة ، وفي تعاسة) نعم . اذا كان هذا يسرك

كانديدا : (متأثرة) انت يا أوجين ، رغم كل غرابتك ، ولد في غاية الذوق . لو أنك ضحكت على أبى ، لما همنى ولكن معزتك عندى تضاعفت لانك كنت رقيقا معه .

مارشبانكس : هل كان المفروض أن أضحك ؟ لقد لاحظت انه قال شيئا مضحكا ، ولكنى شديد الارتباك مع الغرباء كذلك فانى لا أفهم النكتة . أنا في شدة الاسف (يجلس على الكنبه : مرفقاه على ركبتيه وجبهته بين قبضتيه بتعبير من الالم اليأس) .

كانديدا : (تستحثة بلطف) لا عليك أيها الطفل الكبير ! ارى انك اسوأ حالا من المعتاد هذا الصباح . ما سر انقباضك ونحن في طريقنا بالعربة الى هنا ؟

مارشبانكس : لا . لا شيء . كنت فقط اتساءل عما يجب ان ادفعه لسائق العربة . انا أعلم ان هذا شيء فى منتهى الحمق ، ولكنك لاتدركين فظاعة مثل هذه الامور بالنسبة الى والى أى حد يفرغنى أن اضطر الى التعامل مع من لا أعرفهم . (بسرعة ، مطمئنا) ولكنها فرجت . لقد فاض عليه البشر ومس قبعته احتراماً حين نقده موريل شلنين . كنت على وشك اعطائه عشرة شلنات . (موريل يعود ببعض الخطابات والصحف التى حملها اليه بريد الظهيرة .)

كانديدا : تصور يا جيمس انه كان يريد أن يعطى السائق عشرة شلنات لمسافة لم تستغرق بالعربة أكثر من ثلاث دقائق رباه !

موريل : (وقد جلس إلى المائدة يتصفح الخطابات) لا تتم لقولها يا مارشبانكس. ان نزعَة دفع أكثر من المستحق نزعَة جود ، وهى خير من نزعَة دفع أقل مما هو مستحق . كذلك فهى أقل منها انتشارا .

مارشبانكس : (يستبد به الهم من جديد) لا : هى جبن وقصور . مسز موريل محقة تماما .

كانديدا : طبعا هى محقة (تأخذ حقيبة يدها) والآن أنا مضطرة لتركك بلحيمس فترة من الوقت . انت ، فيما افترض ، لاتدرى ، من فرط شاعريتك ، الحالة التى تجد فيها أى امرأة بيتها بعد أن تغيب عنه ثلاثة أسابيع . اعطنى بساطى . (اوجين يأخذ البساط المحزم من الكنبه ويسلمها اياه . تأخذه يسراها لان يمناها تمسك بالحقيبة) . والآن علق معطفى بالعرض على ذراعى (بطيح) والآن قبعتى . (يضعها في اليد التى تحمل الحقيبة) . والآن افتح لى الباب . (يهرول امامها ويفتح الباب) شكرا . (تخرج ويغلق مارشبانكس الباب) .

موريل : (لا يزال مشغولا لدى المائدة) ستبقى بطبيعة الحال للغداء يا مارشبانكس .

مارشبانكس : (مدعورا) لا ينبغي هذا . (يلتقى على موريل نظرة

سريعة ولكنه يتفادى نظرتة الصريحة ويضيف بنجث
(واضح) اعني اننى لا استطيع .

موريل : بل تعنى أنك لا تريد .

مارشبانكس : (بحرارة) لا : بل ان ذلك يسرنى حقا . شكرا
جزيلا . ولكن .. ولكن ..

موريل : ولكن .. ولكن .. ولكن .. ولكن .. ما هذا !
إذا كنت تريد أن تبقى فابق . اما اذا كنت تحس
خجلا فاذهب ودر دورة في الحديقة واقرض الشعر
حتى الواحدة والنصف ثم تعال وتناول وجبة مغذية .

مارشبانكس : اشكرك . هذا مما يسرنى جدا ولكنى حقيقة لا يجب
ان أبقي . وان شئت الصدق فان مسر موريل نهتنى
عن ذلك . قالت انها لا تظن انك ستدعونى للغداء
وان علىّ مع ذلك ان اتذكر ، ان فعلت ، انك في
الحقيقة لا تريد ان أبقي . (متشكيا) قالت انسى
سأفهم ، ولكنى لست فاهما . أرجوك الا تخبرها
أنى قلت لك .

موريل : (بلهجة مضحكة) هذا كل ما هنالك ؟ الا يساعد
اقتراحى بان تقوم بجولة في الحديقة على التغلب على
هذه المشكلة ؟

مارشبانكس : كيف ؟

موريل : (ينفجر بانباسط) سأوضح لك أيها الابله ..
(ولكن هذه اللهجة الصاخبة تؤذى مشاعره وكذا
مشاعر أوجين . يراجع نفسه) . لا : لن أشرح
الموضوع بهذه الطريقة . (يتقدم من أوجين بجديّة

وعطف) . يا ولدى العزيز : في الزواج السعيد الذى يشبه زواجنا تنطوى عودة الزوجة الى بيتها على شيء مقدس جدا . (مارشبانكس يرمقه بسرعة ويكاد يفهم ما يرمى اليه) . وفي مثل هذه المناسبات فان وجود صديق قديم او شخص نبيل كبير القلب لا يسبب ازعاجا . (تعبير الشخص المطارد المرتاع يرتسم في جلاء مفاجئ على وجهه أو حين اذ يفهم ما يعنيه . موريل لا يتنبه الى ذلك لانشغاله بأفكاره الخاصة) . كانديدا ظنت اننى أفضل الا تبقى هنا ولكنها كانت مخطئة اننى يابى اكن لك اعزازا كبيرا ويهمنى ان ترى بنفسك مدى السعادة التى ينطوى عليها زواج كزوجى .

مارشبانكس : سعادة ! زواجك ! صحيح ؟ أعتقد ذلك !
موريل : (في مرح) فاهم يا بنى . الكاتب « لاروشفوكو » قال ان هناك زيجات مناسبة ولكن ليست هناك زيجات بهيجة . ان فى اكتشاف حقيقة مثل هذا الكذاب الأشر والساخر العفن عزاء لا يخطر لك على بال . ها ! ها ! والآن انطلق الى الحديقة واكتب قصيدتك . وتذكر : الواحدة والنصف بالدقيقة فنحن لا نؤخر موعد وجباتنا قط من أجل أحد .

مارشبانكس : (بتوحش) لا : مكانك : لن تفعل . سأظهر الأمر
موريل : (لا يفهم) تظهر ماذا ؟
ما شبانكس : لابد أن أتحدث اليك . هناك أمر يجب تسويته بيننا .
موريل : (ينظر الى ساعته ويلوح عليه الاستغراب) الآن ؟

مارشبانكس : (مضطرم النفس) الآن . قبل أن تبرح هذه الغرفة .
(يتراجع خطوات ويقف كما لو كان يريد أن يسد
طريق موريل الى الباب) .

موريل : (دون أن يتحرك وبصرامة بعد أن ادرك ان المسألة
خطيرة) أنا لم أكن أهم بمبارحتها يا ولدى العزيز
بل ظننت انك انت الذى ستبرحها . (اوجين ،
وقد اربكته هذه اللهجة الحازمة ، يولى ظهره وهو
يتميز غضبا . موريل يذهب اليه ويضع يده على كتفه
بقوة وعطف متجاهلا محاولة ابعادها) . تعال :
اجلس بهدوء وقل لى ما الخبر . وتذكر أننا صديقان
واننا لا يجب أن نخشى أن يفقد أحدهنا صبره مع
الآخر او أن يسىء اليه أيا كان ما يقوله .

مارشبانكس : (يستدير ليواجهه) أنا لست غافلا عن نفسى : كل
ما فى الامر (يغطى وجهه قانطا بيديه) ان الاشمرأز
يملؤنى . (يسقط يديه ويدفع وجهه بشراسة نحو
موريل ويواصل الكلام بلهجة تهديدية) سترى اذا
كان هذا هو وقت الصبر او تجنب الاساعة . (موريل
صامد كالصخر ، ينظر اليه بتسامح) لا تنظر الى
نظرة الرضى عن نفسك . انت تتوهم انك أقوى
منى ، ولكنى سأزعزع كيائك اذا كان فى صدرك
قلب .

موريل : (شديد الثقة بنفسه) تفضل يابنى . زعزع كيانى .
أفصح .

مارشبانكس : أولا ..

موريل : أولا ؟

مارشبانكس : أنا أحب زوجتك .

(موريل يرتد ثم بعد أن يتفرس فيه لحظة في عجب بالغ ينفجر في ضحك لا يستطيع مغالبته . أوجين يباغت ولكنه لا يفقد زمام نفسه بل سرعان ما يظهر عليه التأفف والازدراء .)

موريل : (يجلس في محاولة للكف عن الضحك) طبعاً يا ولدى العزيز . هذا أمر طبيعي . كل الناس يحبونها وليس لهم في ذلك حيلة . وهو شيء يرضيني . ومع ذلك (ينظر اليه مازحاً) فاني اتساءل يا أوجين : أتظن ان حالتك تحتل التحدث عنها ؟ أنت لم تبلغ العشرين بعد وهي قد تجاوزت الثلاثين . ألا تبدو هذه الحالة شديدة الشبه بهوى المراهقة ؟

مارشبانكس : (مشوب العاطفة) كنت تقول عنها ذلك ! أهذا هو رأيك في الحب الذي هي ملهمته ؟ هذه اهانة لها !

موريل : (ينهض بسرعة وبنبرة متغيرة) لها ! أوجين : فتح عينك . لقد صبرت على كلامك وأرجو ألا ينفد صبري . ولكن هناك أموراً لن أتهاون فيها . لا ترغبني على معاملتك بالتسامح الذي أعامل به الأطفال . كن رجلاً .

مارشبانكس : (تبدو منه حركة كما لو كان ينزح شيئاً وراءه) لا . دعنا ننحى كل هذا الدجل ، جانباً .

ان الهلع يدركني كلما تصورت كمية الدجل التي كان عليها ان تتجرعها كل تلك السنوات الطويلة

المملة التي جعلتك الانانية وعمى البصيرة تضحى
خلالها بامرأتك على مذبح غرورك : انت !
(يتحول اليه) الذي لا تشترك معها في فكرة ..
أو معنى .. واحد .

موريل : (بفلسفة) هي ، على ما يبدو ، تتحمل ذلك على
خير وجه ! (يصبوب عينيه إلى وجهه) أوجين
ياولدى : لا تكن أحمق . هذه حماقة كبرى .
خذها منى كلمة واضحة مفيدة .

(يحاول أن يدق هذا الدرس في رأسه بإيماءة على
عادته القديمة ويتخذ مكانا على بساط المدفأة ويجعل
يديه خلفه ليدفئهما) .

مارشبانكس : هل تظن انى لا أعرف كل هذا ؟ هل تظن ان
الأمور التي يرتكب الناس من أجلها الحماقات
تقل في حقيقتها وصدقها عن تلك التي يتصرفون
فيها بعقل ؟ (نظرة موريل تضطرب للمرة الأولى .
يفوته ، أن يدفي يديه ويقف مستمعا ، في انزعاج
وتفكر) انها أصدق منها : انها الاشياء الوحيدة
الصادقة . أنت هادئ جدا ومعقول ومعتدل معى
لأن في استطاعتك أن ترى أنى مجنون بزوجتك ،
تماما كما كان ذلك العجوز الذى كان هنا منذ
لحظة ولاشك عاقلا جدا بشأن اشتراكيتك لانه يرى
أنك مجنون بها . (ربكة موريل تزداد عمقا بشكل
ظاهر . أوجين يستمر في الضرب على الوتر الحساس
ويمطره بشراسة بالاسئلة) . هل هذا دليل على

نخطئك ؟ هل يدل زهوك ورضاك عن نفسك على
انى أجنب الصواب ؟

موريل : مارشبانكس : هناك شيطان يجرى على لسانك هذه
الكلمات . من السهل — من السهل بشكل مخيف —
أن نهز ثقة انسان بنفسه . والذي يستغل هذا ليحطم
معنويات انسان يعمل عملا شيطانيا . حذار مما أنت
بسييله . حذار .

مارشبانكس : (بلارحمة) عارف . وأنا أفعل ما أفعل عامدا
متعمدا . ألم أقل لك انى سأزعزع كيائك ؟

(يواجهان أحدهما الآخر لحظة والشرر يتطاير
من عينييهما ثم يستعيد موريل وقاره) .

موريل : (برقة نبيلة) أوجين . اصنع الى . ستكون انت في
يوم من الايام ، كما ارجو وأثق ، رجلا سعيدا
مثلى . (أوجين يبدو عليه الاشمئزاز ويرفض
الاعتراف بمثل هذه السعادة .

موريل وقد أحس باهانة بالغة يتحكم في نفسه
متدربا بصبر جميل ويستأنف حديثه في ثبات
بأداء على قدر كبير من الجمال الفنى) ستزوج
وستعمل ما وسعك الجهد والبسالة لتجعل كل بقعة
في الارض في مثل سعادة بيتك . ستكون واحدا من
صانعى مملكة السماء على الأرض ، ومن يدري ؟
لعلك تكون بناء عظيما حيث لا أزيد أنا عن أن
أكون اجيرا متواضعا . لا تظن ، يابنى ، أننى
لا أستطيع أن استشف فيك ، رغم أنك في مقبل

العمر ، ما يبشر بامكانيات اسمى مما يستطيع أنا أن أدعيه يوما لنفسى . أنا أعلم حق العلم أن روح الانسان المقدسة — وهى نفحة من عند الله — لا تقترب من صورة الخالق فى أحد كما تقترب منها فى شخص الشاعر . ان التفكير فى هذا ، أى فى احتمال ان يلقى على كاهلك عبء الشاعر الباهظ وموهبته العظيمة ، ينبغى أن يجعل فرائصك ترتعد .

مارشبانكس : (لا يتأثر ولا يحس وخز الضمير . طريقته الصبائية فى ابداء رأيه دون محسنات لفظية تتنافر بشكل صارخ مع لهجة موريل الخطائية) تفكيرى فى هذا لا يجعل فرائصى ترتعد . الذى يجعلها ترتعد هو افتقار الآخرين اليه .

موريل : (يضاعف قوة أسلوبه تحت وطأة شعوره الصادق . وتشبث أوجين) فلتساعد اذن على اذكائه فيهم — فى أنا — لا على اخماده . وغدا ، حين تسعد مثل سعادتي ، سأكون أخا صادقا لك فى اليقين . سأعينك على الايمان بأن الله قد وهبنا عالما حماقتنا دون غيرها هى التى تحول دون أن يكون جنة من جنات النعيم . سأعينك . على أن تؤمن بأن كل عمل عمله انما يبذر السعادة للمحصول العظيم الذى سيجنه الجميع — حتى أقل الناس شأنًا — ذات يوم . وأخيرا ولكن — صدقنى — ليس آخرا ، سأعينك على الاعتقاد بأن زوجتك تحبك وانها سعيدة فى بيتها . نحن نحتاج إلى مثل هذا العون .

يامارشبانكس : نحن في ميسس الحاجة اليه دائما .
وهناك عديد من الاشياء التي تحملنا على الشك في
ذلك لو اننا سمحنا لفهمنا للأمور أن يخل . نحن ،
في عقر دارنا ، نجلس كما لو كنا في معسكر ،
وجيش من الشكوك المعادية يضرب حولنا الحصار .
هل في نيتك أن تقوم بدور الخائن وتجعلها تنقض
على ؟

مارشبانكس : (يجيل نظره كوحش مفترس) هل تسير الأمور
هنا دائما على هذا النحو بالنسبة لها ؟ امرأة مثلها ،
ذات روح عظيم ، تواقة إلى الحقيقة والصدق
والحرية ، لا تجد من طعام سوى استعارات ومواعظ
وخطبا عصماء عفا عليها الزمن ، وتشدق بالألفاظ .
هل تظن أن روح امرأة يمكنها أن تعيش على موهبتك
في الوعظ والارشاد ؟

موريل : (ملدوغا) مارشبانكس : أنت تجعل من الصعب
عليّ أن أسيطر على نفسي . موهبتى تشبه موهبتك إذا
كان لها أى قيمة حقيقية على الإطلاق . موهبة العثور
على الكلمات للتعبير عن الحقيقة المقدسة .

مارشبانكس : (بفورة) موهبة البرثرة لا أكثر ولا أقل . ما لقدرتك
على الكلام المنمق ، وللحقيقة . انها ليست أقدر على
التعبير عنها من العزف على الأرغن . أنا لم أذهب
إلى كنيستك ابدا ولكنى حضرت اجتماعاتك السياسية
وشاهدتك وانت ترتفع بالحاضرين ، كما يقال ، إلى
قمة الحماس : أى أنك أثرتهم حتى أصبحوا

يتصرفون تماما كما لو كانت قد لعبت برووسهم
الخمير . هذا وزوجاتهم يشهدن ذلك ويرين أى
حمقى أصبحوا . لا . انها قصة قديمة : ستجدها
فى الكتاب المقدس . يخيل الى ان الملك داود كان فى
نوبات حماسه شديد الشبه بك . (يطعنه بالكلمات
التالية) فاحتقرته زوجته فى قلبها . (١)

موريل : (ساخطا) اخرج من بيتى . سامع ؟ (يتقدم منه
متوعدا) .

مارشبانكس : (ينكمش ويتراجع حتى يلاصق النكبة) دعنى
وشأنى . لاتمسنى . (موريل يقبض عليه بقوة من
طية صدر سترته : يجلس على الكنبه متكوما على نفسه
ويهتف فى شدة الانفعال) . حذار ياموريل . ان
ضربتني فسأقتل نفسي : لن أطيق ذلك . (فى شبه
هستيرية) دعنى انصرف . ابعد يدك .

موريل : (باحتقار بطيء وفى توكيد) أيها الجرو البكّاء
الجبان . (يحلّ سبيله) . رح لحالك قبل ان يملح
الخوف قلبك .

مارشبانكس : (على الكنبه ، لاهثا ولكن بارتياح لأن موريل
سحب يده) انا لا أخشاك بل أنت الذى تخشانى .

موريل : (بهدوء وهو يقف مهيمنا عليه) يبدو ذلك . ألا
توافقنى ؟

(١) يشير إلى القصة الواردة فى الكتاب المقدس « العهد القديم » أخبار الأيام الأول
الاصحاح الخامس عشر الفقرة « ٢٩ »

مارشبانكس : (جاش الصدر وفي مكايده) بلى . (موريل
ينصرف عنه بازدراء . اوجين يتحامل على قدميه
ويتبعه) . انت تحسب ، لاني أنقر من المعاملة
الحشنة ، ولاني (يتهدج صوته) لا أملك سوى البكاء
الغاضب حين أقابل بالعنف ، ولاني أعجز عن حمل
حقيبة كبيرة ثقيلة من أعلى العربة مثلك ، ولاني
لا أستطيع ان اقاتلك على زوجتك كعامل مخمور .
انت تحسب لكل ذلك اني أخشاك . ولكنك غلطان .
اذا كنت لا أتصف بما تسميه برباطة الجأش البريطانية
فاني لا أتصف كذلك بالجن البريطاني : أنا لا أخشى
أفكار قسيس . وسأحارب أفكارك . سأنقذ زوجتك
من استعباد هذه الافكار واسلط عليها افكاري أنا .
انت تطردني من البيت لانك لاتجروء على السماح لها
بان تختار بين افكارك وأفكاري . انت تخشى السماح
لي برويتها ثانية . (موريل ، وقد استبد به الغضب ،
يستدير اليه فجأة . مارشبانكس يفرع الى الباب في
خوف لا ارادي) . قلت لك دعني وشأني . أنا
راحل .

موريل : (بازدراء وبرود) انتظر لحظة : لن أمسك : لاتخفه
حين تعود زوجتي ستريد أن تعرف لماذا انصرفت .
وعندما تكتشف انك لن تعبر عتبتي ثانية ، ستطلب
ان تتلقى تفسيراً لذلك أيضا . والحق اني لا أريد أن
انكد عليها باخبارها انك تصرفت تصرف انسان
حقير .

مارشبانكس : (يعود بفورة متجددة) بل ستخبرها . يجب ان
تخبرها . واذا فسرت لها الموضوع بغير التفسير
الحقيقى فانت كاذب وجبان . ردد على مسمعا
كلامى ، وكيف انك كنت قويا ذا فتوة وكيف
انك هزرتنى كما يهز كلب « التير » فأرا ، وكيف
انى فرعت وارتعت ، وكيف لقبتنى بالحر والبكاء
الجبان وطردتنى خارج البيت . اذا أنت لم تخبرها
فسأخبرها انا : سأكتب لها بذلك .

موريل : (متحيرا) ما بالك تريدنا أن تعلم هذا ؟

مارشبانكس : (بنشوة غنائية) لانها ستفهمنى وهى تعلم انى أفهمها.
واذا أخفيت عنها كلمة مما حدث — اذا لم تكن على
استعداد مثلى لوضع الحقيقة عند قدميها — فستعلم
حتى آخر يوم في عمرك أنها في واقع الامر ملكى أنا
وليست ملكك . وداعا . (يتحرك للانصراف) .

موريل : (في شدة الانزعاج) مكانك : أنا لن أخبرها .

مارشبانكس : (يستدير قرب الباب) اذا ذهبت أنا فاما أن تخبرها
بالحقيقة او ان تكذب عليها .

موريل : (يتجنب الارتباط بشيء) مارشبانكس : من المباح
أحيانا . .

مارشبانكس : (مقاطعا) عارف : أن نكذب . لا فائدة وداعا
يا سيادة القسيس . (حين يتجه أخيرا الى الباب اذا
بالباب يفتح وكانديدا تدخل في ثياب البيت .)

كانديدا : راحل يا أوجين ؟ (تنظر اليه بتدقيق أكبر) ما هذا ؟
انظر الى شكلك . تخرج الى الشارع بهذه الحالة !
صدق من قال : شاعر . انظر اليه يا جيمس ! (تمسكه
من سترته وتدفعه الى الامام لتريه لموريل) . انظر
الى ياقته ! انظر الى رباط عنقه ! انظر الى شعره !
من يراك يخيّل اليه ان أحدا كان يخانك . (اوجين
يحاول بحركة غريزية ان يحول نظره الى موريل
ولكنها تجذبه الى الوراء) . قف ساكنا ! (تررر
ياقته وتعتقد المنديل الذي يستخدمه كرباط رقبة
وترتب شعره) . هكذا ! منظر ك الآن لطيف بشكل
يجعلنى أظن من الافضل أن تبقى معنا للغداء رغم انى
طلبت منك الا تفعل . سيكون الغداء معدا في خلال
نصف ساعة . (تضع اللمسة الاخيرة في عقدة رباط
الرقبة يقبل يدها) لاتكن أبله .

مارشبانكس : بودى بالطبع أن أبقى . اللهم الا اذا كان لدى سيادة
زوجك المحترم ما يعترض به ؟ على ذلك .

كانديدا : هل تأذن له يا جيمس بالبقاء اذا وعد بأن يكون ولدا
عاقلا وساعدنى في اعداد المائدة ؟

موريل : (باقتضاب) نعم بكل تأكيد : خيرا يفعل . (يسير
الى المائدة ويتظاهر بأنه مشغول بفحص أوراقه
الموضوعة عليها) .

مارشبانكس : (يقدم ذراعہ لكانديدا) هيا ولنعد المائدة . (تأخذ
ذراعہ ويسيران الى الباب معا . يضيف وهما يعبران
الباب) انا أسعد مخلوق على وجه البسيطة .

موريل : وهكذا كنت انا . . منذ ساعة .

الفصل الثاني

في ساعة لا حقة من عصر نفس اليوم . نفس
الغرفة . الكرسي المخصص للزوار أعيد إلى مكانه
لدى المائدة . مارشبانكس ، وحيدا وليس لديه
ما يشغله ، يحاول ان يكتشف كيف تعمل الآلة
الكاتبة . يسمع شخصا لدى الباب فيبتعد متسللا الى
النافذة كمن ارتكب ذنبا ويتظاهر بالاستغراق في
تأمل المنظر الطبيعي . مس جارنيت تجلس إلى الآلة
الكاتبة وفي يدها الكراسة التي تكتب فيها بطريقة
الاختزال الخطابات التي يملئها عليها موريل . تحكف
على نقل الخطابات على الآلة الكاتبة باهتمام يجعلها
لا تنبه إلى وجود أوجين . حين تبدأ السطر الثاني
تتوقف وتتفحص الآلة الكاتبة بنظرها . من الواضح
أن شيئا فيها لا يسير كما يجب .

بروسبرين : أف ! عبثت بآلي الكاتبة يامستر مارشبانكس .
لن يجديك شيئا أن تحاول التظاهر بأنك لم تفعل .

مارشبانكس : (في استحياء) آسف جدا يا مس جارنيت . كل ما
فعلته هو اني حاولت ان اجعلها تكتب . (متشكيا)
ولكنها امتنعت .

بروسبرين : لقد غيرت المسافة بين السطر والسطر .

مارشبانكس : (باخلاص) او كنه لك اننى لم أفعل . لم أفعل ذلك البتة . كل ما فعلته هو انى ادرت عجلة صغيرة . وقد احدثت صوتا يشبه الطفطقة .

بروسبرين : الآن فهمت . (تعيد المسافة في الآلة الكاتبة إلى ما كانت عليه وهي تترسل في الحديث دون توقف) . لعلك ظننتها أرغنا يدويًا أو شيئًا من هذا القبيل : كل ما عليك أن تفعله هو أن تدير اليد وإذا بالآلة تسطر في الحال خطابا غراميا .

مارشبانكس : (جادا) اظن أن أى آلة كاتبة يمكن أن تستخدم في كتابة خطابات غرامية . أليست كلها سواء ؟

بروسبرين : (بشئ من الاستنكار فان مثل هذه المناقشة لا تدخل في اطار ما ترتضيه من قواعد السلوك الا على سبيل المزاح) وكيف لى أن أعرف ؟ ما بالك تسألنى ؟

مارشبانكس : أرجو المندرة ، كنت أحسب ان اصحاب البراعة من الناس — أى الناس الذين يستطيعون أن يقوموا بالاعمال ويكتبوا الخطابات وما الى ذلك — محتاجون دائما للدخول في علاقات غرامية لكيلا يصابوا بالحنون .

بروسبرين : (تنهض ثائرة لكرامتها) مستر مارشبانكس ! تنظر اليه بصرامة وتسير في خيلاء إلى خزانة الكتب) .

مارشبانكس : (يدنو منها متذللا) ارجو ألا أكون قد أسأت اليك . لعله ما كان ينبغي ان اشير الى غرامياتك .

بروسبرين : (تأخذ كتابا أزرق من الرف وتستدير اليه بحدة) أنا ليس عندى غراميات . كيف تجرؤ على التلفظ

بمثل هذا الكلام ؟ (تضع الكتاب تحت ذراعها
وتندفع عائدة الى آلتها الكاتبة واذا به يخاطبها باهتمام
مترايد وعطف .)

مارشبانكس : حقا ! اذن فأنت ، مثلى ، من النوع الحجول .

بروسبرين : انا قطعاً لست خجولا . ما قصدك ؟

مارشبانكس : (كمن يبوح بسر) لابد أنك خجولا : هذا هو السبب
في قلة القصص الغرامية في العالم . كلنا لانفتأ نتمنى
الحب . انه أول ما نحتاج اليه بفطرتنا . أول دعاء
لقلوبنا . ولكننا — لان الحجل يعقد الستنا — لانجرو
على التصريح بتلهفنا عليه . (بحرارة شديدة) مس
جارنيت . اهنأك شيء يعز عليك دفعه في سبيل ان
تتخلصى من الخوف والحجل ؟

بروسبرين : (باستنكار) لقد تجاوزت حدودك !

مارشبانكس : (بفظاظة وضيق صدر) لاتخاطبني بمثل هذا السخف
انه لا يضللى : ما فائدته ؟ فيم خوفك من اطلاعى
على حقيقة نفسك ؟ أنا أشبهك تماما .

بروسبرين : تشبهنى ! قل لى من فضلك : هل أنت تمتدحنى ام
تمتدح نفسك ، فانى في حيرة من أمرى ؟ (تحاول
مرة ثانية أن تعود لعملها) .

مارشبانكس : (يستوقفها في غموض) ، صه ! أنا لا أكف عن
نشدان الحب . وأجده مخزونا بكميات لاتقدر فى
صدور الآخرين . ولكننى حين أهم بطلبه اذا بهذا
الحجل الفظيع يأخذ بنخاقي واذا بى اقف كالأبكم

او أسوأ من الالبكم. أهرف بكلام لا رأس له ولا ذيل
أكاذيب حمقاء . وانظر فأرى المحبة التي اصبو اليها
تمنح للقطط والكلاب والطيور الاليفة لانها تأتي
وتطلبها . (فيما يشبه الهمس) لابد أن نطلبه : انه
كالشبح : لا يستطيع الكلام الا اذا وجه اليه الخطاب .
(بعنفه المعتاد ولكن في اكتئاب عميق) كل الحب
الذى في الدنيا يتمنى ان يفصح عن نفسه ، ولكنه
لا يجروء على الافصاح لانه خجول ! خجول !
خجول ! هذه هى مأساة العالم . (بزفرة عميقة
يجلس على الكرسي المخصص للزواو ويدفن وجهه
في يديه) .

بروسبرين : (مندهشة ولكنها تظل في وعيها ، وهذه بالنسبة
لها مسألة كرامة كلما التقت بشاب على قدر من
الغرامة) الاشرار يتغلبون أحيانا على هذا الحجل .
ألا توافقنى ؟

مارشبانكس : (يقوم متحاملا على نفسه فيما يشبه الشراسة)
المقصود بالاشرار قوم لا ينبض قلبهم بحب : لذا
فهم مجردون من الحجل . ان لديهم القدرة على
طلب الحب لانهم ليسوا بحاجة اليه : ولديهم القدرة
على عرضه لانهم لا يملكون ما يمكن منحه . (يتهاوى
على كرسيه ويضيف ملتاعا) اما نحن . نحن الذين
تنبض قلوبهم بالحب وتهفو نفوسهم لمزجه بحب
الآخرين فلا نستطيع ان نعبر عن مكنوننا بكلمة .
(بحياء) أليس هذا شعورك ؟

بروسبرين : اسمع يا مستر مارشبانكس : اذا لم تكف عن مثل
هذا الحديث فسأغادر الحجرة : سأغادرها أوكد
لك . هذا كلام غير جائز .

(تعود الى مقعدها امام الآلة الكاتبة وتفتح الكراسة
الزرقاء وتتأهب لتنقل منها فقرة .)

مارشبانكس : (فاقد الامل) مامن شيء يستحق أن يقال يجوز أن
يقال . (ينهض ويحوم في الغرفة بطريقته التي تشي
بالضياع) . أنا عاجز عن فهمك يامس جارنيت .
عم تريدن أن أتحدث ؟

بروسبرين : (تتعالى عليه) تحدث عن أشياء لاتقدم ولا تؤخر .
تحدث عن الجوع .

مارشبانكس : هل يمكنك ان تتحدثي عن أشياء لاتقدم ولا تؤخر اذا
كان هناك طفل قريب يجار بالصباح من الجوع ؟

بروسبرين : لا أظن .

مارشبانكس : حسنا : انا لا استطيع التحدث عن أشياء لاتقدم
ولا تؤخر وقلبي يجار بالصباح المر من الجوع .

بروسبرين : اذن فامسك لسانك .

مارشبانكس : طبعا : هذا ما ينتهي اليه الحال دائما : أن نمسك
ألسنتنا . هل ينخرس هذا ولولة قلبك ؟ لان قلبك
يولول . اتنكرين ذلك ؟ اذا كان لك قلب فلا بد أنه
يولول .

بروسبرين : (تنهض فجأة ويدها تضغط على قلبها) لافائدة من
محاولة العمل وانت تتحدث هكذا . (ترك مائدتها

الصغيرة وتجلس على الكنبه وصدرها يجيش بمشاعره)
ليس من شأنك ما اذا كان قلبي يولول اولا يولول .
ومع ذلك فنفسي تنازعني لكي أخبرك .

مارشبانكس : لاجابة بك الى ذلك فانا أعرف انه لامناص له من ذلك .

بروسبرين : ولكن حذار ، فاذا سولت لك نفسك ان تردد ذلك .
على لساني فسأنكره .

مارشبانكس : (في اشفاق) عارف . أفهم من هذا أن شجاعتك
لا تواتيك لتخبريه ؟

بروسبرين : (تثب واقفة) لاخبره ! من هو ؟

مارشبانكس : كائنا من كان الذي تحببته . قد يكون اى انسان .
ربما مستر ميل ، مساعد القسيس .

بروسبرين : (بامتهان) مستر ميل ! ! ! حقا . رجل بهي
الاصاف لاحتطم قلبي من أجله ! لو كان على أن
اختار لفضلتك أنت على مستر ميل .

مارشبانكس : (يجفل) لا . حقيقة . انا في شدة الاسف . ارجوك
الا تفكرى في ذلك . أنا . .

بروسبرين : (بتزق وهى تسير الى المدفأة وتقف لديها وظهرها
اليه) لا تفرع : انت لست الشخص . ولا أى
شخص معين .

مارشبانكس : عارف . أنت تشعرين بأن في امكانك ان تحبى أى
شخص يعرض . .

بروسبرين : (تستدير وقد طفح كيلها) أى شخص يعرض ! لا .

ليس هذا شعورى . من تظننى ؟

مارشبانكس : (مشبط العزيمة) لافائدة . أنت لاتريدين أن تجيبى على اسئلتى اجابات صحيحة : ليس وراءك سوى ذلك اللغو الذى يردده الناس كافة . (يتجه كالتائه الى الكنية ويجلس عليها وقد غلبه الاسى) :

بروسبرين : (يحفظها ما تعتبره خطأ من قدرها من جانب هذا الاستقراطى) ماعليك اذا أردت حديثا فيه جدة وابتكار الا ان تناجى نفسك .

مارشبانكس : هذا ما يفعله الشعراء جميعا : يناجون انفسهم بصوت عال فتنهوى نجواهم الى سمع العالم . ولكن الشاعر يحس بوحشة مخيفة اذا لم يستمع بين الحين والحين لحديث شخص آخر .

بروسبرين : عليك اذن بالانتظار حتى يجئ مستر موريل فيحدثك . (يبدو الاشمئزاز على مارشبانكس) . لاتزو وجهك فحديثه اكثر طلاوة من حديثك . (بعصبية) ولواراد لأطاح بحديثه رأسك الصغير . (تعود حانقة الى مكانها واذا به ، وقد سطعت في رأسه فكرة يقفز فجأة ويوقفها) .

مارشبانكس : ها ! فهمت !

بروسبرين : (يتضرع وجهها) ماذا فهمت ؟

مارشبانكس : سر . خبرينى : هل يمكن حقا وصدقا ان تقع امرأة في غرامه ؟

بروسبرين : (كأنه قد تجاوز بهذا السؤال كافة الحدود) عجيب أمرك ! !

مارشبانكس : (منفعلا) لا : أجيبي . اريد أن أعرف : لا بد
ان أعرف . هذا شيء يفوق ادراكى . أنا لا أرى فيه
غير الفاظ وقرارات تقية ، ما يسميه الناس بالطيبة .
أنت لا يمكن ان تحبى ذلك .

بروسبرين : (تحاول الترفع عليه باتخاذ سمة تأدب بارد) انا
ببساطة لا أعرف عم تتحدث . انا لا أفهمك .

مارشبانكس : (بفورة) بل تفهمينى . انت تكذبين .

بروسبرين : تبّا لك !

مارشبانكس : انت تفهمين تماما . وتعرفين عم أتحدث . (مصمما
على أن يحظى بجواب) هل من الممكن ان يتعلق به
قلب امرأة ؟

بروسبرين : (تتصفح وجهه) أجل . (يغطى وجهه يديه)
ماذا دهاك ! (يتخض يديه . تهلع لرؤية قناع الفجيعة
الذى يطالعها به فتهرول عبره الى أبعد مسافة ممكنة
وعيناها لا تبرحان وجهه حتى يتحول عنها ويمضى
الى كرسي الطفل الموضوع الى جوار أرضية المدفأة
ويجلس عليه وقد بلغ منه الا بتناس أشده . تقترب
من الباب واذا به يفتح ويدخل برجيس . تهتف حين
تراه) حمدا للسماء ! شخص يشاركنا المجلس
(وتشعر بقدر كاف من الطمأنينة لتعود الى مكانها
لدى مائدتها . تضع ورقة جديدة في الآلة الكاتبة
بينما يعبر برجيس الغرفة الى أوجين) .

برجيس : (حريصا على العناية بالزائر العظيم) . هكذا
يتركوك وحيدا يا مستر مورشبانكس ! لقد جئت

لمؤانستك . (مارشبانكس ينظر اليه مشدوها ولكن
برجيس لا يفهم) جيمس في غرفة المائدة يستقبل
وفدا جاء لرؤيته . اما كاندى فى الدور العلوى تعلم
فتاة صغيرة يهملها أمرها . (مغريا) لابد أنك تحس
هنا بالوحشة وليس في الحجرة من تحدثه سوى
السكرتيرة (يجذب المقعد الوثير ويجلس عليه) .

بروسبرين : (مستشاطا الغضب) لا بأس عليه ، الآن في وسعه
ان ينهل من حديث الممتع ! هذا على أى حال
مطمئن . (تبدأ في الكتابة على الآلة الكاتبة في حدة
وضوضاء) .

برجيس : (متعجبا لجرأتها) أنا لم أكن ، فيما أعلم ، أتوجه
إليك بالحديث أيتها الفتاة .

بروسبرين : هل رأيت عمرك يا مستر مارشبانكس طريقة في
معاملة الناس أسوأ من هذه الطريقة ؟

برجيس : (في صرامة) مستر مورشبانكس جنتلمان وهو
يعرف مقامه . يعرفه خيرا من بعضهم .

بروسبرين : (مناكفة) لحسن الحظ أنك واني لسنا من أبناء
الطبقة الراقية . ولولا ان مستر مارشبانكس هنا
لكان لي معك حديث صريح . (تجذب الخطاب من
الآلة الكاتبة بحركة حائقة تجعله يتمزق) . ها قد
تمزق مني الخطاب ! سأضطر الى اعادته من جديد !
لقد افلت عيارى : مغفل غبي عجوز !

برجيس : (ينهض وهو يلهث من الغضب) أنا مغفل غبي
عجوز ؟ حقا (يشهق) ! حسنا ، يا فتاتي ! حسنا .

انتظري علىّ حتى أخبر بذلك من تعملين عنده .
سترين . سأؤدبك : سترين بعينك .

بروسبرين : (وقد أدركت أنها قد تعدت حدودها) أنا . .

برجيس : (يقاطعها) لا : لقد فعلتها وانتهى الامر . لاجدوى
من مخاطبتى . سأريك من أنا . (بروسبرين تدير
اسطوانة الآلة الكاتبة بالورقة فتحدث صوتا يحمل
معنى التحدى ثم تستأنف عملها في استخفاف) لاتلق
اليها بالا يا مستر مورشبانكس ، فهي أدنى من ذلك
(يعود الى الجلوس بعظمة) .

مارشبانكس : (في حالة سيئة من العصبية والاضطراب) ألا يحسن
بنا أن نغير الموضوع ؟ أنا . . أنا لا أظن ان مس
جارنيت كانت تريد اساءة .

بروسبرين : (باقتناع شديد) أتظن ذلك حقاً ؟

برجيس : أنا لن أهين نفسي بالاكتراث بها .

(يرق جرس كهربى مرتين .)

بروسبرين : (تجمع كراسيها وأوراقها) هذا لى . (تهرع
خارجة) .

برجيس : (يصيح في اثرها) لا حاجة بنا اليك . (يشعر بشيء
من الاتياح لانتصاره باعتباره صاحب الكلمة الاخيرة
ولكن نفسه تنازعه لمحاولة الاستزادة منه فيتابعها
بنظرة لحظة ثم يجلس على مقعده بجوار أوجين
ويخاطبه بلهجة من يفضى بسر خطير) والآن وقد
اصبحنا وحدنا يا مستر مورشبانكس دعنى أصرح

كصديق بشيء لا أصرح به لأى انسان . منذ كم من
من الوقت تعرفت بزوج ابنتى جيمس ؟

مارشبانكس : لا أدرى . انا لا أستطيع ابدا أن اتذكر التواريخ .
منذ شهور قليلة فيما أظن .

برجيس : هل لا حظت عليه قط شيئا غريبا ؟

مارشبانكس : لا أظن .

برجيس : (بلهجة ايمائية) طبعى ، وهذا هو الخطير في
الموضوع . الذى أريد أن أقوله هو أنه مجنون .

مارشبانكس : مجنون !

برجيس : مجنون مائة في المائة . لا حظه وسرى .

مارشبانكس : (متمللا) ولكن . هذا بالتأكيد راجع الى أن أراءه ...

برجيس : (يمس ركبة مارشبانكس بطرف اصبعه ويضغط
عليها ليسترعى انتباهه) هذا بالضبط ما كنت أظنه
من قبل يا مستر مورشبانكس . لقد ظننت ردحا من
الزمن ان ذلك راجع الى آرائه ليس الا ، ولو ان
الآراء كما تعرف تصبح شيئا بالغ الخطورة حين
يأخذ الناس في العمل بمقتضاها كما يفعل هو . ولكن
هذا ليس بيت القصيدة . (يجيل النظر حوله ليتأكد
من أنهما بمفردهما ويميل على أذن أوجين) ماذا
تحسب انه قال لى هذا الصباح في نفس هذه الحجرة ؟

مارشبانكس : ماذا ؟

برجيس : قال لى — وثق ان هذا حدث وثوقك من أننا جالسان
هنا الآن — قال « أنا أحرق » وقال « انت وغد » .

تصور ! أنا وغدا ! ثم صافحني كما لو كان ذلك
يرفع من قدرى ! هل تريد أن تخبرني ان ذلك رجل
عاقل ؟

موريل : (في الخارج يرتفع صوته مخاطبا بروسلين وهو
يفتح الباب) خذى اسماءهم وعناوينهم جميعا
يا مس جارنيت .

بروسبرين : (من على بعد) حاضر يا مستر موريل .

(موريل يدخل حاملا مستندات الوفد .)

برجيس : (جانبا الى مارشبانكس) هذا هو . ما عليك الا ان
تراقبه بعينيك وسترى . (ينهض متأهبا لطرق
موضوع خطير) آسف يا جيمس . أنا مضطر الى
الشكوى اليك . لا أفعل ذلك برغبتى ولكنى أشعر
انه لا بد من ذلك لان المسألة مسألة حق وواجب .

موريل : ما الحديث ؟

برجيس : مستر مورشبانكس سيؤيد كلامى : لقد كان شاهد
عيان . (بجدية شديدة) سكرتيرتك نسيت نفسها
ووصفتنى بالمغفل الغبي العجوز .

موريل : (من قلبه) قول لا يصدر الا من بروسى !
يا لصراحتها : انها لا تستطيع ان تتحكم في نفسها !
مسكينة بروس ! ها ! ها !

برجيس : (يتفرض من الهياج) وهل تتوقع ان أتحمّل ذلك من
مثلها ؟

موريل : دعك من هذا الهراء ! لا تعرها اهتماما واطرح

المسألة من فكرك . (يسير الى « البار » ويضع
الاوراق في أحد ادراجہ) .

برجيس : انا لا يهمنى ، وأنا ارفع من ذلك مقاما . ولكن هل
هذا يصح ؟ هذا ما أريد أن أعرفه ، هل هذا يصح ؟

موريل : هذا تساؤل يوجه الى الكنيسة لا الى سواد الناس .
هل اصابك منه ضرر ؟ هذا هو السؤال بالنسبة لك .
بالطبع لم يصبك . لا تفكر في الموضوع اكثر من
ذلك . (ينهى الحكاية بالتوجه الى مكانه لدى المائدة
والجلوس ليعكف على مكاتباته) .

برجيس : (جانبا الى مارشبانكس) ألم أقل لك ؟ نحبول مائة
في المائة (يسير الى المائدة ويسأل بدمائة الرجل
الجائع العيلة) متى نتناول العشاء يا جيمس .

موريل : لن يكون ذلك قبل ساعتين من الآن .

برجيس : (برضوخ وحسرة) اعطنى يا جيمس لو سمحت
كتابا لطيفا اقرأ فيه قرب نار المدفأة .

موريل : كتاب من أى نوع ؟ كتاب جيد ؟

برجيس : (بما يوشك ان يكون صيحة احتجاج) لا ! كتاب
مسئ ، لمجرد قضاء الوقت (موريل يأخذ صحيفة
مصورة من على المائدة ويقدمها له . برجيس يتقبلها
في استكانة) شكرا يا جيمس . (يعود الى الكرسي
الكبير لدى المدفأة ويتربع عليه ويأخذ في القراءة) .

موريل : (وهو يكتب) ستحضر كانديدا لتؤنسك حالا .
لقد تخلصت من تلميذتها . انها تملأ المصابيح .

مارشبانكس : (يهب واقفا في أشد حالات الذعر) ولكن هذا سيلوث يديها (أنا لا أستطيع أن أتحمّل ذلك يا موريل : من العار أن يحدث هذا . سأذهب أنا وأملأها . (يتجه إلى الباب) .

موريل : خير لك ألا تفعل . (مارشبانكس يتوقف مترددا) كل ما ستفعله هو أنها ستكلفك بتنظيف حذائي لتوفر علىّ مثونة تنظيفه بنفسى في الصباح .

برجيس : (بانكار وقور) أليس لديكم الآن من يقوم بالخدمة يا جيمس ؟

موريل : بلى ، ولكن الخادم ليست من العبيد ، والبيت يبدو كما لو كان عندى ثلاثة خدم . معنى هذا ان على كل منا أن يمد يد المساعدة . خطة لا بأس بها : بروسى وأنا نستطيع أن نتحدث في العمل بعد الافطار ونحن نغسل الآنية . غسيل الاواني ليس متعبا حين يقوم به اثنان .

مارشبانكس : (معذبا) هل تظن أن لكل النساء خشونة مس جارنيت ؟

برجيس : (بتوكيد) معك حق يامستر مورشبانكس : معك حق ، هى فعلا خشنة .

موريل : (بهدوء وبلهجة ذات معنى) مارشبانكس !

مارشبانكس : نعم .

موريل : كم عدد الخدم في بيت أهلك ؟

مارشبانكس : (متجهما) لا أدرى (يتحرك نحو الكنبه كما لو

كان يريد أن يتعد قدر الامكان عن استجواب موريل ويجلس في حالة شديدة من الاحتضار النفسى وهو يفكر في زيت الكيوسين) .

موريل : (برصانة شديدة) انهم من الكثرة بحيث لا تدرى !
(بهجومية أكبر) حين يكون هناك عمل خشن لا بد أن يؤدى فما عليك الا أن تدق الجرس وتلقى به على عاتق شخص آخر . أليس كذلك ؟

مارشبانكس : أرجوك لا تعذبني . حتى الجرس انت لا تدقه .
ولكن اصابع زوجتك الحميلة تنضح في زيت الكيوسين بينما تجلس سيادتك هنا على راحتك لالقاء المواعظ : مواعظ أزلية . مواعظ ! ألفاظ ! ألفاظ ! ألفاظ !

برجيس : (يعجب بهذا الرد اعجابا متناها) ها ! ها ! لا لافض فوك ! (مشرق الوجه) لقد غلبك يا جيمس بالضربة القاضية .

(كانديدا تدخل ، وقد لفت مژرها حولها بعناية ، بمصباح قراءة سويت فتيلته وملى بالزيت واصبح مهيتا للاشعال . تضعه على المائدة قريبا من موريل جاهزا للاستعمال .

كانديدا : (تفرك اطراف اصابعها باختلاجة خفيفة في أنفها)
اذا كنت ستبقى معنا يا أوجين فأظن أنى سأعهد اليك بأمر المصاييح .

مارشبانكس : سابقى بشرط أن تعهدى الى بكل الاعمال الخشنة :

كانديدا : هذه رجولة منك ولكني أفضل أن أرى أولاً كيف
تقوم بها . (تتحول الى موريل) جيمس : أنت لم
تهم بشئون البيت كما يجب .

موريل : ما الذي فعلته - أو لم أفعله - يا حبيبيتي ؟

كانديدا : (بتأفف جدى) فرشاتي الخاصة المفضلة التي
استخدمها في تنظيف الارضية استعملت للطلاء
باللون الاسود . (صرخة يتفطر لها القلب تصدر من
مارشبانكس . برجيس يتلفت حوله في دهشة .
كانديدا تهزول الى الكنية) . ما الخبر ؟ هل أنت
مريض يا أوجين ؟

مارشبانكس : لا : لست مريضا . ولكنها رعدة الغثيان الغثيان !
(يضع برأسه بين يديه) .

برجيس : (مصدوما) ماذا ! مصاب بالرعشة يامستر
مورشبانكس وفي سنك ! ! يجب ان تقلع عن
المشروب تدريجياً (١)

كانديدا : (وقد اطمأنت) هراء ما تقول يا أبى ! ماهى الا
رعدة الغثيان الشاعرى . أليس كذلك يا أوجين
(تربت عليه) ؟

برجيس : (مكسوفاً) رعدة الغثيان الشاعرى ؟ لا مؤاخذه .
(يستدير الى نار المدفأة وهو يلعن تسرعه فسسى
التشخيص) .

كانديدا : ما الحكاية يا أوجين ؟ موضوع فرشاة التنظيف ؟

(١) برجيس اعتقد أن ما أصاب الشاب هو رعدة مدمنى الخمر ! ! .

(يرتعد قشعريرة) . لا ، لا ! هون عليك . (تجلس الى جواره) ألا تريد أن تهدي الى فرشاة جديدة ظهرها من العاج المحلى بالصدف ؟

مارشبانكس : (بنبرة ناعمة وموسيقية وان تكن مشبعة بالخرن والحنين) لا . قارب ، لا فرشاة تنظيف : قارب شراعى صغير خفيف لتجرى فيه ، بعيدا عن العالم ، حيث يغسل ماء المطر أرضية بيتك الرخامية وتجففها أشعة الشمس ، وحيث تنظف رياح الجنوب سجاجيدك الجميلة الخضراء والارجوانية . او مركبة تجرها الخيل ! مركبة تصعد بنا في عنان السماء حيث النجوم هى المصابيح وحيث لا تكون بك حاجة الى ملئها بالكيروسين كل يوم .

موريل : (بجفاء) وحيث لا شغلة ولا مشغلة سوى البطالة والاناية والعبث .

كانديدا : (متأذية) أوه . جيمس . حرام عليك أن تفسد كل هذا المجال .

مارشبانكس : (يشتعل غضبا) نعم . البطالة والاناية والعبث : أى أن تكون زوجتك جميلة طليقة سعيدة : أليس هذا ما يتمناه كل رجل بجماع روحه للمرأة التى يحبها ؟ هذا هو مثلى الاعلى : فما مثلك الأعلى انت وكل هؤلاء الناس الشنيعين الذين يعيشون في هذه الصفوف البشعة من الدور ؟ المواعظ وفرش دعك البلاط ! على أن تقوم أنت بالقاء المواعظ وتقوم هى بدعك البلاط .

كانديدا : (مبادرة) هو يقوم بتنظيف حذائه يا أوجين .
وسيكون عليك انت أن تنظفه له غدا جزاء
لك على تطاولك .

مارشبانكس : لا تتحدثي عن الاحذية ! قدماك سيكونان جميلتين على
سفوح الجبال .

كانديدا : قدماي لن تكونا جميلتين وانا حافية اذرع بهما
شارع هيكني .

برجيس : (ممتعضا) كفى يا كاندي ! لا تتحدثي كما يتحدث
الرعاع . مستر مورشبانكس ليس معتادا على ذلك .
أنت تسبين له رعدة الغثيان من جديد . اعني رعدة
الغثيان الشاعرى .

(موريل يلوذ بالصمت . هو في الظاهر مكب على
خطاباته ولكن الحقيقة ان الهواجس تنتهبه في شأن
تجربته الجديدة المزعجة فان ثقته في قوة ضرباته
الانحلاقية كلما زادت ، زادت معها السرعة والفعالية
التي يصددها بها أوجين . كذلك فهو يحس الما مريرا
لانه بدأ يهاب رجلا لا يحترمه .)

(مس جارثيت تدخل ببرقية .)

بروسبرين : (تناول موريل البرقية) ثمن الرد مدفوع والغلام في
الانتظار . (الى كانديدا وهي تعود الى آلتها الكاتبة
وتجلس) ماريا الآن رهن اشارتك في المطبخ يا مسز
موريل . (كانديدا تنهض) . البصل حضر .

مارشبانكس : (باختلاجة عصبية) بصل !

كانديدا : أجل ، بصل . وليته كان بصلا اسبانيا : وانما بصل
أحمر صغير كرية الرائحة . ما رأيك في أن تساعدني
في تخطيطه ؟ تعال .

(تمسكه من معصمه وتجرى خارجة وهي تجره
وراءها . ينهض برجيس مصعوقاً ويقف مشدوها
على بساط المدفأة وهو يلاحقها بنظراته .)

برجيس : من غير اللائق ان تعامل كاندي ابن أخ إيرل بهذه
الطريقة . هذا تجاوز للحدود . اسمع يا جيمس :
هل تصرفاته دائما بهذه الغرابة ؟

موريل : (باقتضاب وهو يسطر برقية) علمك .

برجيس : (بعاطفية) ما أحلى حديثه . انا كنت دائما أميل
الى شيء من الشعر ، وقد أخذت كاندي هذا الاستعداد
منى . وكانت تطلب منى أن أقص عليها قصصا عن
الجنيات حين كانت طفلة صغيرة لا تزيد عن هذا
(يضع راحته على ارتفاع قدمين ، أو حوالى ذلك ،
من الارض) .

موريل : (مشغولا) معقول . (يحفف حبر البرقية ويخرج) .

بروسبرين : هل كنت تؤلف قصص الجنيات من نسج خيالك ؟
(برجيس لا يتنازل بالرد ويتخذ وهو واقف على
بساط المدفأة هيئة تدل على منتهى الاحتقار .)

بروسبرين : (في هدوء) ما كان يدور بخاطري ابدا ان لديك
هذه المقدرة . على فكرة : دعنى أحذرك ، مادمت
تستلطف مستر مارشبانكس إلى هذا الحد ، انه
مجنون .

برجيس : مجنون ! ماذا ! هو أيضا ! !
بروسبرين : مجنون مائة في المائة . لقد اخافني ، أوكد لك ،
قبل وصولك بلحظة . أما لاحظت ما يقوله من
كلام غريب .

برجيس : هذا اذن هو المقصود برعشة الغثيان الشاعري . لقد
خطر لي فعلا مرة أو مرتين أن به شعرة جنون !
(يعبر الغرفة إلى الباب ويرفع صوته وهو ينصرف)
هذه مصحة امراض عقلية معتبرة لشخص يكون
فيها ولا أحد غيرك يعنى بأمره !

بروسبرين : (وهو يمر أمامها) نعم ، وأى مصيبة لو حدث
لك شيء !

برجيس : (بتكبر) لا توجهي الى ملاحظات . أخبري رب
عملك اني ذهبت إلى الحديقة لأدخن .

بروسبرين : (هازئة) حقا !

(قبل أن يرد عليها برجيس يعود موريل .)

برجيس : (بعاطفية) أنا ذاهب يا جيمس إلى الحديقة في جولة
لأدخن .

موريل : (بفضاظة) افعل ما بدا لك . (برجيس ينصرف
في حالة مؤثرة وفي شخصية رجل نال منه
الاعياء . موريل يقف لدى المائدة يقلب اوراقه
ويضيف موجه الخطاب الى بروسبرين ولهجته بين
الدعابة والشرود) ها يامس بروسى . ما بالك
تهينين حماي ؟

بروسبرين : (يتخرج وجهها بحمرة كاللهيب وترفع بصرها اليه بسرعة بين الخوف والعتاب) أنا . . (تنفجر في البكاء) .

موريل : (يميل بمرح عطف عبر المائدة في اتجاهها وفي لهجة مواساة) حسبك ! حسبك ! لا عليك يا بروسى : هو عجوز مغفل غبي ، اليس كذلك ؟

(بزفرة كالقذيفة تندفع إلى الباب وتختفى وهي تصفقه وراءها . موريل يتنهد وهو يهز رأسه في استسلام ويسير في اعياء إلى كرسیه . يجلس على الكرسي ويقبل على عمله وقد بدا مسنا ومكروبا . تدخل كانديدا . لقد فرغت من عمل البيت وخلعت ازارها . تلاحظ على الفور مظهره المغم وتتحذ في سكون موقفا لدى كرسي الزوار وتخفض بصرها اليه لا تنبس بكلمة .)

موريل : (يرفع بصره اليها دون أن يضع القلم وهو يتأهب لمواصلة عمله) هه . أين أوجين ؟

كانديدا : يغسل يديه تحت الحنفية في حجرة غسل الاطباق ؛ سيكون طباحا ماهرا ، لو استطاع فقط أن يتغلب على خوفه من ماريا .

موريل : (باختصار) حقا ؟ هو ذلك . (يعاود الكتابة) :

كانديدا : (تدنو منه وتضع يدها برفق على يده لتمنعه من الكتابة وهي تقول) تعال أبيها الحبيب . دعني انظر اليك . (يسقط القلم ويترك لها قياده . يجعله ينهض وتبتعد به قليلا عن المائدة وهي تنظر

اليه بعين ناقدة طيلة الوقت) . ادر وجهك إلى الضوء . (تجعله يواجه النافذة) . فتأى لا يبدو في حالة طيبة . هل كان يجهد نفسه في العمل ؟

موريل : لا شئ أكثر من المعتاد .

كانديدا : انه يبدو حائل اللون ، مبيض الشعر ، مغضنا وكهلا ، (كآبته تزداد عمقا وتهاجم هي هذه الكآبة بمرح عنيد) اجلس : (تجذبه نحو المقعد الوثير) لقد كتبت اليوم بما فيه الكفاية . دع لبروسى أن تنهى عملك . تعال وتحدث الى .

موريل : لكن ..

كانديدا : (مصرة) أجل . لابد أن تحدثنى . (ترغمه على الجلوس وتجلس هي على السجادة قريبا من ركبته ها (تربت على يده) قد بدأ التحسن يظهر عليك . لماذا تتمسك بالخروج كل ليلة لكى تحاضر وتحدث ؟ أنا لا أكاد أظفر منك بأمنية في الاسبوع . كلامك طبعاً سديد للغاية . ولكنه لا يجدى فتىلا : هم لا يعبأون شرو نقيير بما تقول . وهم يحسبون انهم متفقون معك ولكن ما قيمة موافقتهم إذا كانوا في اللحظة التى تدير لهم فيها ظهرك يمضون لحالهم ويفعلون عكس ما تنهاهم عنه بالضبط . انظر إلى المترددين على كنيستنا ، كنيسة القديس دومينيك ! ما الذى يجيئ بهم ليستمعوا اليك وأنت تتحدث عن المسيحية كل يوم أحد ؟ مجرد أن حياتهم حافلة بالاعمال والجري وراء المال ستة أيام في الاسبوع

لدرجة تجعلهم يحاولون نسيان كل ما يتعلق بها
وأخذ نصيب من الراحة في اليوم السابع ، وذلك
لكي يعودوا بعد ذلك إلى اعمالهم في انتعاش ويجروا
وراء المال أشد من ذي قبل ! انت في الواقع
تحثهم على ذلك بدلا من أن تردهم فيه .

موريل : (بجدية وحماس) أنت تعلمين تماما ، يا كانديدا ،
انني طالما عنفتهم على ذلك تعنيفا شديدا . وإذا لم يكن
في تردهم على الكنيسة سوى الراحة والتنويع فلم
لا يختارون شيئا أكثر ترويحاً عن النفس وأكثر
إمتاعاً ؟ لابد أن هناك بعض الخير في كونهم يفضلون
كنيسة القديس دومنيك أيام الاحد على ما هو أسوأ
منها من الاماكن .

كانديدا : الاماكن الأسوأ مغلقة وحتى اذا كانوا يفضلون هذه
الاماكن فانهم لا يجروئون على ان يراهم أحد وهم
يرتادونها . أضف الى ذلك يا حبيبي جيمس ان
وعظك رائع الى درجة لا تقل بالنسبة لهم عن أى
مسرحة . لماذا تظن ان النساء متحمسات لهذا
الحماس ؟

موريس : (باستنكار) كانديدا ؟

كانديدا : سلى أنا . أيها الفتى الاحمق : انت تظن ان
اشتراكيك وتعاليم ديانتك هي السبب . ولكن هذا
لو كان صحيحا لاتبعن ما تقوله هن بدلا من
الاكتفاء بالحضور لمشاهدتك . انهن جميعا يعانين
من شكوى بروسى .

موريل : شكوى بروسى ! ما قصدك يا كانديدا ؟

كانديدا : أجل . هى وجميع السكرتيرات اللاتى عملن معك . من قبل . ما الذى يجعل بروسى تهين نفسها وتقوم بالغسيل وتقشير البطاطا وتحط من قدرها بكافّة الوجوه مقابل أجر يقل ستة شلنات عما اعتادت أن تتقاضاه في اى مكتب من مكاتب حى الاعمال بلندن ؟ لا نها متيمة بك يا جيمس : هذا هو السبب . كلهن متيمات بك . وانت متيم بالوعظ لان وعظك ساحر . أنت تتوهم ان كل هذا ليس الا حماسا لمملكة السماء على الارض ، وهن يتوهمن ذلك أيضا يا حبيبي الابله .

موريل : كانديدا : أى تهكم فظيع . اى تهكم مدمر هذا ؟ هل تمزحين ؟ أو . . . أيمكن ان يكون هذا ؟ . . . أهى الغيرة ؟

كانديدا : (بتأمل غريب) فعلا . أنا أشعر أحيانا بشيء من الغيرة .

موريل : (غير مصدق) من بروسى ؟

كانديدا : (ضاحكة) لا ، لا ، لا ، لا ، لا أشعر بالغيرة من أحد . ولكن من أجل شخص آخر لا يخطئ بما هو أهل له من الحب .

موريل : أنا ؟

كانديدا : أنت ؟ لعمرى . ان لديك نخمة من الحب والعبادة : أنت تحظى منهما باكثر كثيرا مما يناسبك . لا : انما أعنى أوجين .

- موريل : (مدعورا) أوجين !
- كانديدا : يبدو من الاجحاف ان تنال انت كل الحب ولا يصيبه هو منه شيء رغم ان حاجته اليه اكبر بكثير من حاجتك . (تهزه بالرغم منه حركة تشنجية) . ما لك ؟ هل يقلقك حديثي ؟
- موريل : (من فوره) لا أبدا . (يتطلع اليها طويلا بتر كبير واضطراب) أنت تعلمين اني اثق فيه ثقة مطلقة يا كانديدا .
- كانديدا : أيها المغرور ! أوافقك انت الى هذا الحد من سحرك الذي لا يقاوم ؟
- موريل : كانديدا : أنت تصدميني . انا لم أفكر ابدا في سحري ، بل فكرت في طبيبتك ، في طهرتك ، هذا هو ما أثق فيه .
- كانديدا : ما اقبح هذا من كلام مزعج . صدق يا جيمس من قال انك قسيس : قسيس بالطول وبالعرض .
- موريل : (ينصرف عنها وقد أصيب في الصميم) هكذا يقول أوجين .
- كانديدا : (باهتمام كبير ، تميل عليه وذراعاها على ركبتيه) أوجين دائما على صواب . انه فتى رائع : لقد زادت معزته عندي أكثر وأكثر طوال الوقت الذي غبت خلاله . أتعرف يا جيمس انه - ولو ان ذلك لم يطف له بخاطر - على وشك ان يحبني الى درجة الجنون ؟
- موريل : (بجهامة) تقولين ان ذلك لم يطف له بخاطر ؟

كانديدا : (على الاطلاق) . تسحب ذراعيها من على ركبته وتستدير في تفكير ثم تتخذ وضعا اكثر استرخاء ويداها في حجرها) . سيدرك ذلك يوما ما : حين يكبر ويعرك الحياة ، مثلك . وسيدرك اني لا بد أن اكون قد عرفت . لعمري ماذا سيكون رأيه في حيثئذ .

موريل : كل خير يا كانديدا . كل خير فيما أرجو وأعتقد .
كانديدا : (متشككة) ذلك يتوقف .

موريل : (متحيرا) يتوقف !
كانديدا : (تنظر اليه) نعم : يتوقف على ما سيحدث له .
(ينظر اليها نظرة من لا يفهم) . ألا ترى ما أعنيه ؟
يتوقف على الطريقة التي سيتعلم بها ما هو الحب حقيقة . اعني على نوع المرأة التي سيتعلم الحب على يديها .

موريل : (كالتائه) نعم . لا . لم أفهم ما تعنين .
كانديدا : (مفسرة) اذا تعلم الحب على يد امرأة طيبة فسيمر كل شيء بسلام : سيغفر لي .

موريل : يغفر لك ؟
كانديدا : ولكن هب انه تعلمه على يد امرأة شريرة ، كما يحدث لكثير من الرجال وخاصة ذوى الشاعرية منهم ، الذين يتصورون ان النساء جميعا ملائكة ! هب انه لم يكتشف قيمة الحب الا بعد ان يكون قد طرحه وراءه وتسبب بجهله في اهدار كرامة نفسه .

أتراه يغفر لي حينذاك ؟

موريل : يغفر لك ماذا ؟

كانديدا : (تدرك مدى غبائه ، ويخيب ظنّها فيه قليلا دون ان يؤثر ذلك على رقة مشاعرهما حياله ، ألا تفهم ؟)
(يهز رأسه . تستدير اليه ثانية لتشرح له باكبر قدر من الألفة والاعزاز) أعني هل سيغفر لي اني لم أعلمه بنفسى ، وانى لتشبّى باهداب ما تسميه انت بطيبتى وطهرى ، تركته للنساء الشريرات . آه يا جيمس .
يا لقلّة فهمك لى . تحدثنى عن ثقّتك فى طيبتى وطهرى لو لم يكن هناك غير هما ما يصدنى لو هبتهما كليهما لاوجين المسكين بنفس السماحة التى كنت اتنازل بها عن «شالى» لشحاذ يموت من البرد . ضع ثقّتك فى حبي لك يا جيمس . لان هذا اذا ذهب فلن تساوى مواعظك عندى قلامة ظفر ، فما هى الا عبارات تغش بها نفسك وتغش بها الناس كل يوم . (تهيم بالقيام) .

موريل : كلماته !

كانديدا : (تراجع نفسها بسرعة اثناء قيامها) كلمات من ؟

موريل : أوجين .

كانديدا : (منشرة الصدر) هو دائما على صواب . هو

يفهمك ، ويفهمنى ، ويفهم بروسى . اما أنت ، يا حبيبى ، فلا تفهم شيئا . (تضحك وتقبله فى مواساة . يتراجع كما لو كان قد تلقى طعنة ويهيب واقفا) .

موريل : كيف تواتيك القدرة على فعل ذلك بينما . . آه
يا كانديدا (وصوته ينضح بالهفة) كنت أفضل أن
تغرسى مخطافا حديديا في قلبي بدلا من ان تجودى على
بتلك القبلة .

كانديدا : (في دهشة) حبيبي : ماذا جرى ؟

موريل : (يشير لها مهتاجا بالابتعاد) لا تمسني .

كانديدا : جيمس !!!

(يدخل مارشبانكس مع برجيس فيقطعان حوارهما .
يقفان بجوار الباب مبهوتين .)

مارشبانكس : هل حدث شيء !

موريل : (يستميت في ضبط نفسه ، وقد شحب وجهه فغدا
كالاموات) لا شيء غير هذا : اما انك كنت على
حق هذا الصباح أو أن كانديدا مصابة بالجنون .

برجيس : (باحتجاج صارخ) ماذا ! كاندى مجنونة أيضا !
حيلك ! حيلك ! حيلك ! (يعبر الغرفة الى المدفأة ،
وييدى اعتراضه اثناء سيره ويدق على قضبان المدفأة
بغليونه ليخرج رماده) .

(موريل يجلس الى مائدته وقد ركب اليأس ،
وينحني الى الامام ليخفي وجهه ويشبك اصابعه بقوة
لتحتفظ بثباتها .)

كانديدا : (لموريل ضاحكة ، وقد سرى عنها) انت مصدوم
وحسب ! أهذا كل ما في الأمر ؟ ما أقرب الشبه
بينكم جميعا أيها المتفردون وبين غيركم من الناس !
(تجلس بمرح على ذراع الكرسي) .

برجيس : ما هذا يا كاندى : تأدبى . أتريدى ان يسىء مستر
مورشبانكس بك الظن ؟

كانديدا : المسئول عن هذا هو جيمس . لقد علمنى ان أفكر
بغير عون من أحد والا أنكص عن شىء خشية ما قد
يظنه بى الآخرون . لآخرج علىّ في ذلك طالما كان
تفكيرى مطابقا لتفكيره . اما الآن ! لانى اختلفت
معه في التفكير منذ لحظة ! انظر اليه ! انظر (تومى
الى موريل وهى في غاية من الرضى) .

(أوجين ينظر وفجأة يضغط على قلبه بيده كما لو كان
قد أحس فيه بألم مباغت . يجلس على الكنبه كرجل
يشهد مأساة .

برجيس : (على بساط المدفأة) هه يا جيمس . انت لاتبدو
مهيب الطلعة كعادتك .

موريل : (بضحكة هى نصف عبرة) فعلا ، وانا استمىحك
المعذرة جميعا . الحق انى لم اكن متنبها الى اننى اثير
شغبا . (يتماسك) والآن . عن اذنكم ! (ينكب
من جديد على اوراقه وقد ويطد العزم على ان يبدو
مسروراً) ..

كانديدا : (تسير الى الكنبه وتجلس الى جوار مارشبانكس وهى
لاتزال في نوبة المزاح) ، خبرنى يا أوجين : فسيم
اكتئابك ؟ أهو البصل الذى أسال دموعك ؟

مارشبانكس : (جانبا اليها) انها قسوتك . انا امقت القسوة . ان
روية انسان يسوم غيره العذاب شىء فظيع .

كانديدا : (تداعبه في سخرية) يا للغلام المسكين هل كنت قاسية ؟ هل جعلته يخرط البصل الاحمر الصغير ذى الرائحة الكريهة ؟

مارشبانكس : (برنة صدق) لا . كفى . كفى : انا لا اعنى نفسى . لقد جعلته يتعذب عذاب الويل . اننى أحس بألمه في قلبي أنا . أنا أعلم انك لست مسئولة وان ما كان لم يكن منه مناص ، ولكن لاتستخفى به . اننى أشعر بالقشعريرة حين تعذيبه وتضحكين .

كانديدا : (غير مصدقة) انا أعذب جيمس . ! هراء يا أوجين : يا لك من مبالغ ! عييط ! : (تنهض وتذهب الى المائدة وقد اضطربت نوعا ما) كفاك عملا أيها العزيز . تعال وحدثنا .

موريل : (بعطف ولكن بمرارة) لا : انا لا أحسن التحدث . الوعظ هو الشيء الوحيد الذى أحسنه .

كانديدا : (تتحسس يده) اذن تعال وعظنا .

برجيس : (يعترض بشدة) لا . لا يا كاندى . كله الا هذا ! ! (لكسى ميل يدخل وعليه سمات القلق والاحساس بأهميته .)

لكسى : (يبادر ليشد على يد كانديدا) كيف الحال يا مسز موريل ؟ شدا أنا مسرور لرؤيتك وقد وعدت الى بيتك .

كانديدا : شكرا يا لكسى . انت تعرف أوجين طبعاً .

لكسى : نعم . كيف حالك يا مارشبانكس .

مارشبانكس : على ما يرام . شكرا .

لكسى : (الى موريل) لقد حضرت لتوى من عند جماعة القديس متى . هم في أشد حالات الانزعاج بشأن برقيتك .

كانديدا : بأى خصوص كانت برقيتك يا جيمس ؟

لكسى : (لكانديدا) كان المفروض ان يلقى عليهم خطابا هذا المساء وقد استأجروا القاعة الكبرى بشارع مير وأنفقوا مالا كثيرا على الاعلانات واذا بموريل يبعث برقية يقول فيها انه لن يتمكن من الحضور . لقد وقعت عليهم هذه البرقية وقع الصاعقة .

كانديدا : (متعجبة وقد بدأت تشبه في ان في الامر شيئا) الغيت ارتباطا لقاء خطاب !

برجيس : أراهن انها المرة الاولى في حياته . أليس كذلك يا كاندى ؟

لكسى : (لموريل) لقد اتخذوا قرارا بارسال برقية عاجلة اليك ليستفسروا عما اذا لم يكن في وسعك ان تغير رأيك . هل تلقيتها ؟

موريل : (يجاهد لئلا تغلت اعصابه) نعم ، نعم : تلقيتها .

لكسى : لقد دفعوا مقدما رسم الرد التلغرافي .

موريل : اعلم ذلك . وقد ارسلت ردى . لن استطيع الذهاب .

كانديدا : ولكن لماذا يا جيمس ؟

موريل : (في لهجة أقرب إلى الشراسة) لانه ليس لى في ذلك خيار . هؤلاء الناس ينسون انى بشر : أنا في رأيهم آلة متكلمة تدار للترفيه عنهم كل أمسية في حياتى .

أليس من حقى أن آخذ ليلة واحدة اقضيها في بيتي
مع زوجتي واصدقائي ؟
(الكل في دهشة من هذا الانفجار ما عدا أوجين .
تعبيره لا يتغير .)

كانديدا : اسمع يا جيمس . لا تكترث لقولي بهذا الصدد . انت
ان لم تذهب ستعاني غدا من وخز الضمير .

لكسى : (في تخوف ولكن بالحاح) انا بالطبع اعلم انهم
يشتطون في طلباتهم . ولكنهم بعد أن بحثوا بالتلغراف
في البلد كلها عن خطيب لم يتمكنوا من العثور الا على
رئيس اتحاد اللاأدريين (١) ؟

موريل : (فورا) ماله ؟ رجل ممتاز ولن يجدوا افضل منه .

لكسى : ولكنه يصر دائما بقوة على ان الاشتراكية شيء
والمسيحية شيء آخر ، ويفسد كل ما فعلناه . انت
بالطبع سيد العارفين ولكن . . (يهز كتفيه ويسير
متمهلا الى المدفأة بجوار برجيس) .

كانديدا : (بدلال) أرجوك أن تذهب يا جيمس . سنذهب
كلنا .

برجيس : (متبرما) اسمعى يا كاندى ! لنبق في البيت مرتاحين
بجوار نار المدفأة . هو لن يبقى بالخارج أكثر من
ساعتين .

كانديدا : ستكون مرتاحا بنفس الدرجة في الاجتماع .
سنجلس جميعا على المنصة كعلية القوم .

(١) اللا أدريية مذهب يرى أن وجود الله أو أى كائن وراء الظواهر المادية مسائل
لا يمكن القطع فيها بشيء يقينى . « والعياذ بالله »

- أوجين : (مرتاعا) أرجوك لاتجعلينا نجلس على المنصة . لا . سنكون محط الانظار . انا لا أطيق ذلك . سأجلس أنا في مؤخرة القاعة .
- كانديدا : لاتخف . انشغالهم بالنظر إلى جيمس سيجعلهم لا لا يفتنون إلى وجودك .
- موريل : شكوى بروسى كانديدا ! هه ؟
- كانديدا : (بمرح) أجل : شكوى بروسى .
- برجيس : (لا يفهم) شكوى بروسى ! عم تتحدثان يا جيمس
- موريل : (لا يلقي اليه بالا . ينهض ويسير نحو الباب ويفتحه ويبقيه مفتوحا . ينادى في لهجة آمره) مس جارنيت
- بروسبرين : (من بعيد) حاضر يامستر موريل . قادمة .
- (ينتظر الجميع باستثناء برجيس الذى يستدير خلسة إلى لكسى .)
- برجيس : اسمع يامستر ميل . ما شكوي بروسى ؟ هل اصابها شىء ؟
- لكسى : (في همس) لا أعلم بالضبط . ولكنها حدثتني هذا الصباح بطريقة غريبة . ينحيل الى ان خلا عاليا يتتابها أحيانا .
- برجيس : (مستهولا) أقسم انها عدوي ! أربعة في نفس البيت !
- بروسبرين : (تظهر عند مدخل الغرفة) أي خدمة يامستر موريل ؟
- موريل : برقية إلى جماعة القديس متى بأنى ذاهب اليهم .

بروسبرين : (في استغراب) أليسوا في انتظارك ؟

موريل : (ينهرها) افعلى ما أمرك به .

(بروسبرين تجلس في وجل إلى آلتها الكاتبة وتطيع أمره . موريل وقد اضحى الآن شديد المراس قوى الارادة لعله غير مفهومة ، يعبر الغرفة إلى برجيس . كانديدا تتابع حركاته بعجب وريبة مترايدين .)

موريل : برجيس : انت لا تريد أن تأتى .

برجيس : لاتنظر للموضوع هذه النظرة يا جيمس . المسألة وما فيها ان اليوم كما تعلم ليس يوم أحد .

موريل : لا تؤاخذنى . ظننت انك قد تحب أن تتعرف برئيس الجماعة . انه عضو في لجنة الاشغال بالمجلس البلدى وله نفوذ في مسائل المقاولات . (برجيس يفيق فورا) ستأتى ؟

برجيس : (بحماس) بالطبع يا جيمس فالاستماع اليك يبعث في النفس السرور دائما .

موريل : (يلتفت إلى بروسى) ساحتاج اليك في الاجتماع يامس جارنيت لأخذ بعض المذكرات ، هذا ان لم يكن لديك ارتباط آخر . (توافق بإشارة من رأسها ولا تواتيها الجرأة على الكلام) . وأنت يالكسى . أظنك آت .

لكسى : بكل تأكيد .

كانديدا : كلنا آتون يا جيمس .

موريل : لا : أنت لن تأتي ، وأوجين كذلك لن يأتي . ستبقين هنا لتؤنسيه . . للاحتفال بعودتك إلى بيتك . (أوجين ينهض ، مبهور الانفاس) .

كانديدا : ولكن يا جيمس . .

موريل : (بلهجة جازمة) أنا مصر . أنت لا تريدن الحضور وهو لا يريد الحضور . (كانديدا تهتم بالاعتراض) . لا تهتما بأمرى : سيكون عندي بدونكما الكثيرون : مكانكما سيحتاج إليه أناس ضالون لم يسبق لهم سماعي .

كانديدا : (مضطربة) أوجين : ألا تريد الذهاب ؟

موريل : سأخشي الانطلاق على سجليتي أمام أوجين ، فهو قاس في نقده للمواعظ (ينظر إليه) هو يعلم أنني أخشاه : لقد قال لي ذلك هذا الصباح . وسأريه إلى أي حد أخشاه بتركه هنا في عهدتك يا كانديدا .

مارشبانكس : (لنفسه ، بشعور عميق) هذه شجاعة شيء جميل .

كانديدا : (بقلق وتوجس) ولكن . . ولكن . . ما أصل المسألة يا جيمس ؟ (في ارتباك شديد) أنا عاجزة عن الفهم . .

موريل : (يأخذها في حذب بين ذراعيه ويقبلها على جبينها) كنت أحسب يا حبيبتى أنني أنا الذي أعياه الفهم .

الفصل الثالث

الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء . الستائر مسدلة والمصابيح مضاءة الآلة الكاتبة داخل صندوقها : المائدة الكبيرة اخلت مما كان عليها ونظفت : كل شيء يشير الى ان عمل اليوم قد انتهى .

كانديدا ومارشبانكس يجلسان الى نار المدفأة . مصباح القراءة موضوع على رف المدفأة فوق مارشبانكس الذي يقرأ بصوت عال وهو جالس في الكرسي الصغير . كومة صغيرة من الكراسيات وديوانا شعر على السجادة بجواره . كانديدا جالسة على المقعد الوثير . المسعر الذي يستعمل في اذكاء النار ، وهو قضيب خفيف الوزن مصنوع من النحاس الاصفر ، في يدها ، في وضع عمودي . كانديدا تنظر الى طرف هذه الأداة بتمعن وقد مالت الى الوراء ومدت قدميها في اتجاه اللهب — هي في حلم من أحلام اليقظة وقد سرحت بأفكارها على مسافة اميال من الجو المحيط بها ونسيت أوجين تماما .

مارشبانكس : (يتوقف عن الانشاد) ما من شاعر عاش في هذه الدنيا الا وصاغ هذا المعنى في قصيدة من نسوع السونيت (١) . هذا أمر حتمي يفرض نفسه عليه .
(ينظر اليها في انتظار ان تبدى موافقتها ويلاحظ استغراقها في تأمل المسعر) . ألم تكوني معي ؟
(لا جواب) مسر موريل !

(١) مقطوعة شعرية تتكون من أربعة عشر بيتا .

كانديدا : ها !!

مارشبانكس : ألم تكونى تنصتين ؟

كانديدا : (فى لهجة مهذبة بصورة مبالغ فيها يشتم منها شعور
الذنب) بلى ، بلى . جميلة جدا . استمر يا أوجين .
انا مشتاقة لسماع ما حدث للملاك .

مارشبانكس : (كراسة الشعر تقع من يده على الأرضية) آسف
اذا كنت قد اثقلت عليك .

كانديدا : ولكنك لا تثقل علىّ ، أوكد لك . ارجوك ان
تستمر . استمر يا أوجين .

مارشبانكس : لقد انتهيت من قصيدة الملك منذ ربع ساعة . وتلوت
عليك بعدها عدة قصائد .

كانديدا : (بندم) لا تؤاخذنى يا أوجين . لا بد أن هذا المسعر
تسلط على حواسى كنوم مغناطيسى .
(تضع المسعر من يدها) .

مارشبانكس : لقد سبب لى هذا المسعر ازعاجا فظيعا .

كانديدا : لم لم تخبرنى ، اذن لوضعته فى الحال .

مارشبانكس : كنت أخشى ازعاجك . كان يبدو كسلاح . لو
اننى كنت بطلا من ابطال الزمن الغابر لجردت سيفى
ووضعتة بيننا . موريل اذا جاء فقد يتبادر الى ذهنه
انك انتضيت المسعر لعدم وجود سيف يفصل بيننا .

كانديدا : (فى تعجب) ماذا ؟ (تنظر اليه نظرة متسائلة) أنا
لم أدرك غرضك تماما . لقد جعلت « سونيتاتك »
افكارى تختلط كلية . لماذا يجب ان يكون بيننا سيف

مارشبانكس : (يتهرب من الاجابة) لا داعى . (ينحنى ليلتقط
كراسة الشعر) .

كانديدا : دع هذه الكراسة في مكانها يا أوجين . ان طاقتي
على هضم الشعر - ولو كان شعرك - محدودة لقد
ظلمت تنشدي شعرا اكثر من ساعتين ، منذ خرج
جيمس . أريد أن اتحدث .

مارشبانكس : (ينهض مذعورا) لا : أنا لا يجب ان أتحدث .
(يجيل نظره حوله بطريقة التي تعكس الضياع
ويضيف فجأة) اظن انه يجمل بى ان اخرج واتمشى
في الحديقة العامة .
(يتجه نحو الباب) .

كانديدا : هراء : الحديقة العامة موصدة الابواب منذ مدة.
تعال واجلس على بساط المدفأة وتحدث عن ضوء
القمر كما اعتدت ان تفعل . اريد ان تروح عني .
الا تقبل ؟

مارشبانكس : (بين الفرع والسعادة الغامرة) بلى .

كانديدا : اذن هلم . (تحرك مقعدها الى الوراء قليلا لتخلى
له مكانا) .

(يتردد ثم يتمدد في حياء على بساط المدفأة ووجهه
الى أعلى ويدفع رأسه الى الخلف على ركبتيها رافعا
اليها بصره .)

مارشبانكس : كنت أشعر بمنتهى التعاسة طيلة المساء لانى كنت
اتصرف حسب الاصول . اما الآن فانى اخالف
الاصول وها أنا أشعر بالسعادة .

كانديدا : (تجد في قوله طرافة . وبرقة) أجل : انا واثقة انك
تشعر الآن بانك شببت عن الطوق واصبحت رجلا
مخادعا شريرا . هذا الشعور يرضى غرورك . أليس
كذلك ؟

مارشبانكس : (يرفع رأسه بسرعة ويستدير قليلا ليحول اليها
بصره) حاذري من الغلط . انا اكبر منك سنا بكثير
لو كنت تعلمين . (يستدير تماما على ركبتيه ويداه
مشبوكتان وذراعااه على حبرها ، ويتحدث بنبض
متزايد وقد بدأ الدم يتحرك في عروقه) هل تأذنين
لى في أن احديثك كما يتحدث الاشرار ؟

كانديدا : (دون اقل خوف او جفاء وباحترام كامل لعواطفه
المشوبة ولكن بلمسة من فطرتها الى تختلط فيها
الامومة بحكمة الفؤاد) لا . ولكنك تستطيع ان تفصح
عن أى شيء تحسه حقيقة وفعلا . اى شيء على الاطلاق
دون قيد ولا شرط . ما بى خوف من ذلك طالما كان
الذى يتحدث هو حقيقة نفسك وليس مجرد افتعال :
افتعال للشهامة او افتعال للشر او حتى افتعال للشعر .
انا اتركك لشرفك ولصدقك ، ولك الآن ان تقول
ما يحلو لك .

مارشبانكس : (يختفى التعبير المحموم من شفتيه ومنخريه بينما تلتمع
عيناه بروحانية مثيرة للشفقة) انا الآن عاجز عن

قول أى شىء : كل الكلمات التى أعرفها تنتمى الى هذا الافتعال او ذاك . . كلها باستثناء واحدة .

كانديدا : وأى واحدة هى ؟

مارشبانكس : (بصوت خفيض ونفسه تذوب في موسيقى الاسم كانديدا ، كانديدا ، كانديدا ، كانديدا ، كانديدا . ليس أمامى الآن ما أقوله غير هذا الاسم وقد أوكلتنى لشرفى ولصدقى .

أنا لا افكر ابدا في مسز موريل أو أشعر بمسز موريل التى افكر فيها واشعر بها دائما هى كانديدا .

كانديدا : طبعا . وما هو الكلام الذى ترد أن تخاطب به كانديدا ؟

مارشبانكس : لا شىء سوى أن أردد اسمك الف مرة . الا تحسين بان كل مرة هى صلاة لك ؟

كانديدا : هل تشعر بسعادة لأن في مقدورك ان تصلى ؟

مارشبانكس : نعم بسعادة عظمى .

كانديدا : هذه السعادة هى استجابة لصلاتك . هل تريد شيئا آخر ؟

مارشبانكس : كلا : لقد حلت بالسماء حيث لا عوز ولا حاجة ، يدخل موريل . يقف عند عتبة الباب ويحيط بالمشهد بنظرة .

موريل : (برصانة ودون أن يفقد سيطرته على نفسه) ارجو الا اكون قد ازعجتكما .

:((كانديدا تقوم بعنف ولكن دون اقل شعور بالخرج
وتضحك من نفسها .

أوجين وقد جعلته حركتها المفاجئة ينقلب ، يتمالك
نفسه دون أن ينهض من مكانه ، ويجلس على
البساط ممسكا برسغى قدميه . هو الآخر لا يشعر
بادنى حرج .)

كانديدا : أفرعتنى يا جيمس ! كان أوجين يستحوذ على
اهتمامى لدرجة جعلتنى لا أسمع مفتاحك وهو يدور
في القفل . كيف دار الاجتماع . هل كنت موفقا
في الحديث . ؟

موريل : في حياتى لم اتحدث كما تحدثت اليوم .

كانديدا : عظيم . وكم بلغت التبرعات ؟

موريل : فأتى أن أسأل .

كانديدا : (الى أوجين) لابد أن يكون قد أبدع في الحديث
والا لما غفل عن ذلك قط . (الى موريل)
أين الآخرون كلهم ؟

موريل : انصرفوا قبل أن اتمكن أنا من الانصراف بوقت
طويل : حسبت اننى لن استطيع الفكاك .

اعتقد انهم يتناولون العشاء في مكان ما .

كانديدا : (في لهجتها المنزلية العملية) في هذه الحالة تستطيع
ماريا أن تأوى إلى فراشها . سأذهب لابلغها بذلك . .
(تخرج إلى المطبخ) .

موريل : (ينظر إلى مارشبانكس بصرامة) وبعد .

مارشبانكس : (وهو جالس القرفصاء على بساط المدفأة في وضع مبتدل ودون أن يشعر بأى تخرج حبال موريل بل وفي لهُو كلهو العفاريث) وبعد !

موريل : هل لديك ما تنهيه الى ؟

مارشبانكس : فقط اننى كنت مشغولا باظهار حماقتى هنا في جلسة خاصة بينما كنت انت مشغولا باظهار حماقتك علنا وعلى رؤوس الاشهاد .

موريل : بطريقة مختلفة فيما أحسب .

مارشبانكس : (بحماس وهو ينهض واقفا) . بل بنفس الطريقة . بنفس الطريقة بالضبط . كنت أنا أحاول ان أقوم بدور الرجل الطيب . مثلك تماما . انت حين بدأت حركاتك البطولية بشأن تركى هنا مع كانديدا .

موريل : (بالرغم منه) كانديدا !

مارشبانكس : أجل : لقد تقدمت الى هذه المرحلة . ولكن لا تخف . الحركات البطولية معدية : لقد انتقل المرض منك الى فأقسمت الا تصدر منى في غيابك كلمة كنت استنكف من قولها في حضورك منذ شهر مضى .

موريل : وهل بررت بقسمك ؟

مارشبانكس : (يجلس كالتائر على ظهر المقعد الوثير) بطريقة ما برّ قسمى بنفسه حتى حوالى عشر دقائق مضت . حتى تلك اللحظة كنت اقرأ لها واقراً اشعارى . . وأى أشعار أخرى . . لأتجنب الدخول في حديث . كنت أقف خارج بوابة النعيم وأرفض الدخول . لا يمكنك

ان تتصور مدى البطولة التي اقتضاها ذلك ومدى
التعب الذي ترتب عليه ! ثم . .

موريل : (يتحكم بثبات في اعصابه) ثم . .

مارشبانكس : (ينزلق بحركة خالية من الرواء الشاعرى فيجلس على
المقعد في وضع عادى تماما) ثم اذا بها لاتطبق سماع
المزيد من انشادى .

موريل : واقتربت اخيرا من بوابة النعيم .

مارشبانكس : أجل :

موريل : وبعد ؟ (بشراسة) تحدث يارجل : الا تأخذك بي
رحمة ؟

مارشبانكس : (بصوت واهن موسيقى) ثم استحالت الى ملاك .
وكان هناك سيف مشتعل يعترض كل طريق ليحول
بنى وبين الدخول . فقد رأيت ان تلك البوابة كانت
في الحقيقة بوابة الجحيم .

موريل : (منتصرا) صدتك !

مارشبانكس : (ينهض باحتقار وضرارة) لا أيها الاحمق : لو انها
فعلت ذلك لما اتيح لى ابدا أن اتين اننى كنت فعلا في
النعيم صدتنى ! اتظن ان صدها كان يمكن ان ينقذنا !
ياالترفع الفضلاء ! لعمري انت لاتستحق ان تعيش
معها في عالم واحد . (يتحول عنه في ازدراء الى
طرف الحجرة الآخر) .

موريل : (الذى راقبه بهدوء دون ان يغير مكانه) اتظن انك
ترفع من قدرك باهاتى يا أوجين ؟

مارشبانكس : هنا ينتهى الدرس الاول بعد الالف . موريل : انا فى الواقع لا اكن لوعظك احتراماً كبيراً : واضن انى لو اردت لكنت اطول منك فيه باعاً . الرجل الذى اريد ان القاه هو ذلك الذى تزوجته كانديدا .

موريل : الرجل الذى . . ؟ تعينى ؟

مارشبانكس : لا أعنى القس المحترم جيمس ميفور موريل الداعية الاخلاقى والطبل الاجوف ، بل أعنى الرجل الحقيقى الذى لا بد ان القس المحترم قد أخفاه فى مكان ما داخل سترته السوداء : الرجل الذى احبته كانديدا . انت لا تستطيع ان تجعل امرأة مثل كانديدا تهواك لمجرد انك تشبك أزرار ياقتك من الخلف بدلا من شبكها من الامام .

موريل : (بشجاعة وثبات) عندما قبلت كانديدا ان تقترن بى كنت نفس الداعية الاخلاقى والطبل الاجوف الذى تراه الآن . كنت ارتدى سترتى السوداء وكانت ازرار ياقى تشبك من الخلف لا من الامام . اتظن ان حبها لى كان يزداد لو اننى لم اخلص لمهنتى ؟

مارشبانكس : (على الكنبه يضم رصى قدميه) لقد عفت عنك ، تماما كما عفت عنى لكونى جباناً وضعيفاً وما تسميه انت بالجرى البكاء الصغير وبقية هذه الاوصاف . (حالماً) امرأة مثل هذه المرأة تملك بصيرة كبصيرة الآلهة : انها تحب ارواحنا لا حماقاتنا وغرورنا واوهامنا ، ولا ياقاتنا وستراتنا ، ولا غير ذلك من هذه الحرق والاسمال البالية التى نتدثر بها . (يفكر

في هذا المعنى لحظة ثم يتحول بتصميم الى استجواب موريل (ما اريد ان أعرفه هو كيف تسنى لك اجتياز السيف الملهب الذى قطع على الطريق .

موريل : ربما لأن احدا لم يقاطعنى بعد عشر دقائق .

مارشبانكس : (مأخوذا) ماذا تقول !

موريل : قد يصدق الانسان إلى أعلى القمم ولكنه لا يستطيع ان يلبث فيها طويلا .

مارشبانكس : (يقفز واقفا) هذا باطل : انه يستطيع ان يلبث هناك إلى الابد . هناك وحسب . اللحظات الاخرى هى التى لا يستطيع ان ينعم فيها بالراحة او يشعر بمجد الحياة الصامت . اين تريدنى أن اقضى لحظاتي ان لم يكن على القمم ؟

موريل : في غرفة غسيل الاواني تخرط البصل وتملأ المصابيح .

مارشبانكس : او على المنبر في دحك نفوس رخيصة من الطين .

موريل : أجل . هذا أيضا . من ذلك المكان احرزت لحظتي الذهبية والحق ، في تلك اللحظة ، في ان اسألها حبها . انا لم آخذ تلك اللحظة نسيئة ، ولا استخدمتها في السطو على سعادة رجل آخر .

مارشبانكس : (فيما يشبه الغثيان وهو يعود مسرعا إلى المدفأة)

لا شك عندي انك اتهمت الصفة بنفس الامانة التى كنت تشتري بها رطلا من الجبن . (يقف عند حافة بساط المدفأة ويضيف بتفكر) محدثا نفسه ، وقد أدار ظهره لموريل) أما أنا فما كنت املك الذهاب اليها الا كشحاذ .

موريل : (منتفضا) شحاذ يموت من البرد ! يطلب منها ان تعطيه « شالها » ؟ !

مارشبانكس : (يستدير في استغراب) شكرا لهذا التنقيح لشعري .
نعم ، إذا اردت : كشحاذ يموت من البرد يسألها
أن تتصدق عليه « بشالها . »

موريل : (مستثارا) ولكنها رفضت . اتريد أن اخبرك
لماذا رفضت ؟ سأخبرك مستشهدا بها هي نفسها .
رفضت لأن . . .

مارشبانكس : هي لم ترفض .

موريل : لم ترفض !

مارشبانكس : لقد عرضت على كل ما يحلو لي أن اطلبه : « شالها » ،
جناحيها ، اكليل النجوم الذي يتوج رأسها ،
الزنابق في يدها ، هلال القمر من تحت قدميها . .

موريل : (يقبض عليه) الى بالحقيقة يارجل : زوجتي هي
زوجتي : لا اريد المزيد من تنطعك الشعري . انا
اعرف جيدا انه لن يكون هناك قانون يلزمها لو
انني فقدت حبها وكسبته انت .

مارشبانكس : (بنبرة غريبة ، دون خوف أو مقاومة) اقبض على
من ياقة القميص ياموريل وستصلحه هي لي بعد
ذلك كما فعلت هذا الصباح . (في جذل هادئ)
سأحس بيديها تلمساني .

موريل : أيها الشيطان الحقير : اتدري مدى خطورة قولك
مثل هذا الكلام لي ؟ أم أن (بتوجس مفاجئ)
شيئا ما أمدك بالشجاعة ؟

مارشبانكس : ما أنا الآن بخائف . قبل الآن كنت اشعر حيالك
بنفور وكان هذا هو السبب في انى كنت اجزع إذا
مستسنى . ولكننى رأيت اليوم — حين عذبتك —
انك تحبها ، ومنذ تلك اللحظة اصبحت صديقك :
لك أن ترهق روحى خنقا لو أردت .

موريل : (يخلى سبيله) أوجين : مالم يكن هذا اختلافا صدر
من انسان بلا قلب . . ولو كان قد بقى عندك ذرة
من الشعور الانسانى . . فخبرنى بالذى حدث خلال
فترة غيابى .

مارشبانكس : الذى حدث ؟ السيف الملهب (موريل يدق الأرض
بقدمه من نفاذ الصبر) . . أو — ان شئت أن
أتحدث بالنثر الدارج — كان حبي لها من الروعة
بحيث لم يكن لى مطلب أكثر من السعادة التى يجلبها
مثل ذلك الحب . وقبل أن يتسع لى الوقت للهبوط
من أعالى القمم ، دخلت أنت ، .

موريل : (في عذاب شديد) أى ان الموضوع لا زال معلقا .
ولا تزال تعاسة الشك ماثلة .

مارشبانكس : تعاسة ! أنا أسعد الرجال ، ولا أبغى الآن شيئا
سوى سعادتها . (بعاطفة جياشة) موريل :
لنتنازل عنها كلانا . لماذا نضطرها إلى الاختيار ما
بين آفة شقية تافهة عصبية مثلى ، وقس عنيد
مثلك ؟ لنشد رحالنا انت إلى الشرق وأنا إلى الغرب
بحثا عن حبيب جدير بها : ملاك جميل ذى أجنحة
ارجوانية . .

موريل : يكون كسقط المتاع ! إذا بلغ بها العته أن تتركى
وتختارك من ذا الذى سيحميها ؟ من ذا الذى سيشد
عضدها ؟ من ذا الذى سيعمل من أجلها ؟ من ذا الذى
سيكون أبا لأطفالها ؟ (يجلس مضطجع النفس على
الكنبة ومرفقاه على ركبتيه ورأسه مستند إلى قبضتيه
المضمومتين) .

مارشبانكس : (يقطع اصابعه بعصية) هى لا تسأل هذه الاسئلة
الغبية . انها هى التى تحتاج إلى من تحميه وتشد عضده
وتعمل من أجله إلى من يهبها اطفالا تحميهم وتشد
عضدهم وتعمل من أجلهم . الى شخص رشيد عاد
فاصبح طفلا من جديد . آه أيها الاحمق ، أيها
الاحمق ، أيها الاحمق ثلاثا ! أنا هذا الرجل يا
موريل : أنا هذا الرجل . (يرقص في هياج وهو
يصيح) انت لا تفهم ماهى المرأة . أرسل في طلبها
يا موريل : أرسل في طلبها ودعها تختار بين . .
(يفتح الباب وتدخل كانديدا . يتوقف عن الكلام
كأنما تحجر) .

كانديدا : (مشدوهة على عتبة الباب) أوجين : ما الذى
تريده من هذا الكلام بحق السماء ؟

مارشبانكس : (بنبرة شاذة) جيمس وأنا في مباراة وعظ . وقد
بدأت الدائرة تدور عليه .

(كانديدا تتلفت بسرعة إلى موريل . حين تراه
مهبط الجناح تهرع اليه في حالة شديدة من السخط .)

كانديدا : كنت تضايقه . أنا لن اسمح بهذا يا أوجين :

سامع ؟ (تضع يدها على كتف موريل وتنسى في
سورة غضبها كياستها كزوجة) . فتأى لن يغتم :
سأتولى انا حمايته .

موريل : (ينهض بكبرياء) حمايتى !
كانديدا : (لا تعبأ به : إلى أوجين) ما الذى كنت تقوله ؟
مارشبانكس : (جزعا) لا شيء . أنا . .
كانديدا : أوجين ! لا شيء ؟
مارشبانكس : (في حالة يرثى لها) أعنى . . أنا . . أنا في شدة
الأسف . لن أعود إلى ذلك : لن أعود أبدا .
سأتركه في حاله .

موريل : (يكبر عليه الأمر وبحركة هجومية نحو أوجين)
تركنى في حالى ! انت أيها الصغير . .
كانديدا : (تستوقفه) صه . . لا : دعنى يا جيمس أتولى
أمره .

مارشبانكس : أرجو الا يكون في قلبك غضب على .
كانديدا : (بتجهم) بل انا فعلا غاضبة : غاضبة جدا . ولو
طاوعت نفسى لحملتك والقيت بك خارج البيت .
موريل : (مأخوذا لقوة شكيمة كانديدا دون ان يستمرئ
بحال تصديها لا نقاذه من رجل آخر) رفقا
يا كانديدا ، رفقا . انا استطيع ان أتكفل بأمره .

كانديدا : (تطيب خاطره) اجل يا حبيبى : انت بالطبع
تستطيع . ولكن أحدا لا يجب ان يتغص عليك
ويتسبب في اشقائك .

مارشبانكس : (تكاد تطفر دموعه ، يتخذ سبيله الى الباب) سلام عليكم .

كانديدا : لا حاجة بك الى ذلك : انا لا أريد ان اطرذك في مثل هذه الساعة من الليل . (بقوة) عيب عليك ! عيب !

مارشبانكس : (بنبرة يائسة) ولكن ما الذى فعلته ؟

كانديدا : أنا أعرف ما الذى فعلته . اعرفه كما لو كنت قد بقيت هنا طيلة الوقت لا . هذا شيء لا يليق ما أنت الا طفل . أنت لا تستطيع أن تمسك لسانك .

مارشبانكس : انا مستعد للموت عشر مرات ولا أسبب لك لحظة ألم .

كانديدا : (باحتقار كامل لسذاجته) يا فرحتي بموتك ممن أجلى !

موريل : حبيبتي كانديدا : هذه مشادة غير كريمة . انهبنا مسألة بين رجلين وانا الشخص الذى عليه تسويتها .

كانديدا : رجلان ! هل تسمى هذا رجلا ؟ (الى أوجين) ايها الصبي الشقي !

مارشبانكس : (يستمد من التقريع شجاعة فريدة عطوفا) ما دمت تؤنّبيني كصبي فاني مضطر الى الاعتذار كصبي . هو كان البادئ ، وهو اضخم مني .

كانديدا : (تفقد بعض اطمئنانها وقد بدأت ترزعج بشأن كرامة موريل) لا يمكن ان يكون هذا صحيحا . (الى موريل) انت الذى بدأت هذه المشادة يا جيمس ؟

موريل : (بازدراء) لا .

مارشبانكس : (مستهولا) تنكر ؟

موريل : (الى أوجين) انت الذى بدأتها : هذا الصباح .
(كانديدا تربط على الفور بين هذا وبين اشارته
الخفية بعد الظهر الى شىء قاله له اوجين في الصباح ،
وتنظر اليه في ريبة خاطفة . موريل يستطرد بلهجة
السيادة التى اهينت) ولكن ادعاءك الثانى في محله .
انا بالتأكيد اضحكم الاثنين وكذا ، يا كانديدا ،
اقواهما فيما أرجو . لذا فيحسن ان تدعى الموضوع
بين يدي .

كانديدا : (تلاطفه من جديد) حاضر يا حبيبي . ولكن
(بانشغال) أنا لم أفهم قولك بشأن ما حدث هذا
الصباح .

موريل : (يتعالى عليها برفق) لا داعى لان تفهمى يا حبيبتى .

كانديدا : ولكنى يا جيمس (يقرع جرس باب الشارع) . .
أف ! هاهم جميعا قد حضروا . (تخرج لتفتح لهم)

مارشبانكس : (يعود نحو موريل) ويلنا يا موريل . أليس ذلك
شيئا مخيفا . انها ناقمة علينا : هى تكرهنى . ماذا
عساي أصنع ؟

موريل : (بقنوط غريب ، يذرع منتصف الغرفة جيئة
وذهابا) اوجين : رأسى يدور كدوامة . سأبدأ
الآن في الضحك .

مارشبانكس : (يتبعه في قلق) لا ، ارجوك ستظن انى دفعت بك
الى حالة هستيرية . لا تضحك . (تسمع أصوات
صاخبة وضحك وهى تقترب . لكسى ميل ، وعيناه
تلتمعان ، وهيئته العامة تنبئ عن معنويات عالية

بصورة غير معتادة ، يدخل مع برجيس الذى يبدو
مداهنا ومنسجما ولو انه متمالك لكافة قواه الذهنية.
مس جارنيت تتبعهما وقد ارتدت اشيك قبعة
وجاكتة لديها . ورغم ان عينيها اكثر التماعا من
ذى قبل فمن الواضح ان الوسوس تنتهبها . تقف
بحيث يكون ظهرها الى منضدة الآلة الكاتبة وتتكى
عليها باحدى يديها لتحتفظ بتوازنها وتضع اليد
الاخري بالعرض على جبهتها كما لو كانت تشعر
ببعض التعب والصداع .

مارشبانكس يفرق في استحيائه من جديد وينزوى
بعيدا الى جوار النافذة حيث كتب موريل .

لكسى : (منتشيا) موريل : دعني اهبتك . (يشد على يده)
كان الخطاب الذى القيته علينا خطابا بلغ غاية النبل
والروعة والالهام . لقد تفوقت فيه على نفسك .

برجيس : فعلا يا جيمس . لقد ابقاني مستيقظا حتى آخر
كلمة فيه . أليس كذلك يا مس جورنيت ؟

بروسبرين : (مهمومة) لم اكن ملتفتة اليك . كنت أسجل
مذكراتي . (تخرج كراسة مذكراتها وتنظر الى
الكتابة التى سجلتها عليها بطريقة الاختزال . توشك
على البكاء حين ترى ما فيها) .

موريل : هل كنت أتحدث بسرعة يا بروسى ؟

بروسبرين : بغاية السرعة . انت تعلم ان سرعتي في الاختزال
لا تزيد على تسعين كلمة في الدقيقة .

(تفرج عن كربيها بالقاء كراستها بغضب قـرب
الآلة الكاتبة بحيث تكون جاهزة في الصباح التالي) .

موريل : (مهدئا) لا عليك . لا عليك . لا عليك . هل تناولتم
جميعا عشاءكم ؟

لكسى : مستر برجيس تكرم بدعوتنا الى عشاء فاخر حقا في
مطعم بلجريف .

برجيس : (باسراف في التعبير عن أريحيته) العفو يا مستر ميل
(بتواضع) لقد نعمت بصحبتكم في هذه العشوة
البسيطة .

بروسبرين : شربنا شمبانيا . لم أكن قد ذقتها من قبل . أنا أشعر
بدوار شديد .

موريل : (باستغراب) عشاء بالشمبانيا ! يا للروعة !
بلاغتي هي التي تسببت في كل هذا البذخ ؟

لكسى : (يختار الفاظة) بلاغتك وسخاء مستر برجيس .
(بانفجار جديد لنشوته) يا للرئيس المجلس من
رجل عظيم ياموريل ! لقد صحبنا على العشاء .

موريل : (يخط عبارته بطريقة ذات مغزى وهو يرمق
برجيس) كذا ! رئيس المجلس . فهمت .
(برجيس يسعل سعة اعتراض ليخفي شعورا
عميقا بالرضى عن دهائه الدبلوماسي .)

(لكسى يشبك ذراعيه ويميل تجاه الكنبه في وضع
انسجام بعد أن كاد توازنه أن يختل . كانديدا
تدخل باكواب وليمون وابريق من الماء الساخن على
ضئنيه .)

كانديدا : من يريد ليموناده ؟ انتم تعرفون قواعد سلوكنا :
الامتناع التام عن شرب الخمر . (تضع الصينية على
المائدة وتأخذ اداة عصر الليمون وتجيل فيهم نظرة
تساؤل) .

موريل : لا فائدة يا عزيزتى . لقد شربوا شمبانيا . كلهم .
وحشت بروسبرين بعهداها .

كانديدا : (الى بروسبرين) افهم من ذلك انك شربت
شمبانيا ؟

بروسبرين : (بعناد) فعلا . أنا من الممتنعين عن شرب البيرة .
لا من الممتنعين عن شرب الشمبانيا . أنا لا أحب
البيرة . هل هناك أى خطابات أرد عليها يامستر
موريل ؟

موريل : ليس الليلة .

بروسبرين : حسنا . طاب مساوؤكم جميعا .

لكسى : (بشهامة) الا تفضلين أن اصحبك إلى البيت يامس
جارنيت ؟

بروسبرين : لا . شكرا ، أنا لن اعهد بنفسى الليلة إلى أحد .
بودى لو لم اتعاط ولو قطرة من ذلك الشئ .
(تحدد لنفسها هدفا مشوشا عند الباب . تنطلق صوب
الهدف . لا تفلت من الكارثة الا بصعوبة) .

برجيس : (يحس باهانة) شئ حقا ! تلك الفتاة لا تعرف
ماهى الشمبانيا ! زجاجتها ماركة « بومرى وجرينو »
بائتى عشر شلنا وستة بنسات . لقد جرعت كأسين
دفعة واحدة تقريبا .

موريل : (قلقا بشأنها) اذهب يا لكسى واعتن بها .
لكسى : (منزعجا) كيف يكون الحال لو انها . . هب
انها اخذت تغنى في الشارع أو فعلت شيئا من هذا
القبيل .

موريل : تماما : قد يحدث ذلك . ولذا فمن الافضل أن
تصحبها حتى توصلها إلى بيتها بسلام .

كانديدا : أرجو أن تفعل يالكسى : هكذا المروءة والا فلا .
(تصافحه وتدفعه برفق إلى الباب) .

لكسى : من واجبي كما يتضح أن اذهب . أرجو الا يكون
لذلك مقتضى . طاب مساؤك يامسر موريل (إلى
الباقيين) طاب مساؤكم . (يذهب . كانديدا
توصد الباب) .

برجيس : اما لكسى فكان يذوب ورعا وتقوى بعد حسوتين .
الناس لم تعد تشرب كما تعودت في الماضي . (يمضى
صاخبا إلى المدفأة) وبعد يا جيمس . حلت ساعة
الاغلاق . يامستر مورشبانكس : هل سأسعد
برفقتك شطرا من الطريق إلى بيتك ؟

مارشبانكس : (فزعا) أجل : خير لى أن أنصرف . (يهرع
إلى الباب ولكن كانديدا تسبقه وتقف امامه
معرضة طريقه) .

كانديدا : (آمرة في هدوء) اجلس . أنت لن تمضى بعد .

مارشبانكس : (يتخاذل) لا : أنا . . أنا لم أقصد ذلك . (يجلس
بذلة على الكنبه) .

- كانديدا : مستر مارشبانكس سيبقى معنا الليلة يا أبى .
- برجيس : أتمنى لكم اذن ليلة سعيدة . إلى اللقاء يا جيمس .
(يصافح موريل ويقرب من أوجين) .
اجعلهم يعطونك مصباحا تضعه بجانب فراشك يامستر
مورشبانكس ليكون انيسا لك إذا استيقظت في
الليل بمس من تلك الرعشة التي تشكو منها . طاب
مساوك .
- مارشبانكس : شكرا . سأفعل . طاب مساوك يامستر برجيس .
(يتصافحان . برجيس يمضى إلى الباب)
- كانديدا : (تستوقف موريل الذى يتبع برجيس) ابق هنا
يا عزيزى : سألبس أبى معطفه بنفسى .
(تخرج مع برجيس) .
- مارشبانكس : (ينهض ويسترق الخطى إلى موريل) موريل :
سيحدث الآن مشهد رعب : ألا يداخلك خوف ؟
موريل : اطلاقا .
- مارشبانكس : انا لم أغبطك قط على شجاعتك من قبل . (يضع
يده مناشدا على ساعد موريل) . قف الى جانبي
أرجوك .
- موريل : (يزيحه بعزم) كل منا مسئول عن نفسه يا أوجين .
عليها الآن أن تختار بيننا . (تعود كانديدا .
أوجين يزحف عائدا إلى الكنيسة كتلميذ مذنب .)
- كانديدا : (بينهما ، مخاطبة أوجين) هل أنت آسف ؟
- مارشبانكس : (باخلاص) نعم . محطم القلب .

كانديدا : مادام الأمر كذلك فقد صفحت عنك . اذهب الآن إلى فراشك كما يفعل الصغار النجباء فاني أريد أن اتباحث مع جيمس في شأنك .

مارشبانكس : (ينهض في ذهول شديد) . لا يمكن أن أفعل هذا يا موريل . لا بد أن أبقى هنا . انا لن انصرف . قل لها .

كانديدا : (وقد تأكدت شكوكها) يقول لي ماذا ؟ (عيناه تتجنبانها خفية . تستدير وتنقل السؤال في صمت إلى موريل) .

موريل : (يستجمع قواه للكارثة) ليس عندي ما اقوله لها سوى (صوته يعمق هنا في في نبرة متزنة ورقية حزينة) انها اكبر كنز املكه على الارض . . ان كنت حقيقة املكها .

كانديدا : (بفتور ، وقد آذى شعورها انسياقه لغريزة الخطيب ومعاملته لها كما لو كانت احدي المستمعات في جماعة القديس متى) إذا كان هذا كل ما هناك فأنا على يقين من أن ما يستطيع أوجين ان يقوله ليس أقل من ذلك .

مارشبانكس : (وقد تخلت عنه شجاعته) موريل : انها تضحك منا .

موريل : (بلمسة تأفف) ليس في الامر ما يستوجب الضحك . هل انت تضحكين منا يا كانديدا ؟

كانديدا : (تكتم غضبها) اوجين فتى حاضر البديهة يا جيمس بودى لو اضحك ، لكنني لست على ثقة من انني لن اسخط سخطا شديدا . (تذهب الى المدفأة وتقف

هناك مائلة وذراعها على رف المدفأة وقدمها على
سياجها بينما يتسلل أوجين الى موريل ويجذبه من
كمه .

مارشبانكس : (في همس) كفى يا موريل . فلنمسك عن الكلام .

موريل : (يدفع اوجين بعيدا دون ان يتفضل بالنظر اليه)
ارجو يا كانديدا الا يكون قولك هذا على سبيل
التهديد .

كانديدا : (في تحذير بالغ) حاذر يا جيمس . اوجين : لقد
سأنتك ان تذهب . هل انت ذاهب ؟

موريل : (يتخذ قرارا حازما) لن يذهب . اريد منه أن يبقى .

مارشبانكس : سأذهب . سأفعل اى شئ تريسدن . (يتحول الى
الباب) .

كانديدا : مكانك ! (يطيع) . ألم تسمع جيمس يقول انه
يريدك ان تبقى؟ جيمس هنا هو السيد . ألا تعلم ذلك؟

مارشبانكس : (يصعد الدم الى وجهه بنقمة الشاعر الشاب على
الطغيان) بأى حق هو السيد ؟

كانديدا : (بهدوء) أخبره يا جيمس .

موريل : (يفاجأ) انا يا عزيزتى لا أعلم بوجود حق يجعلنى
سيدا . انا لا ادعى لنفسى مثل هذا الحق .

كانديدا : (بمنتهى العتاب) لا تعلم ؟ آه يا جيمس ، يا جيمس !
(الى اوجين ، مستغرقة في التفكير) ترى هل فهمت
يا اوجين ! (يهز رأسه دون حول ولا قوة ولا يجسر
على النظر اليها) . لا : انت صغير جدا . مع كل

فسأسمح لك بالبقاء . ابق وتعلم . (تبتعد عن المدفأة
وتتخذ لنفسها مكانا بينهما) . والآن يا جيمس ! ماذا
حدث ؟ هلم : خبرني .

مارشبانكس : (يهرس اليه عبر الغرفة بصوت مرتعش) لاتفعل .

كانديدا : هيا . افرغ ما في جعبتك !

موريل : (بأناة) كان قصدي يا كانديدا ان أهيتي ذهنك
بعناية لكي اتفادي اسباب اساءة الفهم .

كانديدا : أجل يا عزيزي : انا واثقة ان هذا كان قصدك .
ولكن لا عليك : لن اسيء الفهم .

موريل : الواقع . . ان . . (يتردد لان الشرح الطويل الذي
كان يفترض انه على طرف لسانه لا يواتيه) .

كانديدا : الواقع ماذا ؟

موريل : (يخرج الكلمات دون ترو ولا زخرقة) أوجين
يقرر انك تحبينه .

مارشبانكس : (كالمسحور) لا ، لا ، لا ، لا . ابدا . انا لم اقل
ذلك يا مسر موريل : هذا افتراء . قلت اني احبك .
قلت اني افهمك وانه هو يعجز عن هذا الفهم .
ولم يكن كلامي بعدما حصل هناك امام المدفأة :
اقسم لك بشرفي على ذلك : بل قلت ما قلته هذا
الصباح .

كانديدا : (تستبين ما كان غامضا) هذا الصباح ؟

مارشبانكس : أجل (ينظر اليها ، مهيبا بها ان تصدقه ثم يضيف
ببساطة) ومن هنا كانت يا قتي بالحالة التي كانت عليها .

كانديدا : ياقتك ؟ (ينفذ اليها فجأة معنى كلامه فتستدير الى موريل باستنكار) . جيمس ! هل : (تتوقف) ؟

موريل : (في خجل) انت تعرفين يا كانديدا ان في حدة في الطبع لا بد ان اغالبها . وقد قال لي (يرتجف) انك تحتقريني في قلبك .

كانديدا : (تلتفت بسرعة الى أوجين) هل صدر منك هذا القول ؟

مارشبانكس : (مرتعد الفرائض) لا .

كانديدا : (فيما يشبه الوحشية) اذن فقد كذب على جيمس . هل هذا ما تعنيه ؟

مارشبانكس : لا ، لا : انا . . انا . . (يائسا) كنت اتحدث عن زوجة داود . ولم يكن ذلك في بيتهما ، وانما حين رآته يرقص امام جمهور الشعب .

موريل : (يلتقط طرف العبارة بمهارة المجادل) يرقص امام جمهور الشعب يا كانديدا . ويظن انه كان يحرك قلوبهم برسالة ، علما بان ما كانوا يحسون به لم يكن يتجاوز . . شكوى بروسي .

(تهم بالاعتراض فيرفع يده ليسكتها) . لا تحاولي الظهور بمظهر المستهجن يا كانديدا . .

كانديدا : أحاول !

موريل : (مستمرا) اوجين كان على حق . وكما اخبرتني بعدها بساعات قليلة فان أوجين دائما على حق .

وهو لم يقل شيئاً لم تقوله انت بعبارة ابلغ . هـ —
شاعر يرى ببصيرته كل شيء . أما انا فقس مسكين
لا يعي شيئاً .

كانديدا : (نادمة) هل تكرث لما قاله غلام أحمق لاني قلت
شيئاً مثله وانا أمزح ؟

موريل : ذلك الغلام الاحمق يستطيع ان يتحدث بالهام طفل
وبدهاء ثعبان . لقد ادعى انك ملكه ولست ملكي ،
وسواء كنت مخطئاً في ذلك ام مصيباً فالذي حدث
انني اصبحت اخشى ان يكون ذلك صحيحاً . انا
لا أريد ان ابقى معذباً بالهواجس والشكوك . ولن
أحيا معك وبين جوائحي وساوس اخفيها عنك . انا
لن اصبر على ما تولده الغيرة من حيط ذميم لقد
الانسان . لقد اتفقنا — هو وأنا — على ان تختارى —
أحدنا الآن . وانا في انتظار قرارك .

كانديدا : (تراجع خطوة في بطاء ، وقد مست خطابته قلبها
بالرغم من صدق الشعور الذي تستند اليه) كذا !
على اذن أن اختار . أليس كذلك ؟ لعل من المفروغ
منه انني لا بد ان اكون ملكاً لاحد كما او للآخر .

موريل : (بحزم) تماماً . لا بد أن تختارى وان يكون اختيارك
نهائياً .

مارشبانكس : (متلهفا) موريل : انت لا تفهم . هي تعني انها
ملك لنفسها .

كانديدا : (تستدير اليه) اعني ذلك واكثر من ذلك بكثير
يا سيد اوجين كما ستكتشفان كلاهما بعد لحظة .

على اننى اريد ان اسألكما ، يا صاحبي السيادة
والعظمة : عما ستبدلان من أجلى ؟ أنا ، فيما يبدو
معروضة في المزاد . بكم تزايد يا جيمس ؟

موريل : (مؤنبا) كاند . . (ينهار : عيناه وحلقه ترتع
بالدموع ويتحول الخطيب الى حيوان جريش) .
فقدت القدرة على الكلام . .

كانديدا : (تذهب اليه بحركة تلقائية) يا أعز الناس . .

مارشبانكس : (في انزعاج وحشى) قفى : هذا ليس انصافا .
لا ينبغي ان تقع عليك عينها يا موريل وانت تتعذب .
انا ايضا اقاى اشد العذاب ، ومع هذا لا أبكى .

موريل : (يستجمع كل قواه) أجل : معك حق . ليست
الشفقة ما ازايده (يخلص نفسه من ذراعى كانديدا)

كانديدا : (متقهقرة ، وبرودة تسرى في جسمها) معذرة
يا جيمس : انا لم أعن أن أمسك . انا في انتظار
سماع مزايديتك .

موريل : (في اتضاع أبى) ليس لدى ما اعرضه عليك سوى
قوتى لحمايتك وامانتى لأمنك وقدرتى وجهدى
لأعالتك ومركزى لعزتك . هذا هر كل ما يجدر
بالرجل ان يقدمه الى المرأة .

كانديدا : (بهدوء تام) وانت يا أوجين ، ماذا تقدم ؟

مارشبانكس : ضعنى ووحشى وحاجة قلبى .

كانديدا : (معجبة) هذا عرض طيب يا أوجين . عرفت
الآن كيف أختار .

(تكف عن الكلام وتنقل نظرتها المستطلعة من أحدهما الى الآخر كما لو كانت تزنيهما. موريل الذي تحول اطمئنانه الشامخ الى هلع يتفطر له القلب من عرض أوجين ، يفقد كل قدرة على اخفاء توجسه . اما أوجين ، الذي أرهفت اعصابه الى اقصى درجات التوتر ، فلا تتحرك عضلة من عضلاته)

موريل : (في صوت مبحوح ونداء ينفجر من اعماق كربه)
كانديدا !

مارشبانكس : (جانبا في وضعة احتقار) جبان !

كانديدا : (بنبرة ذات دلالة) سأمنح نفسي لاضعفكما .

(اوجين يحدس ما تعنيه على الفور فيصفر وجهه كالصلب في الأتون) .

موريل : (يحني رأسه في سكون الانهيار) قبلت قرارك يا كانديدا .

كانديدا : فهمت يا أوجين ؟

مارشبانكس : ويلي ! صنعت انا . لن يطيق الحمل .

موريل : (غير مصدق ، يرفع رأسه وصوته بفجائية مضحكة)
هل تعينني يا كانديدا ؟

كانديدا : (بابتسامة قصيرة) لنجلس ونتحدث في الموضوع على

راحتنا كثلاثة اصدقاء . (إلى موريل) اجلس ،

يا عزيزي . (موريل . في حالة من لا يعرف رأسه

من رجليه ، يأخذ كرسيًا من جوار المدفأة : كرسي

الاطفال) . اعطني ذلك المقعد يا أوجين . (تشير الى

المقعد الوثير . يتناوله في صمت بل وبما يشبه القوة
 الوثيدة . ويضعه الى جانب موريل ، الى الورا
 قلا . تجلس عليه . اما هو فيأخذ كرسي
 الضيف ويجلس عليه دون ان تم تقاطيع وجهه عن
 شىء . حين يتخذ الجميع اماكنهم تبدأ الحديث فيخيم
 عليهما لدى سماع نبرتها الهادئة السليمة الحنون سكون
 كأنه السحر . انت يا أوجين تذكر ما كاشفتني عن
 نفسك : ان احدا لم يعن بأمرك منذ توفيت مربيك
 العجوز : وكيف ان شقيقاتك الانثقات واشقاءك
 الناجحين كانوا موضع تدليل امك وأبيك : وكم
 كنت تعيسا في كلية « ايتون » : وكيف ان اباك
 يحاول بتجويحك ان يرغمك على العودة الى جامعة
 او كسفورد : وكيف انك اضطررت الى العيش دون
 راحة ولا حفاوة ولا ملجأ : دائما وحيد ، دائما
 — تقريبا — محروم من الحنان الحنان معرض لسوء
 الفهم ايها الفتى المسكين .

نارشبانكس : (وفيا لمصيره النبيل) كان عندي كتي . والطبيعة .
 وأخيرا التقيت بك .

كانديدا : دعنا الآن من ذلك ، فاني اريد منك ان تنظر الى هذا
 الفتى الآخر : فتاي ! المدلل منذ المهد ! نحن نذهب
 مرتين في الشهر لزيارة أسرته . لا بد أن تأتي معنا يا
 أوجين لترى صور البطل . بطل ذلك البيت . جيمس
 عندما كان طفلا ! أجمل الأطفال طرا . جيمس
 ممسكا بجائزته المدرسية الاولى ، التي فاز بها في سن

النضج ، سن الثامنة ! جيمس كابتن فريق كرة القدم !
جيمس وهو يرتدى اول سترة « فراك » ! جيمس
في كل المناسبات المشرفة ! أنت تعلم كم هو قوى ،
ارجو الا يكون قد آذاك . وكم هو بارع وكم هو
سعيد . (بصرامة تزداد عمقا) سل أم جيمس
واخواته الثلاث عما تحملنه ليوفرن عليه كل عناء
سوى أن يكون قويا وبارعا وسعيدا . سلى انا عما
تحملته لاكون امه واخواته الثلاث وزوجته وام
اولاده في نفس الوقت . سل بروسى وماريا عما نجد
في شغل البيت من مشقة حتى اذا لم يكن عندنا ضيوف
يساعدوننا في تخريط البصل . سل الباعة الذين يريدون
ان يزعموا جيمس وينسبوا مواعظه الجميلة من
الذى يكفهم عنه . حين يكون هناك مال يعطى فهو
الذى يعطيه . وحين يكون هناك مال يرفض ، فانى
انا التى ترفضه .

انا ابني قلعة من الراحة والسماح والحب من أجله
واقف دائما كالحارس لا طرد عنه هم المشاغل اليومية
التافهة . لقد جعلته سيدا هنا ، رغم انه لا يعرف
ذلك وقد اعياه منذ لحظة ان يشرح لك كيف حدث
هذا . (بسخرية عذبة) وحين توهم انى قد أفر
معك . كان كل ما يقلقه هو . . ما الذى سيصير اليه
أمرى ! ولكى يغربنى بالبقاء عرض على (تميل الى
الامام لتمس على شعره بلطف مع كل جملة) قوته
لحمائى ! وجهده لاعالى ! وعزته لمر كزى ! و . .
(ترق) آه . لقد خلطت ايقاعاتك الجميلة وافسدتها ،

أليس كذلك يا حبيبي ؟ (تضع خدها باعزاز على
خده) .

موريل : (يركع . مقهورا على أمره . بجوار كرسيها ويقبلها
ببراءة كبراءة الاطفال) كل ماقلته حق . كل كلمة
فيه . كل ما في صانعته . بعمل يدك ومحبة فؤادك .
انت زوجتي وامي واخواتي : أنت خلاصة ما أحظى
به من محبة وعناية .

كانديدا : (بين ذراعيه . تبسم لزوجين) هل انا لك أم
واخوات يا اوجين ؟

مارشبانكس : (ينهض بإشارة تقزز شرسة) لا . هيهات . ها أنذا
خارج اليك ياظلام الليل !

كانديدا : (تنهض مسرعة) أيعقل ان تخرج هكذا ياأوجين؟

مارشبانكس : (وكلماته ترن بصوت رجل تجاوز مرحلة الطفولة)
انا اعرف الساعة حين تدق . وانا اتعجل الوقت
لافعل ما ليس من فعله بد .

موريل : (الذي نهض بدوره) كانديدا : لاتدعيه يقدم على
عمل طائش .

كانديدا : (مطمئنة وهي تبسم لزوجين) لاخوف من ذلك .
لقد تعلم ان يعيش بلا سعادة .

مارشبانكس : انا لم أعد انشد السعادة : الحياة أنبل من هذا . أيها
القس جيمس : هاهي سعادتي اقدمها اليك بكلتا
يدي : أنا احبك لانك ملأت قلب المرأة التي احببتها.
وداعا . (يمضي تجاه الباب) .

كانديدا : كلمة واحدة أخيرة . (يقف ولكن دون ان يستدير

اليها . تسعى اليه) كم تبلغ من العمر يا أوجين ؟

مارشبانكس : انا الآن من عمر هذا العالم . وقد كنت هذا الصباح في الثامنة عشرة .

كانديدا : الثامنة عشر ! هل لي ان أسألك ، من أجل خاطري ،

ان تؤلف مقطوعة شعرية قصيرة من جملتين سأقولهما لك ؟ وهل تعدنى بان ترددهما لنفسك كلما مررت بخاطرك .

مارشبانكس : (دون ان يتحرك) قولى الجملتين .

كانديدا : حين اكون في الثلاثين . ستكون هي في الخامسة

والاربعين . وحين اكون في الستين ، ستكون هي في الخامسة والسبعين .

مارشبانكس : (يتحول اليها) بعد مائة سنة سيكون عمرنا واحدا .

ولكن فؤادى ينطوى على سر أفضل من هذا . والآن دعينى أذهب ، فقد عيل صبر الليل في الخارج .

كانديدا : وداعا . (تأخذ وجهه بين يديها ، وعندما يتحدث

نيتها ويقع على ركبتيه ، تقبل جبينه . يطير خارجا الى ظلام الليل . تتحول الى موريل وتمد ذراعيها اليه) آه يا جيمس !

يتعانقان ، ولكنهما يجهلان السر الذى تضعه جوانح الشاعر .

النهاية .

مقدمة بقلم المترجم

لمسيرة "رجل المقادير"

لم يخصص برناردشو في مقدمة مجموعة « مسرحيات سارة » لمسرحية رجل المقادير - التي قدمت لأول مرة عام ١٨٩٦ أى بعد مرور قرن بالضبط من الزمان على حملة إيطاليا التي بدأت بها فتوحات نابليون - غير فقرة مقتضبة قال فيها انها « مشهد » لم يقصد منه غير اظهار براعة شخصيته الاساسيتين في التمثيل . والواقع أن رجل المقادير اكبر من هذا بكثير ، فبرناردشو يعالج فيها موضوعا من الموضوعات الرئيسية في تفكيره لانه يتعلق بداء عانت منه الانسانية في كافة عصورها وبلات كثيرة ، هو داء الحرب . واختار شو نابليون بونابرت بالذات بطلا لهذه المسرحية ، باعتباره اكبر فاتح في العصر الحديث .

ان شو يكره الحرب للخراب الذي تحدثه والارواح التي تزهقها وللآلام البشرية التي تجرّها في ركابها ، وهو كذلك يكره الغزاة والفاطحين ، ويكره المجد الحربي ، ويكره أداة الحرب وهي الجيوش ، ويكره العقلية العسكرية والروح العسكرية . وهو يرى ، بالإضافة الى فظائع الحروب التي لا حصر لها ، ان العسكرية تقضي على الكرامة الانسانية ، وعلى الصفات الانسانية العليا لان منطقها يخضع الرتبة الدنيا للرتبة العليا خضوعا يجعل الانسان يتخلى عن أنبل واشرف ما فيه وهو حرته لانسان مثله أو أقل منه حيث المناقب والصفات الذاتية . وقد تناول شو هذا الموضوع في مسرحية السلاح والانسان وهو يعود اليه في مسرحية رجل المقادير ليعالجه من زاوية جديدة وان كان هدفه من المسرحيتين واحد هو تحطيم المثل الاعلى العسكري لصالح المثل الاعلى الانساني .

على ان هناك زاوية ثالثة في موضوع الحرب لم يغفل عنها برناردشو هي زاوية الحرب او المقاومة التي يشنها اهل بلد ما في وجه عدو محتل أى ما يعرف بالحرب الدفاعية . فثلا يتصور أحد انه من دعاة الانهزامية او الاستسلام في مواجهة الفاصب حرص شو ، في مسرحيات مثل مسرحية القديسة جان دارك التي استمدعا أيضا من تاريخ فرنسا ، على أن يؤيد مثل هذه الحرب وهو يرى بصفة عامة ان مثل بطولة جان دارك هي البطولة التي لا تعادلها بطولة .

وقد بدأ شو مسرحية رجل المقادير نبذة قصيرة عن مؤهلات نابليون وعن صفاته وماضيه العسكري وعن حالة الجيش الفرنسي الذي كان يحارب به في إيطاليا . ووردت في هذه النبذة وفي المسرحية ذاتها اشارات تحتاج الى توضيح لان لها اساسا تاريخيا لا يستقيم بدونه فهم المسرحية فهما سليما ، ولذا فسنبدا هذه المقدمة بكلمة عن كل منها :

— شو يقول مثلا : ان القصف بالمدافع هو الفن الذي تخصص فيه نابليون ، ويقول : ان اكثر الفضل في ترقيته الى رتبة الجنرال يرجع الى يقينه في فعالية اطلاق المدافع على الناس . كذلك فان نابليون يقول في المسرحية وهو يحدث السيدة عن الخوف : انه انتقم لعاره بان امطر الرعاع بوابل من قذائف مدفعيته . وشو في ذلك ليس بعيدا عن الحقيقة ، فقد كان نابليون متخصصا فعلا في المدفعية كما ان من الثابت تاريخيا ان هذا التخصص كان من العوامل المهمة التي وصلت به الى رتبة الجنرال ، فقد اهلنت فرنسا الحرب على النمسا بعد ثلاثة اعوام من قيام الثورة الفرنسية اى في عام ١٧٩٢ (وكانت الملكة ماري انطوانيت ، التي اعدمتهما الثورة هي وزوجها الملك لويس السادس عشر ، نمسوية الاصل ، وكان اكثر ضباط الجيش من أبناء الطبقة الارستقراطية وقد غادروا فرنسا بعد سقوط الملكية ، واصبحت البلاد ، التي تحدث نصف أوروبا ، تواجه الحرب في الداخل وفي الخارج . وتصادف في حالة البليلة والفوضى الشاملة التي كانت تعيشها البلاد أن أعلن أهالي ميناء طولون الواقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط العصيان على الحكم الجمهوري وطلبوا تدخل الاسطول البريطاني لمساندتهم . وكان الأمر محتاجا الى ضابط مدفعية لمواجهة الموقف ووقع الاختيار على الضابط الشاب ، الكورسيكي الاصل ، نابليون برنابرت . وتمكن نابليون بفضل مدفعيته من القضاء على حركة العصيان وكسب من ذلك شهرة كبيرة . كذلك قامت في باريس عام ١٧٩٥ حركة عصيان أخرى يتزعمها الملكيون واستطاع نابليون ان يخمد هذا العصيان بالمدفعية في خلال يوم واحد وأُنقذ الجمهورية للمرة الثانية وحصل على رتبة الجنرال ، وهذه — على الأرجح — هي الواقعة التي المح إليها نابليون في حديثه مع السيدة .

— وفي المسرحية حديث عن « باراس » . وباراس شخصية سياسية لعبت دورا مهما في أحداث الثورة الفرنسية ، وكان من أعضاء المجلس النيابي الذي حكم على لويس السادس عشر بالاعدام ، واصبح احد المديرين الخمسة الذين كانت تتكون منهم حكومة الديركتوار التي تولت مقاليد فرنسا في ١٧٩٥ والتي حلها نابليون في ١٧٩٩ ، وكان فاسقا لا ينكص عن شيء اذا دفع له الثمن . وكان باراس ، باعتباره من رجال الثورة البارزين ، حاضرا في طولون خلال حركة العصيان الاولى وشاهد بلاء نابليون في اخمادها . وحين قامت حركة العصيان في باريس عام ١٧٩٥ عين باراس قائدا لحامية باريس وكان هو الذي طلب من الحكومة تعيين نابليون مساعدا له والذي اتاح له من ثم فرصة الظهور .

– وقال شو في وصف نابليون انه « اتقن فنونا عسكرية شتى مثل فن التهرب من الواجب » . وهو يشير بذلك الى ما حدث من نابليون بعد أن بزغ اسمه في عصيان طولون . فقد اسندت اليه قيادة المدفعية في الجيش الفرنسي الذي خرج لغزو ايطاليا (في حملة سابقة على الحملة التي تحدثنا عنها المسرحية) ولكنه رفض اطاعة بعض الاوامر فصدر قرار بايقافه . وكان حين استدعى لاحمد عصيان ١٧٥٩ يعاني فقرا مدقعا اضطره الى بيع ساعته وكتبه .

– وأخيرا يقول شو ان بعض الفضل في ترقية نابليون الى رتبة الجنرال يرجع الى انه استخدم زوجه في اغراء اعضاء الديركتوار ، والمقصود هو زوجته الاولى « جوزفين » . وكانت هذه السيدة أرملة لاحد النبلاء الذين أصدرت عليهم الثورة حكم الاعدام وتقلته فيهم ، وهي من أصل مارينيكي ، وكانت على صلة بعديد من الشخصيات البارزة في صالونات باريس . وقد رأت هذه السيدة ، التي اصبحت بعد اعدام زوجها بلا هائل ولا موارد ، ان الناس تتوقع لنابليون بعد ان ذاع صيته للمرة الثانية عام ١٧٩٥ مستقبلا زاهرا كما بهره هو نجاحها في الاوساط الراقية فتزوجا ، وبعدها بأقل من شهر اسندت الى نابليون قيادة حملة ايطاليا التي اختارها شو مسرحا لأحداث المسرحية . وفي الحديث الذي دار في المسرحية بين نابليون وبين السيدة قالت هذه الاخيرة ردا على سؤال نابليون عن صاحبة الخطاب : انها مخلوقة مغرورة غبية متبرجة كذبت على زوجها فيما يتعلق بسنها وبدخلها وبمركزها الاجتماعي ، وانما عاجزة عن الوفاء لبدأ من المبادئ او لشخص من الاشخاص . وهذه كلها صفات عرفت بها جوزفين في التاريخ ، كما انها ، سواء قبل زواجها من نابليون او بعده ، لم تكن معروفة بالاستقامة . وكان نابليون فيما يقول الرواة ، يحبها حبا جما ، الا انها هي لم تكن تبادله هذا الحب . وكان يكتب لها خلال حملة ايطاليا خطابات ملتهبة كان أكثرها يظل بلا رد . وقد ألحت أسرة نابليون عليه كثيرا في أن يترك جوزفين لسوء سلوكها ولكنه كان يصر على التمسك بها . واذا كان نابليون قد جعل الكنيسة – بعد أن أصبح امبراطورا – تلغى زواجه بها ، فقد كان السبب الاساسي ، او الرسمي ، في ذلك هو كونها لم تنجب له ولدا . وفي المسرحية قالت السيدة وهي تخاطب نابليون : ان زوج كاتبة الخطاب « رجل على قسدر كبير من الكفاءة والطموح » وانه يعرف زوجته ظهرا لبطن ومع ذلك فهو لا يستطيع ان يمنع نفسه من حبها . وكل هذا يطابق وصف نابليون ووصف علاقته بزوجه مما يقطع في الدلالة ، مع شواهد أخرى في المسرحية، بأن السيدة – ولو انها لم تذكر اسماء – انما كانت تعني جوزفين ونابليون . وقد اضافت السيدة الى ما تقدم ان زوج صاحبة الخطاب « لا يستطيع ان يمنع طبيعة الرجل فيه من استخدامها – اي من استخدام زوجته – للترف الى باراس » ، والمعروف ان باراس كان ممن توسطوا في زواج نابليون من جوزفين . وتقول بعض كتب التاريخ – ودائرة المعارف البريطانية – ان جوزفين كانت احدي خليات باراس .

لقد بنى شو المسرحية حول خطاب غرامى كتبته جوزفين الى باراس وقع فى يد أحد الحاقدين فبعث به ضمن ريد نابليون تكاية فى طرفى العلاقة . وغنى عن البيان ان قصة هذا الخطاب قصة ألفها شو من نسج خياله ولو انه ، من باب المداعبة للقارىء ، تحدث عنها فى أكثر من موضع فى المسرحية كما لو كانت قصة تاريخية واقعية .

ولأن برناردشو لا يعترف بالعظمة الحربية ولا يحترمها ، ولأنه يريد منا أن نشاركه فى ذلك ، فقد جعل دأبه فى هذه المسرحية السخرية من نابليون ومن كل ما هو عسكرى وحربى . من ذلك قوله عن نابليون : انه كان يغالط فى مصاريف السفر وانه لاحظ لأول مرة منذ اختراع البارود ان قذيفة المدفع اذا اصاب انسانا اردته قتيلا وسمى هذا اكتشافا خطيرا ، وان الجيش الفرنسى غزا ايطاليا سلبا ونهبها كما غزا الجراد جزيرة قبرص ، وان كل ما كان يطمع فيه الجندى الفرنسى هو ان يحمل فى مخلاته نصف دسنة من شوك المائدة الفضية كغنيمة ، وانه لولا تكران الجميل المعروف عن الايطاليين لشعروا بالامتنان للقوات الفرنسية التى تنهبهم وتسطو على ممتلكاتهم ، وان الاكل من جميع الاطباق فى نفس الوقت كان بداية أقول نجم نابليون . كذلك صور لنا نابليون وشعره ينغمس فى طبق اليخني ، وجعله يطلب من جوزيبي ان يقتل زوجته ويأتيه بدمها ليستخدمه كمداد أحمر ، ويقول له ان المرء لا يجد أى ارضاء فى قتل انسان لا يمانع فى ذلك . وجعلنا شو نضحك كذلك على الحارس بشاربه المستعار وعلى الملازم بسداجته وقحته مع رئيسه . وعلى الجيش النمساوى الذى عجز رغم ما فيه من ضبط وربط ومن نظام عسكرى عن الصمود أمام جيش من الرعاع .

وبعد أن مهد شو لهجومه على نابليون بهذه السخرية اللاذعة رتب شخصيات المسرحية واحداثها بحيث يكشف كل منها عن جانب او أكثر من جوانب شخصيته ليتضح فى نهاية الامر انه انسان عادى وأن عظمتة ظاهرة وانه يكفى قليل من التمحيص لاثبات مدى ما تنطوى عليه شخصيته من شر وانها شخصية يعورها كثير من التهافت والعيوب .

نابليون متلا يقول لجوزيبي ان النبيل ائمن من الدم ، لان الدم لا يكلف شيئا أما النبيل فيكلف تقودا . وهو لا يفضب حين يطلعه جوزيبي على رأى الناس فيه وهو انه حريص فى كل شيء الا فيما يتعلق بحياة الانسان . وهو يسر حين يتنبأ له جوزيبي بانه سيصبح امبراطورا على أوروبا ، ويطلب المزيد . وهو فى موضع آخر يحدث جوزيبي عن شيطانه المفترس حديثا بليغا . على انه يحرص فى الموضوع على اخفاء تطلعاته ، فيطلب من جوزيبي ، فى تواضع مصطنع بعد أن سمع منه كل ما كان يتمنى سماعه ، الا يتحدث عن نفسه ، ثم هو لا يعترف بان شيطانه المفترس اسمه الطموح ، بل يحاول أن يظهر بمظهر الضحية فيقول فى المناسبة الاولى أن الفاتح «يحكم لكل ويحارب لكل ويكون خادما لكل تحت ستار كونه سيدا لكل» ويقول فى المناسبة الثانية كلاما مشابها عن الشيطان الذى « يطلعك على كل ممالك الارض

ويعرض عليك ان يجعلك سيدا عليها بشرط ان تصبح خادما لها « . الطموح اذن والدموية والاستهانة بأرواح الادميين والنفاق هي المعاني التي نخرج بها من حديث نابليون مع جوزيبي .

أما الملازم فهو يقوم في هذه المسرحية بدورين هامين ، أولهما هو التشكيك في عبقرية نابليون العسكرية ، وثانيهما هو السماح لنا بعقد مقارنة بينه وبين نابليون . ومهما يكن من بلاهة هذا الضابط فقد قذف في وجه نابليون بحقيقة كالقنبلة حين وضع ان الفضل في هزيمة النمساويين وفي كسب معركة لودي لم يكن لعبقرية نابليون العسكرية وانما لسلح الفرسان الذي عبر النهر وجعل الجيش النمساوي يدير له جناحه ، وانه ، اي نابليون ، لم يجزء على اصدار الامر بهاجمة القنطرة الا بعد ان رأى الفرسان في الضفة الاخرى من النهر . ونحن اذا جردنا نابليون من رتبة الجنرال التي علمنا ظروف حصوله عليها ، وجردناه من صفة النبوغ العسكري بعد أن أخطأنا بالملابس التي أدت بالجيش الفرنسي الى كسب معركة « لودي » ، فما الذي يبقى منه؟ يتبقى الرجل والانسان . فاذا قارنا بينه وبين رجل وانسان آخر هو الملازم وكان معيار هذه المقارنة هو معيار الرجولة ومعيار القيم الانسانية العليا ، لرجحت الكفة في صالح الملازم بفرق كبير . ومما يشهد رجولة الملازم ، رغم الجناية العسكرية الخطيرة التي ارتكبها ، لهجته في مخاطبة نابليون التي وصلت الى حد التجريح حين قال له ان الجنترلمان لا يفهمه الا جنترلمان ، وشجاعته أمام احتمال احواله الى المحاكمة العسكرية . واذا كان ما حكاه الاسير عن أخته الساحرة وما رآه بعينه من صنيعها قد افزعه لحظة فهو خوف غريزي يحسه أي انسان - وقد أحس به جوزيبي ايضا امام الظواهر الخارقة ، ومهما يكن من أمر فان هذه اللحظة لم تدم طويلا ، وما كاد جوزيبي يناشد نخوته حتى تغلب على خوفه واقتحم ما كان يعتقد أنه الخطر . يقابل هذا أن نابليون تصرف ازاءه مرتين تصرفا لا يتفق وكرامة الرجولة : ففي المرة الاولى هدده بعزله من رتبته العسكرية ان هو لم يعثر على الرسائل ، لجرد الانتقام من السيدة التي أعربت له عن رأيها فيه بصراحة ، وفي المرة الثانية انفجر فيه مهددا باعدامه لانه نازع في بطولته في معركة لودي . وفيما يتعلق بالقيم الانسانية فان خطر الملازم منها اكبر بكثير من خطر قائده ، فعلى حين يدوس نابليون على أحداث الالوف وعشرات الالوف لتحقيق اغراضه نجد أن الملازم يقرر الصداقة ويرتكب على مذبحها مخالفة خطيرة في حق واجبه العسكري ويتألم لان الجانب الضعيف اي الانساني ، في طبيعته قد أسوء استغلاله ، اضعاف ألمه للمخالفة في ذاتها او لعواقبها الوخيمة التي تنتظره . وهو حين يهدده قائده بالعزل لا يهتم بالجزاء الذي سيوقع عليه رغم انه أفلح جزاء يوقع على ضابط (والعزل معناه تجريد الضابط من رتبته العسكرية وتخفيضه الى أسفل السلك العسكري) ولكن يهتم بالعار الذي سيلحق آلايه من من هذا العزل امام الالايات الاخرى . وهو بعد هذا لا يحمل ضغينة لقائده بل يقول له ، رغم كل شيء ، وكأنه يعزّيه ، « سنهزم النمساويين لاجل خاطرك ، بالرسل او من دونها » . وهو ، مع انه كان

يحمل للشخص الذى خان ثقته حقدا شمل تفكيره كله ووصل به الى حد الرغبة فى الانتقام بالقتل ، لم يكذب يسمع مناشدة السيدة بشأن أخيها المزعوم حتى لان وخفض جناحه . كذلك فقد نسي كل غضبه وثورته مجرد أن وعدته السيدة بوضع أخيها وفرسه تحت تصرفه . وأخيرا فان فى طبع الملازم من التواضع والامانة بقدر ما فى طبع نابليون من الغرور والمغالطة . لقد كان فى وسع الملازم ان يدعي انه هو الذى اكتشف المكان الذى أمكن منه عبور النهر ، ولكنه لم يرض ان يعزو لنفسه الفضل اغتصابا فقال ان الذى اكتشفه هو فرسه وان فرسه هو قاهر النمسيين اما نابليون فهو يجب أن يحمد بما لا يفعل ، وهو يتصيد الثناء بالحق وبالباطل ، ويتفاخر بنفسه فى مثل قوله وجعجعت انه انسان « كرمه نحو المهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته فى وجه العدو قبلها » وهو قول يكذبه الواقع الملموس . وحصيلة هذا كله ان انتصار نابليون فى معركة لودى كان لظروف خارجة عن ارادته وانه اقل رجولة واقل انسانية واقل شهامة واقل تواضعا من ضابط بسيط فى جيشه لا يتمتع بمثل ذكائه ولا بمثل طموحه ، ولا يحلق مثله فى اجواز الفضاء العالية .

وتجيء السيدة بعد ذلك فتزيح القناع تماما عن وجه نابليون بحيث تتضح بصورة أعمق وأشمل العيوب التى ظهرت فى مواقفه المختلفة مع جوزيبي ومع الملازم ، وتبرز فى شخصيته عيوب ونقاط ضعف أخرى كثيرة . وأول هذه العيوب هو الزيف . ان نابليون يقول للسيدة - وهي أقوال أثرت عنه فعلا او سجلت فى مذكراته - انه ليس الا خادما لجمهورية فرنسا وانه يكسب المعارك من أجل بلده ومن أجل الإنسانية . ويقول اننا لا ينبغي أن نعيش لانفسنا وحسب ، واننا يجب أن نفكر فى غير آناء الليل واطراف النهار وأن نعمل من أجل الآخرين ونقودهم ونحكمهم لمصلحتهم هم وان التضحية بالذات هي أساس كل خلق كريم . ولكن هذه كلها الفاظ يغطى بها حقيقته التى واجهته بها السيدة فى عبارات مدوية لم تحاول ان تلتطف من وقعها . لقد قالت له السيدة ان طبيعته هي طبيعة المغامر الكورسيكي الوضيعة السافلة ، وقالت انه يضحي بالآلاف الارواح من أجل انتصاراته واطماعه ومقاديره ، وان الرجال والنساء عنده ليسوا الا ادوات يستخدمها لاغراضه حتى اذا كان فى ذلك تحطيمهم ، وانه اردن يكسب معركة لودى لنفسه لا لاي شخص آخر ، وقالت انه حقير وأنانى ، وأنه عديم الخوف والحياء . ولم يغضب نابليون - او لم يغضب كثيرا - من هذه النعوت التى تحطم ادعاءاته من اساسها ، لأنه كان يعرف ان الحق ما تقوله السيدة . وهو اذا كان قد حاول ان يعدل من مواقفه التى انزلق بها لسانه على بعض هذا الكلام ، فقد كانت الحقيقة تفلت منه دون وهي فى مناسبات أخرى . فعندما قالت له السيدة ان شجاعته ما هي الا عبودية وانها لا تجديها شيئا لاغراضها الخاصة ، وانها هي لا تقدم على ما يفرعها الا بدافع من الحب او بدافع من الشفقة او من الحرص على انقاذ شخص آخر وحمايته صدرت منه صحة عقوية تكذب كل كلامه السابق من انكار الذات والتضحية . كذلك كان اطراؤها له ينزل على قلبه بردا وسلاما اكما حدث حين امتدحت شجاعته وحين قالت له انه لم يولد من الرعايا ،

وحين حدثته عن سر قوته ، وحين تنبأت بأنه سيكون امبراطورا على فرنسا ثم على أوروبا ثم على العالم . لقد كان يتمتع على هذا الاطراء من حيث الشكل في بادئ الأمر ولكن ما كان يشعر به لدى الاستماع اليه من سعادة غامرة جعله يتخلى في النهاية عن كل حياء وتحفظ . ان شخصا يستعذب مثل هذا المديح ويجد الحديث عن مستقبله الامبراطوري الزاهر كل هذا الصدى في نفسه ليس انسانا يكسب المعارك من أجل الانسانية ويعمل من أجل الآخرين ، وهو اذا ادعى ذلك ليس الا ممثلا يجيد التمثيل . وقد قال شو عن نابليون فعلا انه ذو موهبة ورامية فذة وضرب على ذلك عدة نماذج في حديثه وفي مواقفه مع السيدة . فهو يقول للسيدة : « انا كورسيكي قح في ولعي بالقصص ولكنى استطيع ان احكيها أحسن منك » ، ثم هو يحاول بصفة فعلية ان يثبت لها ان قدره على التمثيل لا تقل من قدرتها ، وهو يتلهى بذلك ويجد فيه متعة خاصة . وقد اتهمته السيدة بالحقارة لانه في الوقت الذي كان يصرح بأنه لا يشعر بأقل فضول للاطلاع على محتويات الخطاب اعترف بأنه قرأه حين كان في الكرمة . وقد رأيناه كذلك يطالب الملازم بالبحث عن الخطابات بدعوى انه هو سيحاسب لأنه لم يتبع ما ورد بها من تعليمات وان مصر فرنسا وأوروبا والانسانية يتوقف عليها علما بأن هذه الخطابات كانت في جيبه وانه كان يتفاخر امام السيدة بأنه يستطيع ان يهزم اعداءه دون حاجة الى الاستعانة بخطابات او جواسيس .

على أن هناك جانبا آخر مهما من شخصية نابليون تكشف عنه وقائع المسرحية والحوار الذي يدور فيها بين نابليون والسيدة هو الجانب الذي بنى عليه المؤلف احداث المسرحية ونعنى به حياته الخاصة . فبرنارد شو يقول ، كما رأينا ، ان نابليون اتخذ من زوجته وسيلة للتزلف الى باراس ، وجعل شو السيدة تواجهه بهذه الحقيقة المهيئة . ولكن هذا ليس اسوأ ما في الموضوع . لقد كانت الزوجة تظن ان زوجها سيزلزل الارض والسماء اذا اطلع على الخطاب المرسل منها الى صديقتها، شأن أى رجل شريف ، ولذا طلبت من صديقتها الحيلولة دون وقوع ذلك الخطاب في يده . وركبت هذه الصديقة كل انواع الصعاب وجاءت الى ميدان المعركة وخاطرت بحياتها لتتوصل الى استرداد الخطاب قبل ان يسلم الى نابليون . ولكنها بعد ان نجحت في ذلك سمعت كلاما له العجيب ، فان نابليون القائد الأعلى والفاتح العظيم يرى أن خير ما يفعله الرجل الذي تخونه زوجته هو ان يحرس - تفاديا للفضيحة وللمبارزة ولضياع مستقبله - على أن يغمض عينيه ويظل في جهل بكل شيء . ثم هو يطبق هذه الفلسفة عمليا في حالته الخاصة فيكتفي ، بعد ان وقف على خيانة زوجته ، بالتظاهر بأنه لم يقرأ الخطاب الذي يقيم عليها الحجة ، وهو ، حين يضطر الى الاعتراف بقراءة هذا الخطاب ، يكتفي باحراقه وكأنه ما كان . وهو ، حين تقول له السيدة قبل ذلك انها مستراده وهو يفقد شرفه يجيبها اجابة الرجل الذي لا يقيم للشرف وزنا كبيرا . حين رأت السيدة اكل هذا تشجعت واخذت تصفحه ببعض الحقائق القاسية فقالت عن صديقتها انها امرأة تتحكم في الرجال بخداهم وهم يرحبون بذلك ويسلمون لها قيادهم وانه رغم علمه بنقائصها وخداها لا يستطيع أن يمنع نفسه من حبها . وقالت ان صديقتها لا تعرف زوجها ، وهي تعنى بذلك انها

لو كانت تعرفه معرفة صحيحة لما تخيلت انه سينور حين يعلم بخيانتها ولما جشمتها كل ما تجشمه من عناء في سبيل الحصول على الخطاب وفي سبيل محاولة منعه بعد ذلك من قراءته . ولم تثر كرامة نابليون لهذا الكلام الذي يهد الجبال واثبت على نفسه انه انسان بلا شرف .

وفكرة أخيرة سخر شو هذه السيدة في القضاء عليها في هذه المسرحية هي ان نابليون رجل على قدر كبير من الدهاء . لقد كانت قصة نابليون مع هذه السيدة هي قصة القط مع الفأر ، أو قصة الأسد . كما قال عن نفسه - والفريسة . ولكن أسد نهاية المسرحية لم يكن هو أسد بدايتها . لقد كان الصراع بين السيدة وبينه صراعا بين شخصيتين وبين ذكاءين ، وكانت الدائرة في كل مراحل هذا الصراع تدور على نابليون ، مع انه هو صاحب المركز الأقوى ، لصالح السيدة . لقد رأينا ، بعد أن كان في البداية « يتسلى باللعب برهة مع ضحيته » يقدم لها اعتذاره ، ورأيناها تلطمه بأبشع الاتهامات في غير وجل ، بل وتحقره وتعالى عليه وتتهمه بالوقاحة ، وهو يقترب اليها ويطرى ذكاءها وشجاعتها ويعرض عليها صداقته ويحاول محاولات يائسة أن يثير تقديرها واعجابها . ولأن السلاح في معركته مع السيدة لم يكن سلاح المدفعية بل سلاح الشخصية وسعة الحيلة فقد هزم نابليون وركع الأسد وانتصرت عليه السيدة باعترافه هو نفسه وانقذ الملازم المسكين من المصير الذي كان يترقب به ؟ .

نابليون اذن - في نظر برناردسو - ليس انسانا عظيما ولا عسكريا عظيما ولا سياسيا عظيما ، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك كله . اما اذا سأل سائل : كيف اذن فتح أوروبا كلها ودخل التاريخ وملا اسماع العالم ، فان شو يرد بأن الذي ساعده على ذلك مجموعة من العوامل يرجع بعضها اليه (وأكثرها غير مشرف) وبعضها الآخر لظروف اجنبية عنه . اما العوامل التي ترجع اليه فهي - طبقا لرأى السيدة - طموحه الشديد وايمانه بنفسه وقدرته على أن يقاتل ويقوم بفتوح لنفسه لا لأحد آخر ، وانه لا يخاف مصيره ، واقدامه وقوة ارادته . يضاف الى هذا خبرته في المدفعية والطبوغرافيا وقسوة قلبه وعدم احترامه لقواعد الحرب وكونه انسانا مجردا من الضمير والديانة والولاء والوطنية والمثل العليا ، واخيرا معرفته الواقعية بالناس . واما العوامل الخارجة عن ارادته فهي أولا حالة الجنود الفرنسيين الحفاة العراقة الذين كان يحارب بهم والذين عرف بواقعيته وبالتلويح لهم بفنائم الحرب كيف يحولهم الى قوة لا تقاوم (ويلاحظ ان الكلمات التي خاطب بها نابليون الجنود مقتطفة من منشور وزعه على قواته قبل معركة لودي) وهي ثانيا أن الجيوش التي حاربها كانت كالجيش النمساوي تكبلها العسكرية الاكاديمية الارستقراطية بنظمها العتيقة كما تكبلها هيئات بلادها الحاكمة وصالوناتها . والعامل الأخير هو - في رأى برناردسو - ان العالم مولع بالمعجزات والابطال وان عامة الناس في البلاد التي فتحها نابليون اتخذته وثنا بينما مكنه اشرافهم من رقابهم .

هذا هو ما اراد شو ان يقوله عن نابليون الفاتح . وقد تكون بعض الوقائع الصغيرة التي نسبها اليه في هذه المسرحية موضع خلاف بين المؤرخين ولكن المأخذ الرئيسي الذي أخذه عليه وهو طموحه الشخصي مسألة ليس عليها خلاف حتى بين المؤرخين الفرنسيين أنفسهم كما يتضح من هذه الفقرة التي جاءت في كتاب من كتب التاريخ المقررة على طلبة المدارس الثانوية الفرنسية : « كان رأي نابليون - من طراز الفاتحين العظام من أمثال الاسكندر الاكبر وقيصر ، وكان منلهم يحلم بامبراطوريات هائلة وسلطان لا تحده الحدود ، وكان ذا طموح لا يشبع وذا تطلع عارم الى المجد . وهكذا تحدد مصر فرنسا لعشرة أعوام : استبداد في الداخل وحرب في الخارج » . والمقصود هي الأعوام العشرة لتي حكم نابليون فيها فرنسا كامبراطور . ويلاحظ أن شو لم يمس كفاية نابليون خارج نطاق الحرب بل اعترف بأنه ذك معاقل الفساد السياسي في فرنسا ، وهذا ايضا صحيح من الناحية التاريخية ، وحسد الفرنسيين على انه حكمهم وتحسر ، في تهكم ، على الانجليز لانهم لم يستفيدوا من حكم كما استفادوا من حكم الرومان بقيادة يوليوس قيصر .

على أن شو لم يقتصر ، كما قدمنا ، في هذه المسرحية على مهاجمة نابليون ، بل هاجم العسكرية ذاتها في موضعين ، احدهما هو العبارة التي قال فيها ان الطريقة العسكرية التي يفرض القائد بها ارادته على الجنود هي الكبرياج ، والثاني هو القصة ، المضحكة في ظاهرها ، التي كان بطلها حارس نابليون فان الجاويش الذي تله السلطة على هذا الحارس اعتبر ان افتقاره الى الشارب نقص في رجولته وأصر على أن يرسم له شارباً مستعاراً بصبغة الاحذية ، وبرنارد شو يعتبر ان في ذلك اهدارا للكرامة الانسانية . فضلا عن ذلك فان شو يهاجم الجيش الفرنسي كله والجيش النموى كله ، فقد كان كلاهما غازيا لأرض ليست أرضه هي ايطاليا ، فيصفهما بأنهما « حشدان من الحشرات الضارة » ، تنظر اليهما الشمس نظرة أسوأ من نظرتها الى الخنازير . وأخيرا فان شو لم يترك الفرصة تضيق دون أن يهاجم الانجليز (ورغم انه كان يكتب للانجليز بالانجليزية التي هي لغته أيضا ويعيش ، رغم انه ايرلندي الأصل ، في انجلترا يكتب في صحفها وينشر فيها كتبه ويعرض مسرحياته ، فقد كان يجد متعة خاصة في التهكم على الانجليز وفي كشف عيوبهم لأنفسهم بطريقة تثير الضحك) فوضع على لسان نابليون كلاما يعبر عن رأيه هو في الانجليز . ويتلخص هذا الرأي في أن الرجل الانجليزي منافق ، وان السياسة الانجليزية منافقة مثله ، وان انجلترا حين تحارب تحارب باسم حماية الدين المسيحي او حماية الحرية او الدفاع عن رعاياها . ولكنها في واقع الأمر تدافع عن مصالحها الخاصة . ومما يذكر في هذا الصدد ان فرنسا خرجت من حروب نابليون أصغر رقعة مما كانت وان امبراطورية نابليون قد صفيت بعد هزيمته في ووترلو وخرجت انجلترا من هذه التصفية بنصيب الأسد .

رجل المقادیر

۱۸۹۸

تألیف : جورج برنارد شو
ترجمہ و تقدیم : محمود علی سراد
مراجعة : د. عبدالرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

THE MAN OF DESTINY

1896

Being The Third of Four Pleasant Plays

رجل المقادير

الثاني عشر من مايو ١٧٩٦ في شمال ايطاليا . قرية « تفازانو » على الطريق من بلدة « لودي » الى « ميلانو » . الوقت عصر . الشمس تسطع في سلام على سهول لومبارديا ، وهي تعامل جبال الألب باحترام وتعامل كشبان النمل بتسامح . لا تشمس الخنازير في القرى يشير تقززها ، ولا الفتور الذي تقابل به في الكنائس يجرح احساسها . ولكنها تحتقر ، وتحتقر بلا هوادة ، حشدين من الحشرات الضارة هما الجيشان الفرنسي والنمساوي . وقد حاول النمساويون قبل ذلك يومين في بلدة « لودي » أن يمنعوا الفرنسيين من عبور النهر باستخدام القنطرة الضيقة الموجودة هناك ، ولكن الفرنسيين ، بقيادة جنرال في السابعة والعشرين اسمه نابليون بوناپرت لا يحترم قواعد الحرب ، اجتاحوا القنطرة التي تكتسحها نيران العدو ، تساندتهم مدفيعتهم بقصف يدك الجبال ساعد فيه الجنرال الشاب بيديه . ان القصف بالمدافع هو الفن الذي تخصص فيه : لقد تدرب على المدفعية في ظل نظام الحكم القديم واتقن فنونا عسكرية شتى مثل فن التهرب من أداء الواجب ، وفن الاحتيال على الصراف بشأن مصاريف السفر ، وفن تعظيم الحرب بصوت المدافع ودخانها على نحو ما تصور كافة اللوحات العسكرية . على انه ذوعين فاحصة ، وقد لاحظ ، لأول مرة منذ اختراع البارود ، أن قذيفة المدفع إذا أصابت انسانا اردته قتيلًا . وبالإضافة إلى هذا الاكتشاف الخطير الذي وعاه وعيا كاملا ، فقد بلغ درجة التفوق في الطبوغرافيا وفي احتساب الزمن والمسافات . وقد أوتى طاقة مذهلة على العمل ومعرفة

واقعية سليمة بالطبيعة الانسانية في المسائل العامة وقد أتيح له خلال الثورة الفرنسية أن يختبر هذه المعرفة في المجال المذكور بصورة لا زيادة فيها لمستريد . وهو ذو خيال لا تشوبه أوهام ، وذو قدرة خلاقية لا تشوبها ديانة أو ولاء أو وطنية أو أى مثل من المثل العليا الشائعة . لا لأن هذه المثل فوق ما يستطيع : بالعكس ، لقد تلقنها كلها في صباه وهو الآن ، بفضل موهبته الدرامية الفذة ، بارع إلى اقصى حد في اللعب عليها بفن الممثل وفن المخرج .

وفيما عدا ذلك فهو ليس طفلا مدللا . لقد عانى من الفقر وسوء الحظ ومما تتعرض له الاسر الكريمة رقيقة الحال من تقلب الاحوال ، ومن خيبة الاخفاق المتكرر كشخص يريد أن يشتغل بالتأليف ، ومن مهانة السائرين في كل ركب الذين ترفض خدماتهم ، ومن اللوم والمجازاة كضابط فاشل غير أمين ، ومن احتمال الفصل من الخدمة . ولولا أن هجرة النبلاء قد خلقت مجاعة للكفاءات العسكرية جعلت أحط الملازمين خلقا يصل إلى رتبة الجنرال ؟ لسرج من الجيش تسريحا مهينا : وقد هشمت غروره هذه الامتحانات التي امتحن بها واضطرته إلى الاستكفاء الذاتي وجعلته يدرك أن العالم لن يعطى لامثاله من الرجال شيئا لا يستطيعون انتراعه منه عنوة واقتدارا . والعالم في هذا غير منزّه من الجبن والخطل .

فقد استطاع نابليون أن يجعل نفسه مفيدا بدك معاقل الفساد السياسى بلا شفقة : وبالفعل ، فإن من المستحيل حتى وقتنا هذا أن يعيش الانسان في انجلترا دون أن يملكه الشعور أحيانا بمدى ما فقده هذا البلد بكونه لم يخضع لسلطانه كما خضع لسلطان يوليوس قيصر .

على أن ساعته لم تكن قد حانت بعد في عصر هذا اليوم من شهر مايو ١٧٩٦ . ولم يكن قد مضى وقت طويل على ترقيته الى رتبة

الجنرال ، وكان بعض الفضل في هذه الترقية يرجع إلى أنه استخدم
زوجه في إغراء أعضاء الدير كتوار (١) (الذي كان يحكم فرنسا
وقتذاك) ، وبعضه يرجع إلى ندرة الضباط التي تسببت فيها هجرة
النبلاء كما سبق القول ، وبعضه إلى قدرته على معرفة أى بلد من البلاد
بكل طرقه وأنهاره وتلاله ووديانه معرفته براحة يده ، ولكن أكثر
الفضل فيها كان يرجع إلى يقينه بالحديد في فعالية إطلاق المدافع على
الناس . وكان جيشه من حيث النظام في حالة صدمت بشدة شعور
بعض الكتاب الحديثين الذين مثلت القصة التالية أمامهم . إلى درجة
جعلتهم ، من فرط ما استولت على أفكارهم أمجاد « الامبراطور »
اللاحقة ، يرفضون تصديقها : ولكن نابليون لم يكن وقتها قد غدا
امبراطورا بعد : وكان رجاله يسمونه بالجاويز الصغير فقد كان
لا يزال في المرحلة التي يحاول فيها السيطرة عليهم باستعراض شجاعته
واقدامه . وهو ليس في مركز يسمح له بفرض ارادته عليهم بالطريقة
العسكرية التقليدية أى السوط . ان الثورة الفرنسية ، التي نجت من القمع
لسبب واحد هو عادة الملكية في التأخر أربع سنوات على الأقل في دفع
مرتبات الجنود قد استعاضت عن هذه العادة ، بقدر الامكان ، بعادة
أخرى هي عدم دفع مرتبات للجنود على الإطلاق ، مع الاكتفاء
بالوعد وبتملق وطنية الجنود بطريقة لا يقرها قانون عسكري من
النوع المطبق في الجيش البروسي . وهكذا أشرف نابليون على جبال
الالب وهو يتولى قيادة رجال ليس معهم نقود ، في أسمال بالية ،
لا يقبلون بالتالي أن يخضعوا لمقتضيات النظام العسكري الدقيق خصوصا

(١) الديركتوار هو الاسم الذي يطلق على الجهاز الذي حكم فرنسا بعد قيام الثورة
الفرنسية خلال الفترة منذ ٢٧ أكتوبر ١٧٩٥ حتى ١٩ نوفمبر ١٧٩٩ .
وكان هذا الجهاز يتكون من خمسة « مديرين » كان باراس أحدهم .

من جانب ضباط وصلوا الى رتبة الجنرال بين يوم وليلة . ورغم أن هذا الظرف كان من شأنه أن يربك أى قائد مثالى ، فقد وجد فيه نابليون ما يساوى ألف مدفع . لقد خاطب جيشه قائلا « ان قلوبكم تنبض شجاعة ووطنية ولكنكم حرمت المال والملبس وليس لديكم ما تبلغون به . ايطاليا فيها كل هذه الاشياء وفيها مجد ايضا . وهذان يحرزهما جيش مخلص يقوده جنرال يرى ان الغنيمة حق طبيعى للجندى المقاتل . انا مثل هذا الجنرال . الى الامام يا اولادى ! » وقد أعطته النتائج في ذلك تبريرا كاملا . لقد غزا الجيش ايطاليا كما غزا الجراد جزيرة قبرص . كان الجنود يحاربون طيلة النهار ويسIRON طيلة الليل ويقطعون مسافات مستحيلة ويظهرون في اماكن لا يصدقها العقل ، لا لأن كلا منهم كان يحمل عصا فيلدمارشال (١) في مخلاته ولكن لانه كان يطمع في أى يحصل فيها في اليوم التالى على ؟ بعض ، شك المائدة الفضية .

ويجب أن يكون مفهوما بهذه المناسبة أن الجيش الفرنسى ليس في حرب مع الايطاليين بل هو في ايطاليا لينقذهم من طغيان النمساويين الغزاة وليخلع عليهم نظام الحكم الجمهورى : فاذا جاء ونهبهم بنفس الطريقة فهو لا يفعل أكثر من التصرف في ممتلكات اصدقائه ومن واجب هؤلاء الاصدقاء ان يشعروا نحوه بالامتنان ، وربما كان هذا شعورهم لولا ان نكران الحميل من العيوب التى اجرت بها الامثال عنهم والنمساويون الذين يحاربهم هذا الجيش ، جيش نظامى يبعث على الاحترام الكامل .

جيش فيه ضبط وربط ، يقوده قادة من اولاد الذوات يجيدون أساليب القتال التقليدية اجادة تامة ، وعلى رأسهم القائد « بوليو »

(١) مشير .

وهم يمارسون فن الحرب الكلاسيكى بأوامر تأتيهم من فيينا ، وتحقيق
هم الهزائم المنكرة على يد نابليون الذى يتصرف على مسئوليته متحديا
كل سوابق المهنة ومتحديا كذلك تعليمات باريس . وحتى إذا اتفق
وكسب النمسيون معركة من المعارك فإن الأمر لا يحتاج إلى
أكثر من الانتظار حتى يضطروهم روتينهم إلى العودة إلى قاعدتهم
لتناول شاي العصر على سبيل المجاز ثم استعادة ما كسبوه ، وهو
اسلوب اتبعه نابليون فيما بعد بنجاح باهر في معركة
« مارنبو » . وعلى العموم فقد وجد نابليون في مقدوره أن
يدحر عدوه الذى تكبله الاداة الحكومية النمسية وكلاسيكية
الجسرات ومتطلبات الهيكل الاستقرائى لمجتمع فيينا ، دون
حاجة إلى معجزات بطولية خارقة . بيد أن العالم مولع بالمعجزات
والابطال ، وهو عاجز تماما عن تصور فعل عوامل مثل العسكرية
الاكاديمية او مجتمع صالونات فيينا . ومن ثم فقد بدأ - أى العالم -
بالفعل يصنع صورة « الامبراطور » ويجعل بالتالى من الصعب
على الروائيين بعد مائة سنة أن يصدقوا المشهد الصغير الذى تقع
أحداثه الآن في قرية « تفازانو » والذى لم يسجل بعد في التاريخ .

أحسن مكان في « تفازانو » هو فندق صغير . وهو أول بيت يصل
إليه المسافر الذى يجتاز المكان في طريقه من « ميلانو » إلى « لودى »
وهو يقع في كرمة . غرفة الفندق الرئيسية ، وهى ملاذ بهيج من حر
الصيف ، تنفتح في مؤخرتها على هذه الكرمة باتساع يجعلها شبه
بفرنجة فسيحة . الاطفال الذين أوتوا من الشجاعة حفا أكبر من
غيرهم والذين أثارهم هرج القوات الفرنسية ومرجها واغارتها في
الساعة السادسة يعلمون أن القائد الفرنسى قد اتخذ هذه الغرفة
قاعدة له ، وهم موزعون بين رغبتهم القوية في اختلاس نظرة إلى
الداخل من النوافذ الامامية وبين فزعهم من الحارس وهو

جنتلمان شاب انخرط في سلك الجندية وليس له شارب طبيعي مما جعل جاويشه يرسم في وجهه بصبغة الاحذية السوداء شارباً تقشعر منه الابدان . ولما كان زيه العسكري الثقيل ككافة الازياء العسكرية في ذلك الوقت ، مصمماً للاستعراضات دون أقل اعتبار لمقتضيات الصحة أو الراحة ، فان العرق يتصبب منه بغزارة في قيظ الشمس ، كما أن شاربهِ المدهون قد سال في قنوات صغيرة وصلت إلى ذقنه واحاطت برقبتة ، الا حيث جف مكوناً لطعاً من الورنيش وحيث تلتطخ رسمه المنتشر في اشكال كاريكاتورية على هيئة خلجان وألسنة أرضية صغيرة تمتد في البحر .

كل هذا يجعل منظره مضحكاً بصورة تفوق الوصف في نظر التاريخ بعد مائة عام ، ولكنه منظرٌ تسبب له ؟ ركب طفل شمال ايطاليا الذي يعاصره والذي يرى أن من الامور الطبيعية جداً أن يعقد ذلك الجندى ، في سبيل تخفيف ما ينتابه من ملل في نوبة حراسته ، الى طعن طفل شارد بحربة بندقيته والى افتراسه نيئاً . ومع ذلك فان صببية شكسة ، تتحرك فيها رغم حداثة سنّها غريزة تجعلها تحس بحظوة لدى الجنود تختلس إلى الداخل نظرة من أكثر النوافذ أمناً . وتستمر هذه النظرة برهة ولكن لفترة ثم صلصلة من الحارس تجعلها تسلم ساقها للريح . ومعظم ما رآته هذه الصبية سبق لها أن رآته : كرامة في الخلف فيها مكبس للنبذ وعربة يد بين أشجار العنب ، وباب قريب عن يمينها يؤدي إلى مدخل الشارع ، وصوان هو أفضل صوان عند صاحب الفندق إلى الخلف في نفس الجانب وحركة الاعداد للغداء تدور حوله على قدم وساق ، والمدفأة في الجانب الآخر وبالقرب منها أريكة ، وباب آخر مؤد إلى الغرف الداخلية بينها وبين الكرامة ، والمائدة في الوسط وقد جهزت عليها وجبة تتكون من

طبق رز « معد بطريقة أهل ميلانو ، وجبن ، وعنب ، وخبر ،
وزيتون و « قنينة » نبيذ أحمر وسط قش مجدول .

صاحب الفندق ، جوزيبي جراندى ، شخص تعرفه الفتاة جيدا .
وهو رجل في الأربعين ، اسمر ، ممتلئ حيوية ، طلق المحيا في
خبث ، شعره أسود متموج ، رأسه في شكل رصاصة ، ذو ابنسامة
عريضة . وهو بطبعه مضيف لا يبارى ولكنه في هذا اليوم في أحسن
حالاته المعنوية فقد شاء حسن حظه أن يكون نزيله هو القائد الفرنسى
وفي ذلك وقاية له من نهب الجنود . وهو يضع في اذنيه قرطا من
الذهب (١) لولا هذا الظرف لاختفاه بعناية تحت مكبس النبيذ مع
بعض الأدوات الفضية التى يملكها .

أما نابليون ، الذى يجلس في مواجهة الصبية في جانب المائدة
القصى ، ، فانها تراه للمرة الاولى . وهو منهمك في شيئين :
وجبته التى اكتشف طريقة يلتهما بها في عشر دقائق وذلك بالاكل من
جميع الاطباق في وقت واحد (وكانت هذه الطريقة هى بداية أفول
نجمه) وخريطة حربية كان يحدد عليها بين الحين والآخر مواقع
القوات يأخذ قشرة عنب من فمه يغرزها على الخريطة بابهامه . ؟
وليس في لبس نابليون ولا في شخصه أثر للبهذلة الثورية ، ولكن
مرفقه أزاح معظم الصحف والأكواب من أماكنها . أما شعره
الطويل فكان ينغمس في طبق الرز « عندما كان ينسأه وينحنى باهتمام
أكبر على الخريطة .

جوزيبي : ألا يريد صاحب العظمة . .

نابليون : (مكبا على الخريطة وهو يلتقم الطعام بيده اليسرى
بحركة ميكانيكية) صه . أنا مشغول .

(١) على عادة الرجال قديما في بعض مناطق ايطاليا .

- جوزيبي : (يبشر تام) تحت أمرك يا صاحب العظمة .
- نابليون : إلى بحبر أحمر .
- جوزيبي : وا أسفاه يا صاحب العظمة . ليس في الفندق منه شيء .
- نابليون : (يمزح كورسيكية) اقتل شيئاً واثنى بدمه .
- جوزيبي : (بابتسامة عريضة) مامن شيء هنا يمكن قتله سوى جواد عظمتك والحارس والسيدة التي تقطن في الدور العلوى وزوجتى .
- نابليون : اقتل زوجتك .
- جوزيبي : بكل سرور يا صاحب العظمة . ولكنى للأسف لست على هذه الدرجة من القوة ، ولو حاولت ذلك لقتلتى هى .
- نابليون : في هذا مايفى بالغرض .
- جوزيبي : هذا شرف كبير لى من عظمتك . (يمد يده الى « فياسكة » النبيذ) قد يصلح^٣، بعض النبيذ^٤ لما تريده عظمتك .
- نابليون : (يبادر فيحمى الفياسكة وبلهجة جادة تماماً) النبيذ ! لا : هذا اسراف . انتم كلكم سواء : اسراف ! اسراف ! اسراف ! اسراف ! (يعلم على الخريطة بالصلصة مستخدماً شوكتة كقلم) أزل ما على المائدة . (ينهى نبيذه ويدفع كرسيه الى الخلف ويمسح فمه بفوطة ويمد ساقيه ويستلقى الى الوراء وهو لا يفتأ يقطب جبينه ويفكر) .

جوزيبي : (يخلى المائدة ويجمع ادوات الطعام في صينية موضوعة على الصوان) كل انسان وتجارته يا صاحب العظمة ، نحن أصحاب الفنادق لدينا الكثير من الخمر الرخيص : ولا يهمنا ان يسكب . اما الجحالات العظام مثلك فلهيهم الكثير من الدم الرخيص ولا يهمهم ان يسفك أليس كذلك يا صاحب العظمة ؟

نابليون : الدم لا يكلف شيئا : اما النبيذ فيكلف نقودا . (ينهض ويروح الى المدفأة) .

جوزيبي : يقولون إنك ، يا صاحب العظمة حريص في كل شيء إلا فيما يتعلق بحياة الانسان .

نابليون : حياة الانسان ، يا صاحبي ، هي الشيء الوحيد الذي يحرص على نفسه . (ينطرح على الأريكة ويتخذ وضعا مريحاً) .

جوزيبي : (معجبا به) آه يا صاحب العظمة . يا لحماقتنا جميعا بالقياس اليك ! ليتنى استطيع ان اكتشف سر نجاحك !

نابليون : لكي تنصب نفسك امبراطورا على ايطاليا ، هه ؟

جوزيبي : هذه مسألة متعبة يا صاحب العظمة : أنا أترك لك كل ذلك . ثم ماذا يكون من أمر فندقي لو أنني اصبحت امبراطورا ؟ ألا ترى سرورك وانت تنظر الى بينما اهتم انا من أجلك بفندقي وأقوم بخدمتك ؟ أنا كذلك سأكون مسرورا بالنظر اليك وقد أصبحت امبراطورا

على أوروبا وحكمت البلد من أجلي . (يرفع غطاء
المائدة بخفة يد وهو يواصل ثرثرته ، دون أن يحرك
الخريطة من موضعها . واخيرا يمسك طرفيه بيديه
ووسطه بضمه لكي يطويه) .

نابليون : امبراطورا على أوزوبا ، هه ؟ لماذا على أوزوبا فقط؟

جوزيبي : فعلا لماذا ؟ امبراطورا على العالم يا صاحب العظمة !
ولم لا ؟ (يطوى غطاء المائدة ويلفه وهو يؤكد عبارات
مع كل خطوة من خطوات هذه العملية) . لافرق
بين انسان وآخر (طيه) : لافرق بين بلد وآخر
(طية) : لا فرق بين معركة وأخرى . (في الطية
الآخيرة يبسط الغطاء على المائدة ويلفه بمهارة ، ثم
يضيف مختما كلامه) والذي يفتح بلدا يفتح الكل .
(يأخذ الغطاء الى الصوان ويضعه في أحد ادراجته) .

نابليون : ويحكم للكل ، ويحارب للكل ، ويكون خادما للكل
تحت ستار كونه سيدا للكل . جوزيبي .

جوزيبي : (لدى الصوان) نعم . يا صاحب العظمة . !

نابليون : انا لا اسمح لك بأن تحدثني عن نفسي .

جوزيبي : (يقترب من طرف الاريكة عند موضع القدمين)
ارجو المَعذرة . شدا تختلف ياسيدي عن سائر
العظماء . هذا هو الموضوع الذي يفضلونه على سائر
الموضوعات .

نابليون : حدثني عن ثاني موضوع يحظى بتفضيلهم ، ايا كان.

جوزيبي : (في غير تحفظ) بكل سرور يا صاحب العظمة . هل

تصادف ان وقعت عين عظمتكم على السيدة الموجودة
بالدور العلوى ؟

نابليون : (يجلس في الحال) كم سنها ؟

جوزيبي : السن المناسب ، يا صاحب العظمة .

نابليون : تعنى سبعة عشر أم ثلاثين ؟

جوزيبي : ثلاثون ، يا صاحب العظمة .

نابليون : مليحة ؟

جوزيبي : ليس في استطاعتي ان أرى بعيني عظمتك : هذه

مسألة يجب ان يحكم فيها كل انسان بنفسه . وهى في
رأى آية في الجمال يا صاحب العظمة . (بنجث)
هل تأمرون بأن أعد لها وجبتها الخفيفة هنا ؟

نابليون : (بغتة وهو ينهض) لا : لا تعد شيئاً هنا حتى يعود

الضابط الذى انتظره . (ينظر الى ساعته ويأخذ في
السير ذهاباً وإياباً بين المدفأة والكرمة) .

جوزيبي : (باقتناع) صدقنى يا صاحب العظمة . لقد أسر هـ

النمسيويون الملاعين . لو أنه كان طليقاً لما جرواً على
تركك في انتظاره .

نابليون : (ينعطف عند حافة ظل الفراندة) جوزيبي : اذا

صح هذا فسيثيرنى ثورة لن أَرْضى معها الا بشنقك
انت وجميع من في فندقك بما في ذلك السيدة الموجودة
بالتابق العلوى .

جوزيبي : كلنا فداء لعظمتك بصدر رحب ، باستثناء السيدة

فأنا لا أملك التحدث باسمها . ولكن اى سيده
تستطيع مقاومتك يا سيدى الجنرال ؟

نابليون : (بمرارة ، يستأنف سيره) كذا ! أنت لن تشق
أبدا . و اى ارضاء يجده الانسان في شق رجل
لا يمانع في ذلك .

جوزيبي : (بأسف) ليس في ذلك ارضاء على الاطلاق يا صاحب
العظمة . (نابليون ينظر الى ساعته من جديد في قلق
واضح) . اى انسان يستطيع ان يرى انك رجل
عظيم ياسيدى الجنرال : انت تعرف كيف تنتظر .
ولو ان جاويزا او ملازما ثانيا كان في مكانك الآن
لأخذ يسب ويلعن ويتوعد ويهد البيت على رؤوسنا
بعد ثلاث دقائق .

نابليون : جوزيبي : تملكك شئ تعافه النفس . اذهب وتكلم
في الخارج . (يعاود الجلوس الى المائدة وفكاه بين
يديه ومرفقاه على الخريطة التى يتأملها بانقباض) .

جوزيبي : بكل سرور يا صاحب العظمة . لن يزعجك أحد .
(يحمل الصينية ويتأهب للانسحاب) .

نابليون : ارسله الى " في اللحظة التى يعود فيها .

جوزيبي : في الحال ، يا صاحب العظمة .

صوت السيدة : (تنادى من مكان بعيد في الفندق) جوزيبي !
(الصوت موسيقى جدا والنبرتان الاخيرتان تحدثان
فاصلا صعوديا) .

نابليون : (يحفل) من صاحبة هذا الصوت ؟

- جوزيبي : السيدة ، يا صاحب العظمة .
- نابليون : سيدة الطابق العلوى ؟
- جوزيبي : أجل ، يا صاحب العظمة . السيدة الغريبة .
- نابليون : الغريبة ؟ من أين أنت ؟
- جوزيبي : (بهزة من كتفيه) من يدري ؟ لقد وصلت قبل عظمتك بقليل في عربة أجرة مملوكة للنسر الذهبى بمدينة « بورجيتو » . وصلت بمفردها يا صاحب العظمة . بلا خدم ولا حشم . حقيبة فيها لوازمها وصندوق ثياب ولا شيء غيرهما . الحوذى قال انها تركت جوادا في النسر الذهبى . فرس قتال بعدة عسكرية .
- نابليون : امرأة بفرس قتال ! فرنسية أم نمسوية ؟
- جوزيبي : فرنسية ، يا صاحب العظمة .
- نابليون : لابد أنه فرس زوجها وان زوجها قتل في معركة « لودى » . مسكين .
- صوت السيدة : (النبرتان الاخيرتان تحدثان الآن فاصلا نزوليا آمرا)
جوزيبي !
- نابليون : (ينهض لينصت) هذا ليس صوت امرأة قتل زوجها أمس .
- جوزيبي : فقد الازواج لا يؤسف عليه في كل الحالات يا صاحب العظمة . (يرتفع صوته) حاضر يا سيدتى حاضر . (يتجه الى الباب الخلفى) .

نابليون : (يضع يدا قوية على كتفه ليستوقفه) مكانك .
دعها تأتي .

الصوت : جوزيبي ! ! (بصير نافذ) .

جوزيبي : دعني أذهب ، يا صاحب العظمة . تلبية نداء التريل
مسألة شرف بالنسبة لي كصاحب فندق . انا أناشدك
كجندي .

صوت رجل : (في الخارج ، لدى باب الفندق ، صائحا) اما من
أحد ؟ يا صاحب الفندق . اين انت ؟ (شخص ما
يطرق بقوة بمقبض كرباج على دكة في الممشى) .

نابليون : (فجأة يصبح القائد العسكري كما كان ويطرد
جوزيبي بإشارة) اخيرا وصل الرجل الذي انتظره .
(يشير الى الباب الداخلي) انصراف . اهتم بشئونك :
السيدة تناديك . (يذهب الى المدفأة ويقف وظهره
اليها وقد اتخذ سمة حزم عسكرية) .

جوزيبي : (يحبس انفاسه ويخطف صينيته) سمعا وطاعة
يا صاحب العظمة . (يهرع خارجا من الباب الداخلي)

صوت الرجل : (ضيق الصدر) أكلكم ينام أم ماذا ! . .

(الباب الآخر يفتح بركة قدم غير مهذبة . ملازم
ثان معفر يقتحم الغرفة . هو شاب فارح الطول ابله
في الرابعة والعشرين ، تم بشرته وهيئته عن أنه من
أبناء الذوات ، وهو يستمد من هذا ثقة لم تفلح الثورة
الفرنسية في زعزعتها ولو قليلا . له شفة غليظة غبية
وعين مشرئية سريعة التصديق ، وانف عنيد ، وصوت
جهوري معتر بنفسه . شاب لا يعرف الخوف

ولا يوقر احدا . عديم الخيال عديم العقل . لديه
مناعة مستحكمة ضد الافكار النابليونية واى افكار
أخرى . متبجح بدرجة مذهلة ، تؤهله صفاته بشكل
خاص للاندفاع الى الاماكن التى تخشى الملائكة
وطأها . وهو مع ذلك ذو حيوية صلبة مهادرة ترج
به في صميم الامور . وهو الآن يغلى بغیظ يعزوه
الناظر السطحى الى ان موظفى الفندق لم يخفوا الى
خدمته ولكن العين الفاحصة تستطيع ان تستشف فيه
نوعا من العمق المعنوى يوحى بحنى أطول مدى وأبعد
اثرا . وهو حين يلمح نابليون يفاجأ بالقدر الكافى
لكى يراجع نفسه ويحييه التحية العسكرية ، ولكن
لا يبدو من هيئته ان لديه ذلك الاحساس السدى
يجعله يتنبأ بمعارك مارنچو واوسترلتر ووترلو وبجزيرة
سانت هيلانا (١) وبلوحات الفنانين ديلا روش
وميسونيه النابليونية ، والذى تنتظره منه القرون
اللاحقة .

نابليون : (والساعة في يده) اخيرا وصلت يا سيدي .
التعليمات التى أعطيت لك تقول اننى سأكون هنا في
السادسة وانى سأجرك في انتظارى بالبريد المرسل الى
من باريس وبعده من الرسائل الرسمية . الساعة الآن
الثامنة الا عشرين دقيقة . وقد كلفت انت بهذه المهمة
باعتبارك فارسا قوى الاحتمال يمتطى اسرع فرس

(١) انتصر نابليون في معركة مارنچو على النمساويين وفي معركة أوترلتر عليهم
وعلى الروس . وفي معركة ووترلو هزمته قوات أوروبا المتحالفة بقيادة
ولنجتون . وسانت هيلانا جزيرة نفى فيها بعد هزيمته في ووترلو .

في المعسكر . وها أنت تصل بتأخير قدره مائة دقيقة .
وتصل سائرا على قدميك . أين فرسك ؟

الملازم : (يخلع قفازه متبرما ويقذف به وبقبعته العسكرية
وبسوطه على المائدة) أين هي ؟ هذا بالضبط هو
ما أود ان أعرفه يا سيدى الجنرال . (متأثرا)
لا يمكن ان تتصور الى أى حد كنت مولعا بتلك
الفرس .

نابليون : (بسخرية غاضبة) حقا ! (بارتياح مفاجئ) أين
خطاباتي والرسائل الرسمية ؟

الملازم : (شاعرا باهمية وبلهجة يغلب فيها الرضى ، للخير
غير العادى الذى يحمله) لا أدرى .

نابليون : (لا يصدق اذنيه) لا تدرى !

الملازم : علمى علمك يا سيادة الجنرال . والذى أرجحه الآن
هو انى سأحال الى المحكمة العسكرية . انا لا يهمنى
ان أقدم للمحاكمة العسكرية ولكن (بتصميم رزين)
ليكن في علمك ، يا سيادة الجنرال ، أنى إذا قبضت
على ذلك الفتى الذى تبدو عليه البراءة ، سأشوه له
وسامته . المخاتل الكذاب ! سأجعله عبرة لمن
يعتبر . ساً . .

نابليون : (يسير من المدفأة الى المائدة) من تعنى بالفتى الذى
تبدو عليه البراءة ؟ تمالك نفسك يا سيدى وادل بأقوالك

الملازم : (يواجهه في جانب المائدة المقابل وهو يميل عليها
بقبضتيه) انا في خير حال يا سيدى الجنرال : وأذا
على أتم استعداد للادلاء بأقوالى . سأجعل المحكمة

العسكرية تفهم تماما أن الخطأ لم يكن خطئي . لقد
استغل بعضهم الجانب الطيب من طبيعتي ، وذلك
شيء لا أخجل منه . ومهما يكن من احترامى لك
يا سيدى الجنرال كقائد لى فانى اكرر ان عينى اذا
وقعت على ذلك الشيطان ابن الشيطان . . .

نابليون : (بغضب) سبق أن قلت ذلك .

الملازم : (ينصب قامته) وانا اقوله مرة أخرى . انتظر فقط
حتى اعثر عليه . انتظر فقط : هذا كل ما فى الامر .
(يطوى ذراعيه باصرار ويتنفس بشدة ، بشفتين
مطبقتين) .

نابليون : انا منتظر يا سيدى منتظر شرحك .

الملازم : (باطمئنان) ستغير لهجتك يا سيدى الجنرال حين
تسمع ما حدث لى .

نابليون : لم يحدث لك شيء يا سيدى : انت حى وليس بك
عاهة . أين الاوراق التى عهد بها اليك ؟

الملازم : لم يحدث لى شيء ! حقا لقد عاهدنى على الاخوة
الابدية ألم يكن هذا شيئا ؟ وقال ان عينى تذكرانه
بعينى أخته . ألم يكن هذا شيئا ؟ وبكى - بكى
بالفعل - عندما علم بقصة القطيعة بينى وبين انجليكا .
ألم يكن هذا شيئا . ودفع ثمن زجاجتى نبيذ رغم انه
لم يقرب غير الخبر والعنب . قد لا تعتبر انت هذا
شيئا . واعطانى مسدسه وحصانه ورسائله الرسمية -
رسائل على اكبر درجة من الاهمية - وتركنى

أبتعد بها . (منتصرا . وهو يرى انه قد أذهب
نابليون ذهولا تاما) ألم يكن هذا شيئا ؟

نابليون : (وقد أوهنته الدهشة) وما الذى جعله يفعل ذلك ؟

الملازم : (كما لو كان السبب غنيا عن البيان) ليعرب لى طبعاً

عن ثقته في شخصى . (لا يمكن القول ان فك نابليون
قد سقط من الدهشة ولكن مفصلات هذا الفك
اصبحت بلا عصب يشدها) . وكنت انا جديراً
بثقته فأعدتها كلها اليه بشرف . ولكن هل تتصور ؟
حين ائتمنته انا على مسدسى وعلى حصانى وعلى
رسائلى الرسمية . .

نابليون : وما الذى جعلك تفعل هذا بحق الشيطان ؟

الملازم : قلت لك : لأعرب له عن ثقتى فيه . وقد خان هذه

الثقة ! عبث بها ! ولم يعد ابدا ! اللص ! النصاب !
الوغد الزنيم . الغادر ، المجرّد من الشعور ! لعلك
لا ترى في ذلك شيئا . ولكن دعنى أقول لك يسيادة
الجنرال : (يلجأ من جديد الى المائدة بقبضتى يده
زيادة في التأكيد) قد تستطيع انت ان تتحمل مثل
هذه الالهانة من النمساويين . اما أنا ، أنا فلتعلم اننى
اذا قبضت على . .

نابليون : (يدور على عقبه في غثيان ويستأنف غدوه ورواحه

محنقا) نعم : قلت هذا من قبل اكثر من مرة .

الملازم : (هائجا) اكثر من مرة ! سأقوله خمسين مرة .

وأكثر من هذا سأنفذ ما أقول . اسمع يا سيادة

الجنرال . سأريه ثقتي فيه . أوكد لك اني سأفعل .
سأ . .

نابليون : أجل ، أجل ، ياسيدي ستفعل بلا شك . اي نوع
من الرجال هو ؟

الملازم : اعتقد انك لابد تستطيع من سلوكه ان تعرف اي
نوع من الرجال هو .

نابليون : أف ! صفه لي . !

الملازم : أصفه ! هو يشبه . . على العموم كان يكفي ان ترى
شكله : لو رأيته فسيعطيك هذا فكرة عن وصفه .
ولن يكون بهذا الوصف بعد خمس دقائق من عشوري
عليه . وخذها مني : اذا حدث و . .

نابليون : (يصيح ثائرا وهو ينادي صاحب الفندق) جوزيبي !
(الى الملازم وقد نفذ صبره تماما) أمسك عن الكلام
يا سيدي ، ان استطعت .

الملازم : (متشكيا) احذرك أن من العبث ان تحاول القاء اللوم
على . كيف كان يمكنني ان اعرف اي نوع من الرفاق
هو ؟ (يأخذ كرسيه موضوعا بين الصوان والباب
الخارجي ويضعه بجوار المائدة ويجلس عليه) . لو
عرفت كم أنا جائع ومنهك القوى لراعيتني اكثر .

جوزيبي : (يعود) أي خدمة ، يا صاحب العظمة ؟

نابليون : (يجاهد ليكظم غيظه) خذ هذا . . هذا الضابط .
اطعمه ، وضعه في فراش اذا اقتضى الامر . وعندما
يعود الى صوابه حاول ان تعرف ما الذي حدث له

وإتني بالخبر . (الى الملازم) اعتبر نفسك موقفاً
ايها السيد .

الملازم : (بتصلب متجهم) كنت أتوقع ذلك . الجنتلمان
لا يفهمه الا جنتلمان . (يلقي سيفه على المائدة) .

جوزيبي : (بحذب مشفق) هل هاجمك النمسيون ايها السيد
الملازم ؟ كان الله في عونك ! .

الملازم : (بازدرأه) هاجمى — ! كان بوسعى ان أقصم ظهره
بين سباتي وابهامي . ليتنى فعلت ذلك . كلا : الجانب
الطيب من طبيعتي هو السبب : وهو الشيء الذى
لا حيلة لى فيه . قال لى انه لم يقابل فى حياته رجلاً
أحبه كما أحببى . وقد لف عنقى بمنديله لان بعوضه
لدغتنى وكان وشاحى قد قرح موضع اللدغة . انظر !
(يجذب المنديل من الوشاح . جوزيبي يأخذه
ويفحصه) .

جوزيبي : (الى نابليون) هذا منديل امرأة ، يا صاحب العظمة .
(يشمه) وهو معطر .

نابليون : ماذا تقول ؟ (يأخذه وينظر اليه بامعان) كذا !
(يشمه) فهمت ! (يسير متفكراً عبر الغرفة ،
وهو ينظر الى المنديل ، وأخيراً يحشره فى صدره
سترته) .

الملازم : منديل مناسب له على اى حال . وقد لاحظت ان له
يدى امرأة حين مس عنقى بطريقته المعاتبه المتوددة .
الكلب ، المخنث ، الحسيس ! (ينخفض صوته

بتركيز مترعش) ليكن في علمك يا سيادة الجنرال .
اذا حدث و . .

صوت السيدة : (من الخارج ، بالطريقة السابقة) جوزيبي !

الملازم : (متحجرا) من صاحب هذا الصوت ؟

جوزيبي : سيدة في الطابق العلوى يا سيدى الملازم . انها تنادىنى .

الملازم : سيدة !

الصوت : جوزيبي ، جوزيبي ، أين انت ؟

الملازم : (بنبرة من تهيا للقتل) اعطى ذلك السيف . (يختطف
السيف ويسلّه) .

جوزيبي : (يندفع الى الامام ويقبض على ذراعه الايمن) ماذا
جرى لعقلك ياسيدى الملازم ؟ انها سيدة : الم
تسمعى ؟ هذا صوت سيدة .

الملازم : بل صوته ، أو كد لك . دعنى . (ينفلت ويندفع الى
حافة الفراندة ويقف هناك منتظيا سيفه وهو يرصد
الباب كقطة ترصد جحر فأر) .

(يفتح الباب وتدخل السيدة الغريبة . هى سيدة
طويلة القامة ، رشيقة بصورة غير عادية ذات وجه
ترسم فيه سمات دقيقة من الذكاء واللماحة ونظرة
تساؤل : جبين تتجلى فيه مخايل الفطنة ، وانف تدل
فتحته على الحساسية ، وذقن ينم عن شخصية قوية :
ملامح كلها حادة وكريمة وأصيلة . غاية فى الانوثة
ولكنها ابعد ما تكون عن ضعف الانثى : قدما
الاهيف يثبت فى اطار قوى : اليدان والقدمان والعنق

والكتفان اعضاء قوية مفيدة ، مكتملة النمو بالقياس الى قامتها التى تفوق في الطول بشكل ظاهر قامة نابليون وصاحب الفندق ولا يتميز عليها الملازم . على ان اناقتها والحاذية التى تشعها تكتمان سر حجمها وقوتها . وهى ، اذا حكمنا عليها من لبسها ، ليست من انصار أحدث « مودات » عصر « الديركتوار » ، او لعلها تستخدم ملابسها القديمة في السفر . وسواء كان الامر هذا او ذاك فهى لا ترتدى جاكته ذات شراشيب من النوع المهرج ، ولا ثوبا يقلد الثياب الاغريقية القديمة ، ولا أى شىء تتردد أميرة لامبال (١) في ارتدائه . ثوبها الحريرى الذى نقشت عليه زهور ، ذو خصر طويل وثنية في الحلف من نوع الثنيات التى تظهر في لوحات الفنان « واتو » وان كان جزؤه الاسفل المنتفخ قد استبدلت به « جونلة » بسيطة تتناسب بدرجة أكبر مع طول صاحبتة . وفتحة العنق في الثياب واسعة أضيف اليها « ايشارب » هفهاف وهى شقراء شعرها ذهبى داكن ، وعيناها رماديتان . تدخل هذه السيدة بثبات المرأة التى ألقت مزايا الطبقة والحسن . صاحب الفندق ، وهو رجل ذو شمائل ممتازة ، يكن لها اعجابا كبيرا . اما نابليون ، فلا يكاد بصره يقع عليها حتى يتملكه الارتباك . يغمق لونه وتتصلب حركاته وتبدو وقد فقدت شيئا من حريرتها .

(١) صديقة ودية للملكة ماري أنطوانيت زوجة الملك لويس السادس عشر .

تتقدم السيدة داخل الغرفة بخطوة تنطق
بتربيتها العالية لتحية واذا بالملازم ينقض عليها
ويقبض على معصمها الايمن . ما أن تتعرف عليه
حتى تشحب كالأموات ويتخذ وجهها تعبيراً
لا تخطئه العين : تعبير من يكشف بطريقة أبعد ما
تكون عن توقعه انه أخطأ خطأ فيه حتفه . يهولها هذا
الاكتشاف في غمرة طمأنينتها وأمنها وانتصارها . في
اللحظة التالية تغشاها من تحت « الايشارب » الهفواف
موجة من اللون الغاضب تغرق محياها كله ، ويستطيع
اى انسان ان يدرك ان هذه الموجة قد غمرت جميع
جسمها . حتى الملازم ، وهو عديم الملاحظة في
الاحوال العادية ، يمكنه ان يرى الشيء اذا طلى له باللون
الاحمر . يفسر تضرع لونها بانسه اعتراف لا إرادى
بالذنب من جانب الخديعة السوداء وهى تواجه ضحيتها ،
ويخاطبها فى نعيق عال بصوت القصاص اذا يتتصر .

الملازم : وقعت في يدى ايها الفتى . هكذا تنكر في زى امرأة؟
(بصوت كالرعد وهو يترك معصمها) اخلع هذا
الثوب .

جوزيبي : (محتجاً) سيدى الملازم !
السيدة : (برهبة ولكن في شدة الاستياء لانه جرواً على مسها)
ايها السيدان : انا في عرضكما . (الى نابليون) انت
ياسيدى ضابط : جنرال . وستصدى لحمايتى .
اليس كذلك ؟

الملازم : لا تسمع كلامه يا سيادة الجنرال . دعنى اتول امره .

نابليون : أمره ؟ أمر من ياسيدى ؟ لماذا تعامل هذه السيدة هذه المعاملة .

الملازم : السيدة ! هذا رجل ! الرجل الذى اوليته ثقى .
(يرفع سيفه) سأريك ايها . .

السيدة : (تجرى خلف نابليون وتحتضن في خضم هلعها الذراع التى يمدّها امامها كدرع إلى صدرها شكرا لك ياسيادة الجنرال . كفه عنى .

نابليون : هراء ما تقوله ايها السيد . هى سيدة ما في ذلك شك (فجأة ترك ذراعه ويصعد الدم اليها من جديد) .
وانت محبوس . ضع سيفك ايها السيد . فورا .

الملازم : سيدى الجنرال : صدقتى انه جاسوس نمسوى . لقد القى في روعى عصر هذا اليوم أنه أحد اركان حرب الجنرال ماسينا ، وها هو الآن يحاول ايها ملك انه امرأة . يجوز لى ام لا يجوز ان اصدق عيني ؟

السيدة : لا بد يا سيادة الجنرال انه يعنى أخى . انه ملحق بهيئة اركان حرب الجنرال ماسينا . هو يشبهنى تماما .

الملازم : (عقله يتشتت) اتعنين انك غير أخيك وانك أختك؟
الأخت التى تشبهنى شبها عظيما ؟ والى لها عيناي الزرقاوان الحميلتان ؟ الزرقاوان الحميلتان ؟ هذا كذب : عيناك لاتشبهان عيني بل هما طبق الاصل من عينيك أنت .

نابليون : (يحاول ضبط اعصابه التى توشك على الافلات)
ايها الملازم : اطع اوامرى وغادر هذه الغرفة مادمت قد اقتنعت أخيرا بأن هذه السيدة ليست رجلا .

- الملازم : ليست رجلا ! لا أظن . ما من رجل يخون ثقه . .
- نابليون : (وقد طفح كيله) كفى ياسيدى : سامع ؟ هل ستترك الغرفة ؟ أنا أمرتك بالانصراف .
- السيدة : ارجوك ان تدعنى انا أذهب بدلا منه .
- نابليون : (بلا مجاملة) معذرة ياسيدتى . مع كل احترامى ل أخيك ، انا لا أفهم ما الذى يريده أحد ضباط هيئة اركان حرب الجنرال ما سينا من خطاباتى . لدى بضعة أسئلة أريد ان اوجهها اليك .
- جوزيبي : (بكياسة) هيا بنا ياسيدي الملازم (يفتح الباب) .
- الملازم : انا ذاهب . يا سيادة الجنرال : اعتبر بما حدث لى : حاذر من الجانب الطيب في طبيعتك (الى السيدة) سيدتى : اقدم لك اعتذارى . لقد ظننتك نفس الشخص ولكن من الجنس المضاد . وقد ضللتى ذلك بطبيعة الحال .
- السيدة : (تسترد بشاشتها) ما كان لك في ذلك ذنب . شتما يسرنى انك لم تعد غاضبا على ايها السيد الملازم (تمد له يدها) .
- الملازم : (ينحنى بشهامة ليقبلها) سيدتى . لم يعد بى أقل . . (يراجع نفسه وهو يتطلع الى اليد) يدك هى يد أخيك . وفي اصبعك نفس خاتمه ! .
- السيدة : (في عذوبة) نحن توأمان .
- الملازم : هذا يفسر الموضوع . (يقبل يدها) . ألف معذرة . انا لم أكثرث لمسألة الرسائل الرسمية : هذا موضوع

يهم سيادة الجنرال اكثر مما يهمنى : الذى يهمنى انا هو أن الجانب الطيب من طبيعتى قد أسىء استغلاله (يأخذ قبعته وقفازه وسوطه من على المائدة ويتأهب للانصراف) . ارجو عدم المواقفة بسيادة الجنرال على رحيلى . تفضل بقبول اعتذارى . (يخرج من الغرفة وهو يتحدث . جوزيبي يتبعه ويغلق الباب) .

نابليون : (يشيعهما ببصره ، بغیظ مركز) المغفل ! السيدة الغربية تبسم بعطف . يذرع الغرفة مقطباً حتى يصل إلى النقطة التى تقع بين المائدة والمدفأة وقد زایل به ارتباكها الآن وقد خلا بها .

السيدة : كيف اشكرک ، ياسيدى الجنرال ، على حمايتك ؟

نابليون : (يلتفت إليها فجأة) رسائل : الى بالرسائل ! (يمد يده لتضع فيها الرسائل) .

السيدة : سيدى الجنرال ؟ (بحركة لا ارادية تضع يديها على « الايشارب » كما لو كانت تريد أن تحمى شيئاً فيه) .

نابليون : لقد احتلت على ذلك الاحمق واخذتها منه . وتنكرت في زى رجل . اريد رسائل . هى هناك في صدر ثوبك ، تحت يديك .

السيدة : (ترفع يديها من موضعهما) من القسوة ان تحدثنى بهذا الشكل ! (تأخذ منديلها من « الايشارب ») انت تفرغنى . (تمس عينها كمالو كانت تريد ان تمسح دموعه) .

فابليون : من الواضح انك لا تعرفينى ، ياسيدتى ، وإلا
لوفرت على نفسك مئونة تصنع البكاء .

السيدة : (تبدو كأنها تبتسم من خلال دموعها) بل أعرفك .
انت الجنرال المشهور بونابرت .
(تنطق الاسم بلهجة ايطالية مشددة : بوو —
نابار — تى) .

فابليون : (بغضب وبالنطق الفرنسى) بونابرت ، ياسيدتى
بونابرت . الاوراق ، من فضلك .

السيدة : ولكنى أوكد لك . . (يختطف المنديل بغلظة) .
سيدى الجنرال ! (باستنكار) .

فابليون : (يخرج المنديل الآخر من صدره) لقد أعدت
أحد مندليك لضابطى الملازم حين نصبت عليه .
(ينظر إلى المنديلين) . نفس المنديلين . (يشمهما
ونفس الرائحة ، (يلقي بهما على المائدة) . أنا فى
انتظار رسائلى ، وسأخذها ، عند اللزوم ، بنفس
البساطة التى أخذت بها المنديل .

السيدة : (فى تأنيب واستنكار) هل انت — ياسيدى الجنرال
— من النوع الذى يهدد النساء ؟

فابليون : (بلا مواربة) أجل .

السيدة : (وقد اهترت ثقتها بنفسها تحاول كسب الوقت)
ولكنى غير فاهمة . أنا . .

فابليون : بل انت فاهمة تماما . لقد حضرت إلى هنا لأن
سادتك النمساويين قدروا اننى على مبعدة

سبة فراسخ . أنا دائما أحل في حيث لا ينتظرنى
أعدائى . لقد سرت بقدميك إلى عرين الأسد .
والآن ! انت سيدة شجاعة ، فكونى سيدة عاقلة
ليس عندى وقت أضيعة .
الأوراق . (يتقدم خطوة بهيئة تنذر بالسوء) .

السيدة : تنهار في غضبة الطفل الذى ضاقت به الحيل ،
وترتمى وهى تبكى على الكرسي الذى تركه الملازم
على كذب من المائدة) أنا شجاعة ! ما أقل ما
تعرف ! لقد قضيت اليوم في احتضار من الذعر .
أنا أشعر بألم هنا من توتر قلبي مع كل نظرة شك
وكل حركة تهديد .

اتظن أن كل انسان له شجاعتك ؟ رباه . ما بالكم
ايها الشجعان لا تعلمون الاعمال التى تقضى بها
الشجاعة ؟ لماذا تلقونها على عاتقنا نحن الذين لا نملك
من الشجاعة قيراطا ولا درهما ؟ ما أنا شجاعة :
أنا انفر من العنف ، وأشعر بالتعاسة امام الخطر .

نابليون : (باهتمام) ما بالك اذن تلقين بنفسك في الخطر ؟

السيدة : لانه ما من سبيل آخر : أنا لا استطيع ان اثق بأحد .
والآن لم يعد في شيء فائدة : كل هذا بسببك . انت
الذى لا تعرف الخوف لانك عديم القلب ، عديم
الشعور ، عديم . . (تقطع حديثها وترتمى على
ركبتها) اتوسل اليك يا سيدى الجنرال . دعنى
اذهب : دعنى اذهب ولا توجه الى اسئلة . سترد
اليك رسائلك وخطاباتك : اقسم لك .

- نابليون : (يمد يده) نعم : انا في انتظارها .
- (تلهث وقد ثبطت ملاحقته التي لا ترحم همتها
وجعلتها تفقد الامل في أن تلين قلبه بالملاطفة . تتطلع
اليه في حيرة وتنقب في ذهنها عن وسيلة تتغلب بها
عليه ولكنه يقابل نظرتها دون ان يترشحزح :
- السيدة : (تنهض اخيرا بزفرة قصيرة صامتة) سأحضرها
لك . انها في غرفتي . (تستدير ناحية الباب) .
- نابليون : سأرافقك يا سيدتي .
- السيدة : (ترفع قامتها في سمة نبيلة من الرقة الجريئة)
لا يمكنني يا سيدى الجنرال ان اسمح لك بدخول
مخدعي .
- نابليون : فلتبقى هنا اذن ، يا سيدتي ، بينما اكلف من يبحث
في مخدعك عن أوراقتي .
- السيدة : (تعدل عن خطتها بقلب حاقد) وفرّ تعبك . انها
ليست هناك .
- نابليون : كلا : سبق ان أخبرتك اين هي (يشير الى صدرها)
- السيدة : (بضراعة محبة) سيدى الجنرال : خطاب واحد
خاص قصير اريد ان احتفظ به . واحد فقط . تعطف
علىّ به .
- نابليون : (يبرود وتجهم) هل هذا طلب معقول يا سيدتي ؟
- السيدة : (متشجعة لانه لم يرفض طلبها صراحة) لا . ولهذا
السبب فلا بد أن تجيبه . هل كل طلباتك انت معقولة؟
آلاف الارواح من أجل انتصاراتك واطماعك

ومصيرك ! ثم ان مطلبي شيء ما أتفهه . وما أنا الا امرأة ضعيفة ، اما أنت فرجل شجاع . (تتصفح وجهه بعينين يملأهما توسل رقيق وتكاد تركع امامه من جديد) .

نابليون : (منتهرا) قومي ، قومي (يتحول عنها عابسا ويقوم بجولة عبر الغرفة ثم يتوقف لحظة ليقول ملتفتا) ما تقولينه تخريف وانت تعلمين ذلك . (تجلس في خضوع على الارىكة . حين يستدير ويلمح رأسها يشعر بانه حقق انتصارا كاملا وان له الآن أن يتسلى باللعب برهة مع ضحيته . يرجع ويجلس جنبا الى جنب معها . يبدو عليها الانزعاج وترحزح مبتعدة عنه قليلا . ولكن شعاعا من الامل المنتعش يتألق في مقلتها . يبادرها كرجل يستطيب نادرة خفية) ومن ادراك انى رجل شجاع ؟

السيدة : (مندهشة) انت ! الجنرال بوناپرت (بالنطق الايطالى) .

نابليون : نعم ، انا ، الجنرال بوناپرت (يضغط على النطق الفرنسى)

السيدة : كيف يمكن أن تسأل مثل هذا السؤال ؟ أنت ! الذى وقفت منذ يومين فقط لدى القنطرة في « لودى » ورائحة الموت تملأ الجو ، تقاتل في تراشق بالمدافع عبر النهر ! (ترتعد) . انت تقوم بأعمال شجاعة .

نابليون : وانت كذلك .

- السيدة : أنا ؟ (بفكرة غريبة مفاجئة) اترك جباننا ؟
- نابليون : (يضحك بلا بشاشة ويضرب على ركبتيه) هذا السؤال الذى لا يجب ان توجهيه إلى جندى الجاويش يسأل عن طول المجند وعن سنه وعن نفسه وعن اطرافه ولكنه لا يسأل أبدا عن شجاعته.
- السيدة : (كما لو كانت لا تعتبر ذلك مادة للضحك) تستطيع أن تسخر من الخوف . اذن فانت لا تعرف ماهو الخوف .
- نابليون : أريد أن أسألك شيئا . هي انه كان في امكانك أن تحصلى على ذلك الخطاب بالحضور إلى عبر تلك القنطرة في « لودى » أول من أمس ! هي انه لم يكن هناك سبيل آخر ، وان هذا كان سيلا مضمونا . . لو انك فقط نجوت من المدفع ! (ترتعد وتغلى عينيها هنيهة بيديها) . أكان يراودك خوف ؟
- السيدة : خوف فظيع . خوف كالاحتضار . (تضغط على قلبها بيديها) أن مجرد التفكير في ذلك يوجعنى .
- نابليون : (لا يلين) هل كنت تحضرين في طلب الرسائل ؟
- السيدة : (تغمرها صورة الفزع) لا تسلى كنت أحضر
- نابليون : له ؟
- السيدة : للضرورة احكامها . لانه ما من سبيل آخر .
- نابليون : (باقتناع) لان رغبتك في الحصول على الخطاب كانت قوية لدرجة تنسيك خوفك .

(ينهض فجأة ويتخذ هيئة خطابية مقصودة) شعور
واحد يشترك فيه الناس جميعا : الخوف . ومن
بين آلاف الصفات التي قد يتصف بها الانسان فان
الصفة الوحيدة التي تجدينها مشتركة بين اصغر
عازف للطبل في جيش وبينى هي قطعا . . الخوف .
الخوف هو الذى يحفز الرجال على القتال : أما
الذى يجعلهم يولون الادبار فهو عدم الاكتراث :
الخوف هو عصب الحرب الاول . الخوف !
أنا أعرف الخوف معرفة خبير . أعرفه خيرا منك
وخيرا من أى امرأة . ذات مرة شاهدت الرعاع
في باريس يفتكون بفرقة من الجنود السويسريين
الاشداء لاني خشيت التدخل : عندما تابعت هذا
المنظر ببصري شعرت بانى جبان من رأسى إلى
اخمص قدمى . ومنذ سبعة شهور انتقمت لعارى
بان امطرت الرعاع بوابل من قذائف مدفعيتى .
ما رأيك في هذا ؟ هل حال الخوف يوما بين أى رجل
وبين شيء يريد حقيقته . . أو أى امرأة ؟ اطلاقا .
تعالى معى وسأريك عشرين ألف جبان يقبلون أن
يخاطروا يوميا بحياتهم في سبيل ثمن كأس براندى
(١) وهل تظنين انه ليس في الجيش نساء اثبت
جنانا من الرجال رغم ان حياتهن اثنى من حياتهم ؟
أنا لا يهمنى خوفك أو شجاعتك . وإذا كنت قد
أتيت الى في « لودى » لما شعرت بخوف : ما أن

(١) نوع من الخمر .

تبلغى القنطرة حتى يغض كل شعور آخر امام
ضرورة ... ضرورة . . شق طريقك الىّ والحصول
على ما تريد .

والآن ، هي انك فعلت كل هذا ! هي انك
قد خرجت والخطاب في يدك وانت تعلمين أن
الساعة حين أزفت فان الخوف لم يجعل قلبك هو
الذي يتوتر بل قبضتك على غرضك ! وانه لم يعد
خوفا بل استحال إلى بأس شديد وقدرة على النفاذ
وهمة وعزيمة كالحديد ! كيف تجيبين اذن لو
سألك سائل عما إذا كنت جبانة ؟

السيدة : (تنهض) انت لعمري بطل . بطل حقيقى .

نابليون : ما من شيء اسمه بطل حقيقى . (يحوم في الغرفة
مستخفا بحماسها وان كان غير مستاء من نفسه بحال
من الاحوال لانه أثاره) .

السيدة : بل هو شيء موجود . هناك فرق بين ما تسميه
شجاعتي وبين شجاعتك . انت أردت أن تكسب
معركة « لودى » لنفسك لا لأى شخص آخر .
اليس كذلك ؟

نابليون : طبعا . (يستدرك فجأة) لا ، ابدا (يلم شتات
نفسه باجلال ويقول ، كرجل يقود قداسا دينيا)
ما أنا الا خادم لجمهورية فرنسا أترسم في تواضع
خطى ابطال العصور القديمة الكلاسيكية . أنا اكسب
المعارك من أجل الانسانية : اكسبها لبلدى لا لنفسى .

السيدة : (كاسفة البال) ما انت اذن في الواقع سوى بطل
انثوى . (تعود إلى الجلوس وقد تبخر كل حماسها)

نابليون : (في شدة الدهشة) انثوى !

السيدة : (فاترة الهممة) أجل ، مثلى . (باكتئاب عميق)
اتظن انى لو كنت لا أريد تلك الرسائل الا لنفسى
كانت الشجاعة تواتينى للمغامرة من أجلها وسط
المعركة ؟ كلا : لو كان هذا كل ما هنالك لما
واتتنى الشجاعة حتى لالتماس مقابلتك في الفندق
الذى تقيم فيه .

شجاعتي ماهى الا عبودية : هى لا تجدينى شيئا
لاغراضى الخاصة . أنا لا أقدم على ما يفرعنى الا
بدافع من الحب أو بدافع من الشفقة أو من الحرص
على انقاذ شخص آخر وحمايته .

نابليون : (باحتقار) منهى التفاهة ! (يتحول عنها في
استهانة) .

السيدة : ها انت ترى اننى لست شجاعة حقاً . (يعاودها
فتور همتها) ولكن بأى حق تحتقرنى إذا كنت
حين تكسب المعارك لاتكسبها الا لاجل الآخرين
لبلدك ! ويدافع من وطنيتك : هذا هو ما اسميه أنا
بالانثوية : ولا يفعل هذا الا فرنسى ! .

نابليون : (هائجا) انا لست فرنسيا .

السيدة : (ببراءة) حسبت انك قلت انك كسبت معركة
« لودى » من أجل بلدك يا سيدى الجنرال بو .
هل انطق اسمك بالايطالية ام بالفرنسية ؟

نابليون : أنت يا سيدتى تحملين صبرى فوق ما يطيق . انا من
رعايا فرنسا بالميلاد ولكنى لست من مواليد فرنسا .

السيدة : (تتظاهر بأن اهتمامها بشخصه قد زاد كثيرا) أنت
فيما أظن ، لم تولد من الرعايا اطلاقا .

نابليون : (في غاية السرور) هه ؟ ماذا ؟ هذا رأيك ؟

السيدة : أنا واثقة مما أقول .

نابليون : ربما كنت على حق . (رضاه عن نفسه ، الذى

تنطوى عليه هذه الموافقة يقرع سمعه . يمسك عن
الكلام ويحمر وجهه . يبادر فيتخذ هيئة مهيبة تماثل
هيئة ابطال العصور القديمة الكلاسيكية ويعطى لكلامه
نبرة اخلاقية سامية) . ولكننا - أيتها الصغيرة -
لا ينبغي ان نعيش لا نفسنا وحسب . تذكرى دائما
وابدا أننا يجب أن نفكر في غيرنا آثناء الليل واطراف
النهار ، وأن نعمل من أجل الآخرين ، ونقودهم
ونحكمهم لمصلحتهم هم . التضحية بالذات هى
اساس كل خلق كريم .

السيدة : (تعود الى الاسترخاء بزفرة) يستطيع المرء ان يرى
بسهولة انك لم تحاول ذلك قط يا سيادة الجنرال .

نابليون : (مستنكرا وقد نسي كل ما يتعلق بروتوس (١)
وسيبيو (٢) ما الذى تعنيه بهذا القول يا سيدتى ؟

(١) بروتوس أحد قضاة روما عاش في القرن الأول قبل الميلاد واشترك في قتل
يوليوس قيصر . لاستبداده . وهو معروف بالتاريخ بأنه جمهورى متطرف
يفضحى بكل شيء - حتى بحياته - في سبيل مبادئه .

(٢) سيبو بطل روماني عاش في القرن الثاني قبل الميلاد . وهزم هينبال وقرطاجة .

السيدة : اما لاحظت ان الناس تهول دائما من شأن ما يعوزها؟
الفقراء يظنون انه لا ينقصهم سوى الثروة ليكونوا
في غاية السعادة والطيبة . وما من شخص الاويقدس
الصدق والنقاء والايتار لنفس السبب : لان الناس لم
ينجبروها . آه لو كانوا يعلمون .

نابليون : (بتصميم غاضب) لو كانوا يعلمون ! خبريني من
فضلك . وأنت . هل تعلمين ؟

السيدة : أجل ، فقد كان من سوء حظي ان أولد طيبة القلب .
(ترفع نظرها اليه لحظة) واؤكد لك يا سيدي
الجنرال ان هذا من سوء الحظ . انا حقيقة اتصف
بالصدق والايتار وباقي هذه الصفات . ولكنها ليست
في الواقع الا جبنا وضعف شخصية وعجزا عن
تحقيق الانسان لذاته وعن الشعور بذلك شعورا حقيقيا
وقويا وايجابيا .

نابليون : ماذا ؟ (يلتفت اليها بسرعة بومضة من الاهتمام
الشديد) .

السيدة : (بحرارة وحماسها يتصاعد) ما سر قوتك ؟ مجرد
أنك تؤمن بنفسك . انت تستطيع ان تقاتل وان تقوم
بفتوح لنفسك لا لأحد آخر . وأنت لا تخاف
مصيرك . انت تعلمنا ما يمكن ان نكونه كلنا اذا
أوتينا ارادتك واقدامك . ولهذا السبب (تر كع
فجأة على ركبتيها امامه) بدأنا نعبدك . (تقبل
يديه) .

نابليون : (مخرجاً) العفو ، العفو . انهضى ، ارجوك ،
يا سيدتى .

السيدة : لا ترفض هذا الاجلال من جانبي : انه حقك .
ستكون امبراطورا على فرنسا .

نابليون : (فورا) حذار . خيانة !

السيدة : (في اصرار) نعم . امبراطورا على فرنسا ثم على
اوروبا وربما على العالم . وما أنا الا أول شخص من
رعايك يقسم لك يمين الطاعة والولاء . (تقبل يده
ثانية) يا جلالة الامبراطور !

نابليون : (مغلوبا وهو يرفعها) أرجوك ، ارجوك . لا . لا .
هذا جنون . هيا : خلّ عنك ! خلّ عنك ! (يربت
عليها) هكذا أحسن ، هكذا أحسن ! يا فتاتي .

السيدة : (تغالب دموعا سعيدة) أجل . انا أعلم ان من التطفل
ان أخبرك بما لا بد أنك تعرفه خيرا مني بمراحلي .
ولكني أرجو الا تكون غاضبا على .

نابليون : غاضبا ! لا ، لا . البتة ، البتة . هيا : انت امرأة
غاية في الحصافة ورقة الشعور وطلاوة الحديث .
(يربت على خدها) . هل نعقد عهدا للصداقة بيننا ؟

السيدة : (وقد استخفها الجذل) واكون صديقة لك !
ستسمح لي بان اكون صديقتك ! وافرحته ! (تمد
كلتا يديها بابتسامة مشرقة) . انظر : ها أنا أعرب
لك عن ثقتي فيك .

(هذا الصدى الغافل لقصة الملازم يهدم ما بنته .

نابليون يحفل . عيناه يتطاير منهما الشرر : تصدر
منه زعقة غضب مدوية) .

نابليون : ماذا !!!

السيدة : ماذا جرى ؟

نابليون : تعرين لى عن ثقتك فيّ ! لكى أعرب بدورى عن
ثقتى فيك بتركك تغافلىني وتهرين بالرسائل . اليس
كذلك . آه يا دليله (١) . كنت تجرين أحاييلك
فيّ وانخدعت انا بالبساطة التى انخدع بها ضابطى
الحمار . (مهددا) الىّ بالرسائل . بسرعة : لن
اتركك تهزئين بى الآن .

السيدة : (تعدو خلف الاريكة) سيادة الجنرال . .

نابليون : قلت لك ، بسرعة . (يهرع الى منتصف الغرفة
ويقطع عليها الطريق وهى تتجه شطر الكرمة) .

السيدة : (وقد أرغمت على المواجهة تترك لغضبها العنان)
كيف تجسر على مخاطبتي بتلك اللهجة ؟

نابليون : أجسر ؟

السيدة : أجل تجسر . من أنت حتى تأذن لنفسك بمخاطبتي
بهذه الوقاحة . ما أسهل ما تغلبك طبيعة المغامر
الكورسيكى الوضيعة السافلة .

نابليون : (وقد جن جنونه) ليتها الشيطانة اللعينة . (بضراوة
للمرة الاخيرة هات تلك الأوراق والا انتزعتها
منك . . بالقوة !

(١) المرأة التى أسلمت شمشون لأعدائه بعد أن قصت شعره الذى كانت تكمن فيه قوته .

السيدة : انزعها مني : بالقوة .

(ينظر اليها كنمر على وشك الوثوب وإذا بها تشبك ذراعيها متقاطعين على صدرها في شكل صليب وفي هيئة كهنة الشهيدة . الحركة والموقف الذي اتخذته يوقظان غريزته المسرحية على الفور : ينسى غضبه امام رغبته في أن يثبت لها انه لا يقل عنها قدرة على التمثيل ايضا . يتركها برهة نهبة القلق ثم يطلق اساريه فجأة . يضع يديه خلف ظهره برود استفزازي ويتنشق قليلا من السعوط . لمسح اصبعيه بعناية ويضع منديله في جيبه . هيئتها البطولية المضحكة تصبح مضحكة أكثر مع مرور الوقت .)

نابليون : (اخيرا) وبعد ؟

السيدة : (تضرب اخماسا في اسداس وذراعاها لايزالان متقاطعين في هيئة بتل) ماذا تراك فاعل ؟

نابليون : أفسد زوعة وقفك الدرامية .

السيدة : أيها المتوحش ! (تتخلي عن وقفها المسرحية وتسير حتى طرف الاريكة ثم تستدير وتعيدها ظهرها . تميل عليها وتواجهه ويدها وراء ظهرها) .

نابليون : هذا أفضل . والآن اسمعي . أنا استلطفك . وأكثر من هذا فاني اقدر اجترامك .

السيدة : انت إذن تقرر مالا تملك .

نابليون : سأملكه فورا . والآن انتبهى إلى ما أقول . هي انى تركت نفسى تتأثر بما ينبغى لبنات جنسك من

احترام وبحسبك وبطولتك إلى آخر هذا الكلام !
هي انه ما من شيء سوى هذا الهراء العاطفي يقف
بين هذه العضلات ، عضلاتي ، وبين تلك الأوراق
التي في حوزتك والتي اريدها وانوى أخذها ! هي
انني ، والغنيمة في متناول قبضتي ، تحاذلت
وانصرفت خالي الوفاض أو - اسوأ من هذا -
انني سترت ضعفى بتمثيل دور البطسل الهمام ولم
اعاملك بقسوة كنت لا أجد في نفسى الجرأة على
استخدامها ! ألن تكون نتيجة ذلك ان تحتقريني من
اعماق روحك النسائية ؟ هل هناك امرأة تبلغ هذه
الدرجة من الحمق ؟ أقول لك الحق : بونابرت
يستطيع أن يرتفع إلى مستوى الموقف ويتصرف عند
اللزوم كما تتصرف المرأة . هل فهمت ؟

(سيدة تنصب عودها دون أن تنبس بكلمة
وتخرج رزمة أوراق من صدرها .
تعصف بها ، مدى لحظة ، رغبة جامحة في أن تقذف
بها في وجهه ، ولكن تربيتها العالية تحول بينها
وبين أى تنفيس غير كريم عما يجيش في صدرها .
تسلمه الأوراق بادب مكثفة بالاعراض عنه .
بوجهها . ما ان يتناول الاوراق حتى تنطلق مسرعة
إلى الجانب الآخر من الغرفة . تجلس وتدارى
وجهها بيديها .)

نابليون : (يتأمل الاوراق بشعور من الارتياح الظافر) حسنا .
حسنا . (قيل أن يفضيها يحدجها بنظرة وهو يقول)
عن اذنك . (يرى انها تخفى وجهها) . حاقدة .

على ، أليس كذلك ؟ (يفك الرزمة التي كان
ختمها مكسوراً ويضعها على المائدة ليفحص
محتوياتها) .

السيدة : (بهدوء ، تنخفض يديها لتريه أنها لا تبكى وإنما فقط
تفكر) لا . انت على حق . ولكنى أشعر بالأسف
من أجلك .

نابليون : (يتوقف وهو يلتقط الورقة المستقرة بأعلى الرزمة)
تشرين بالأسف من أجلى . وما الداعى ؟

السيدة : سأراك وانت تفقد شرفك .

نابليون : أليس هناك أسوأ من هذا ؟ (يأخذ الورقة)

السيدة : وسعادتك .

نابليون : سعادتي ! ليس في هذه الدنيا شيء يسبب لى من
الضجر ما تسببه السعادة . هل كان من الممكن أن
أصل إلى ما وصلت اليه لو اننى تعلقت باهداب
السعادة ؟ هل لديك شيء آخر ؟

السيدة : لا .

نابليون : عظيم .

السيدة : اللهم الا انك ستظهر أمام فرنسا بمظهر الرجل
الاحمق .

نابليون : (مبتدرا) ماذا تقولين ؟ (اليد التي تفض الورقة
تتوقف بطريقة لا ارادية . السيدة ترميه بنظرة لا
تفصح عن معناها ، في صمت لا يعكسه شيء) . ما
ما قصدك ؟ هه ؟ حيلة أخرى من حيلك ؟ اتظنين .

انى اجهل ما تحتويه هذه الاوراق ؟ سأقول لك .
أولا افادة لى بشأن تفهقر « بوليو » شيان لا ثالث
لهما يستطيع أن يفعلهما . . هذا المغفل الذى لم يؤت
مخا ولكن كتلة من الجلد . . أما ان يسد على نفسه
المنافذ في « مانتوا » أو أن يخرق حياذ « البندقية »
بالاستيلاء على « بسكييرا » انت احدى جواسيس
هذا القائد الذى يفكر بكتلة من الجلد في رأسه :
لقد اكتشف انه كان ضحية لخيانة فأرسلت لتسقطى
الاخبار لعل وعسى . كما لو كان ذلك يمكن أن
ينقذه من براثنى . الاحمق العجوز ! أما باقى
الأوراق فما هى سوى خطاباتى الخاصة الواردة
من باريس والتي لا تعلمين عنها شيئا .

السيدة : (على الفور وبلهجة رجال الاعمال) سيدى
الجنرال : لنجرى قسمة عادلة . نخذ المعلومات
التى بعث بها جواسيسك بشأن الجيش النمساوى
وأعطينى خطابات باريس . حسبي ذلك .

نابليون : (وقد انبهرت أنفاسه لما فى هذا العرض من برود
قسمة عا . . (يلهث) يبدو لى ، ياسيدتى ، انك
اصبحت تعتبرين خطاباتى مملوكة لك ملكية خاصة
واننى أحاول سرقتها منك .

السيدة : (بحرارة) لا : اقسم بشرفى انى لا اطلب شيئا
من خطاباتك : أنا لا أطلب الاطلاع على كلمة
موجهة منك أو اليك . هذه الرزمة فيها خطاب
مسروق : خطاب كتبه امرأة لرجل : لرجل غير
زوجها : خطاب يحمل بين طياته العار والفضيحة ..

- نابليون : خطاب غرامى ؟
- السيدة : (بين المرارة والحلاوة) وهل يشير مثل هذه الحفيظة
غير خطاب غرامى ؟
- نابليون : وما السر في موافاى به؟ لوضع الزوج تحت رحمتى؟
- السيدة : لا ، ابدأ : هذا الخطاب لن يفيدك في شيء . اقسم
لك انك لن تخسر شيئا باعطائه لى . لقد ارسل لك
من باب النكاية ليس الا : ارسل لك بغرض واحد
هو الاساءة إلى المرأة التى سطرته .
- نابليون : لماذا اذن يرسل إلى لا الى الزوج ؟
- السيدة : (تباغت تماما بهذا السؤال) ويحى ! (تغوص ثانية
في الكرسي) أنا لا . . لا أدري .
(تنهار) .
- نابليون : ها ، ها ! لم يغب ذلك عنى : قصة صغيرة من
تأليفك لاستعادة الأوراق . صدقنى ، أنا لا
يسعنى الا ان اشعر نحوك بالاكبار . بودى لو أن
لى مثل هذه القدرة على اختلاق الاكاذيب ، اذن
لوفرت علىّ تعباً كثيراً .
- السيدة : (تعتصر يديها المتشابكتين) كم كان بودى أن
أكون فعلاً قد كذبت عليك ! إذن لصدقتنى .
الصدق هو الشيء الوحيد الذى لا يقبل تصديقه احد .
- نابليون : (بمباشطة وقحة . يعاملها كما لو كانت احدى
بائعات الاطعمة والمشروبات في معسكر من
معسكرات الجيش) رائع ! رائع ! (يضع يديه

خلف ظهره على المائدة ويرفع نفسه عليهما ويجلس ويداه على خاصرته وساقاه منفرجتان بزاوية عريضة) دعك من هذا: أنا كورسيكى قح في ولعى بالقصص ولكنى استطيع أن احكيها احسن منك لو اننى وطدت نيتى على ذلك . المرة التالية التى تسألين فيها لماذا لا يرسل الخطاب الذى فيه تشهير بالزوجة إلى زوجها اجيبي ببساطة : لان الزوج لن يقرأه . هل تتصورين ، أيتها الساذجة ، أن رجلا من الرجال يهتم أن يجد نفسه مضطرا تحت ضغط الرأى العام إلى أن يقيم الدنيا ويقعدها ، وأن يدخل في مبارزة ، وأن يخرب بيته ويسىء إلى مستقبله باثارة فضيحة ، إذا استطاع ان يتفادى كل ذلك بالحرص على أن يظل جاهلا بكل شيء .

السيدة : (متمرده) هب أن في تلك الرزمة خطابا عن زوجتك انت ؟

نابليون : (يقوم باستياء من على المائدة) هذه ، ياسيدتى ، وقاحة منك .

السيدة : (بذلة) لا تؤاخذنى . زوجة قيصر فوق الشبهات .

نابليون : (يتكلف هيئة استعلاء) هذا حشر لنفسك فيما لا يعنك . لقد صفحت عنك وأرجو ، في المستقبل ، الا تقحمى اشخاصا حقيقين فيما تؤلفين من روايات .

السيدة : (تتجاهل بأدب كلاما لا يعدو في نظرها ان يكون خرقا لما تقضى به قواعد اللياقة) سيدى الجنرال :

هناك فعلا ، في هذه الاوراق ، خطاب من امرأة .
(تشير الى محتويات الرزمة) اعطى هذا الخطاب .

نابليون : (بلجاجة خالية من الرقة) لمه ؟

السيدة : صاحبه صديقة قديمة لى : كنا معا في المدرسة . وقد
كتبت تتوسل الى ان امنع هذا الخطاب من الوقوع
بين يديك .

نابليون : ولماذا ارسل الى .

السيدة : لان فيه تشهيرا بسمعة « باراس » عضو حكومة
الدير كتوار .

نابليون : (يقطب جبينه وقد بدا عليه بوضوح انه بهت)
باراس ! ! (بعظمة) نخل بالك يا سيدتى . باراس
عضو الدير كتوار صديق شخصى حميم لى .

السيدة : (تطرق رابطة الجأش) أجل . اصبحتما صديقين عن
طريق زوجتك .

نابليون : من جديد ! ألم أنك عن التحدث عن زوجتى ؟
(يظل بصرها شاخصا اليه في فضول دون ان تلقى
بالا لتعنيفه . يضطرم غيظه اكثر وأكثر . يتخلى عن
تعاليه الذى يضيق هو نفسه به ذرعا الى حدهما
ويسألها في توجس وهو يخفض صوته) من هذه
المرأة التى تعطفين عليها بهذه الدرجة من العمق ؟

السيدة : أنا لست في حل يا سيدى الجنرال من اجابتك على
هذا السؤال .

نابليون : (محتدا وقد بدأ يذرع الغرفة من جديد في بلبلة حائقة)

أجل . ساندن بعضكن . كلكن ايتها النسوة ، سواء .

السيدة : (بأنفة) نحن لسنا سواء أكثر منكم . اتظن اننى أنا اذا احببت رجلا آخر اتظاهر بانى مازلت متعلقة بحب زوجى او اخشى اطلاعه هو او العالم اجمع على الحقيقة ؟ ولكن هذه المرأة تختلف عن ذلك . هى تتحكم فى الرجال بخداهم وهم يرحبون بذلك ويسلمون لها قيادهم . (تعيره ظهرها بامتهان)

نابليون : (لايغنى بها) باراس ؟ باراس ؟ (بلهجة تهديدية شديدة ووجه مكفهر) حذار .

حذار : سامعة ؟ قد يودى بك ذلك فى داهية .

السيدة : (تدير وجهها اليه ببراءة) ماذا حدث ؟

نابليون : ما الذى ترمين اليه ؟ من هذه المرأة ؟

السيدة : (تقابل نظرتة الغضبي الفاحصة بعدم احتفال وهى تجلس رافعة اليه بصرها) مخلوقة مغرورة غبية متبرجة ، زوجها رجل على قدر كبير من الكفاءة والطموح . وهو يعرفها ظهرا لبطن : يعرف انها كذبت عليه فيما يتعلق بسنها وبدخلها وبمركزها الاجتماعى وفيما يتعلق بكل ما تكذب النساء الغيبات فى شأنه : ويعرف انها عاجزة عن الوفاء لمبدأ من المبادئ او لشخص من الاشخاص . ومع ذلك فهو لا يستطيع ان يمنع نفسه من حبها . . لا يستطيع ان يمنع طبيعة الرجل فيه من استخدامها للتزلف الى باراس .

نابليون : (فى همسة خافتة وسورة غضب بارد) . هذه

طريقتك ايتها الهرة في الانتقام منى لاني اجبرتك على
اعطائي تلك الاوراق .

السيدة : هراء ! ام تراك تعنى انك هذا الصنف من الرجال .

نابليون : (مستشاطا من الغضب ، يشبك يديه خلف ظهره ،
واصابه ترتعش . يهتف وهو يتعد عنها في عصبية
صوب المدفأة) هذه المرأة ستدفعني الى الجنون
(اليها) اذهبي من هنا .

السيدة : (لاتتحرك في جلستها) لن اذهب من غير ذلك
الخطاب .

نابليون : قلت لك اذهبي . (يسير من المدفأة الى الكرمة ثم
يقفل راجعا الى المائدة) . مالك عندي خطابات .
انا انقر منك . انت امرأة بغیضة ، بشاعتك من
بشاعة الشيطان . انا لا أقبل ازعاجا من
نساء هوريات . اغربي عن وجهي . (يدير ظهره
اليها . تميل بنحدها على يدها في هو هادي وتضحك
منه . يستدير ثانية متكهما عليها بغضب) ها ! ها !
ها ! ما الذي يضحكك ؟

السيدة : انت ياسيدي الجنرال . كثيرا ما رأيت اشخاصا من
بنی جنسك يتصرفون كالاطفال حين يشعرون
بالاهانة . ولكن لم يسبق لي قط ان رأيت رجلا
عظيما حقا يفعل ذلك .

نابليون : (بغلظة ، يقذف الكلمات في وجهها) رياء في رياء
رياء سمج دنيء !

السيدة : (تهب واقفة ووجنتها تتوردان بلون كالوهج)
لله ما افطعك ! احتفظ بخطاباتك . واقرأ فيها قصة
عارك . عارك انت . هنيئا لك . وداعا . (تمضي
ساخطة في اتجاه الباب الداخلى) .

نابليون : عارى أنا . . ! مكانك . ارجعى . ارجعى بالامر .
(لا تعباً بما في لهجته الآمرة من شراسة وتواصل في
كبرياء طريقها الى الباب . يندفع نحوها . يقبض على
ساعدتها ويجررها الى مكانها الاول) . ما الذى
تريدينه بهذا القول . فسرى كلامك . فسريره والا . .
(متوعدا . تنظر اليه بتحد صامد) ايتها الشيطانة
العنيدة . (يرمى ذراعها) فيم امتناعك عن اجابة
سؤال مهذب ؟

السيدة : (تحس باساة بالغة لعنفه) وفيم سؤالك لى ؟ لديك
التفسير .

نابليون : أين ؟

السيدة : (تشير الى الخطابات على المائدة) هناك . ما عليك الا
أن تقرأه .

(يختطف الرزمة . يردد . ينظر اليها بارتياح ثم
يلقيها من يده ثانية .)

نابليون : يبدو انك نسيت اشفاقك على شرف صديقك القديمة

السيدة : لا أظنها الآن تجتاز أى خطر . هى لا تفهم زوجها
الفهم الصحيح .

نابليون : اذن فلأقرأ الخطاب ؟ (يمد يده كما لو كان بهم بالتقاط الرزمة ثانية وعينه عليها) .

السيدة : لست أرى مناصاك من ذلك الآن : (يسحب يده في الحال) . لا . لا تخف . ستجد فيه عديدا من الاشياء الطريفة .

نابليون : مثلا ؟

السيدة : مثلا ، مبارزة مع باراس ، ومشهد عائلي ، وخراب بيت ، وفضيحة علنية ، ومستقبل مشكوك فيه . أشياء من كل نوع وصنف .

نابليون : حسنا (يرمقها) . يأخذ الرزمة وينظر اليها . يزم شفتيه ويزنها في يده يمد بصره ثانية إلى الشجرة . ينقل الرزمة إلى يسراه ويضعها خلف ظهره . يرفع يميناه ليحك مؤخرة رأسه وهو يستدير ويمضي إلى حافة الكرمة حيث يقف لحظة ويسرح بنظره في الكروم مستغرقا في التفكير . السيدة ترقبه في صمت بشيء من الاستخفاف . يدور على عقبيه فجأة ويعود ادراجه بقوة عارمة وتصميم (. طلبك مجاب ياسيدتي . شجاعتك واصرارك يستحقان النجاح . خذى الخطابات التي ناضلت من أجلها خير نضال . وتذكرى من الآن فصاعدا انك وجدت المغامر الكورسيكي الجلف الذميم انسانا كرمه نحو المهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته في وجه العدو قبلها . (يقدم اليها الرزمة) .

السيدة : (ترميه بنظرة قاسية دون أن تتناولها) ترى ما الذي

تهدف اليه الآن ؟ انى اتساءل (يقذف بالرزمة هائجا ، على الأرض) اظننى افسدت هذه الهيئة المسرحية . (تركع امامه ركعة خفيفة في تهكم) .

نابليون : (ينتشل الرزمة ثانية) خذى الخطابات وأرحلى (يتقدم ويمدها اليها) .

السيدة : (تراوغه حول المائدة) لا : لا حاجة بى إلى خطاباتك .

نابليون منذ عشر دقائق ما كنت ترضين بها بديلا .

السيدة : (حريصة على أن تظل المائدة بينهما) منذ عشر دقائق لم تكن قد اهتمتى اهانة لا يحتملها انسان .

نابليون : أنا . . (يبتلع ضغيتته) أنا آسف .

السيدة : (يبرود) متشكرة . (بأدب اضطرارى يقدم اليها الرزمة عبر المائدة . تتقهقر خطوة بعيدا عن متناول يده وتقول) ولكن ألا تريد أن تعرف ما إذا كان النمساويون في « مانتوا » أو في « بسكيرا » ؟

نابليون : سبق أن اخبرتك ، ياسيدتى ، ان لدى القدرة على هزيمة اعدائى دون استعانة بجواسيس .

السيدة : والخطاب ! ؟ أما بك رغبة في الاطلاع عليه ؟

نابليون : أنت قلت انه غير موجه الى ، وليس من عادتى . أن اطلع على خطابات غيرى . (يقدم لها الرزمة من جديد) .

السيدة : في هذه الحالة ليس ثمة ما يمنع أن تحتفظ به . كل ما أردته أنا هو أن امنعك من قراءته . (ببشاشة) .

أرجو لك يوما طيبا ياسيدى الجنرال . (تتحول
بيروود تجاه الباب الداخلى) .

نابليون : (يقذف الرزمة بغضب على الارىكة) امنحني
الصبر ايتها السماء !) يمضى بعزم إلى الباب ويضع
نفسه امامه) . أما لديك أى أحساس بالخطر الذى
تعرضين له ؟ أم أنك من صنف النساء اللاتي
يستطعن الضرب والتعذيب .

السيدة : شكرا لك ياسيدى الجنرال : لا شك انها لذة
تشتهيها النفس . ولكننى افضل أن تعفينى منها .
ما أريده ببساطة هو أن اعود الى بلدى . هذا كل
ما هنالك . لقد أثمت فسرت رسائلك ، ولكنها
عادت اليك ، وقد غفرت لى ، لانك (تردد في
رقة وقع كلماته الخطابى) انسان كرمه نحو
المهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته
في وجه الاعداء قبلها . الا تريد أن تصافحنى
مودعا ؟ (تمد اليه يدها في دمائه) .

نابليون : (يرفض الدعوة بحركة من الغضب الماء ويفتح
الباب ليرعق بوحشية) جوزيبي ! (بصوت
أعلى نبرة) جوزيبي ! (يصفق الباب ، ويخطو
إلى منتصف الغرفة . السيدة تسير مسافة قصيرة
في الكرمة لتفاداه) .

جوزيبي : (يظهر لدى الباب) ناديتنى عظمتك ؟

نابليون : أين ذلك الاحمق ؟

جوزيبي : تناول غداء طيبا كأوامر عظمتك وهو الآن يشرفني بالمقامرة معي لقتل الوقت .

نابليون : ابعث به الى . احضره الى هنا . وتعال معه (جوزيبي بنفس الاستعداد ، يسرع خارجا . نابليون باقتضاب الى السيدة قائلاً) أنا مضطر إلى ازعاجك بالبقاء هنيهة اخرى ياسيدتي . (يذهب إلى الأريكة) .

(تأتي من الكرمة على طول الجانب المقابل من الغرفة حتى تبلغ الصوان ، تقف هناك وتميل على الخزانة وهي تلاحظه . يأخذ الرزمة من على الأريكة ويضعها بعناية وبحركات متعمدة في جيب سترته وهو ينظر إلى السيدة بتعبير من يريد أن يقول انها لن تلبث أن تكتشف معنى هذه الحركات وانها لن تسر لهذا المعنى . يسود الصمت بينهما إلى أن يصل الملازم وفي اثره جوزيبي الذي يقف في احترام تحت الطلب لدى المائدة . الملازم ، بدون قبعة ولا سيف ولا قفاز ، وقد حسنت الوجبة مزاجه وحالته المعنوية كثيرا ، يختار الجانب الذي تقف فيه السيدة وينتظر على راحة أن يبدأ نابليون الحديث) .

نابليون : سيادة الملازم .

الملازم : (مشجعا) سيادة الجنرال .

نابليون : لم افلح في اقناع هذه السيدة باعطائي كثيرا من المعلومات . ولكن الذي لاشك فيه ان ذلك الرجل الذي احتال عليك واخذ مافي عهدتك كان - كما اعترفت لك - اخاها .

الملازم : (ظافرا) ألم اقل لك ياسيدى الجنرال ! ألم اقل لك !

نابليون : عليك أن تجد ذلك الرجل . هذه مسألة يتعلق بها شرفك . ان مصير الحملة ، ومصير فرنسا ، وأوروبا بل ربما مصير الانسانية ، قد يتوقف على المعلومات التي تتضمنها تلك الرسائل .

الملازم : نعم . وأنا أظن انها فعلا رسائل خطيرة الشأن (كما لو كان هذا لم يخطر له من قبل) .

نابليون : (بحزم وعزم) خطيرة لدرجة انك ، اذا لم تستردها ، ستعزل من درجتك العسكرية في حضور آلايك .

الملازم : الى هذا الحد ! ثق ان فرقتك لن تسرّ لذلك .

نابليون : انا شخصيا آسف من أجلك . ولو ان المسألة في يدي لاسدلت عليها ستار الكتمان . ولكني سأحاسب لاني لم اتبع ما ورد بتلك الرسائل من تعليمات ، وسيكون من واجبي ان اثبت للعالم اجمع اني لم اتلقها على الاطلاق وذلك مهما كانت النتائج بالنسبة لك . أنا آسف ولكنك ترى انه لاحول لي ولاطول في هذا الموضوع .

الملازم : (بسماحة نفس) هون عليك ياسيدي الجنرال : هذه في الحقيقة منتهى الطيبة من جانبك . لا يهملك ما يحدث لي : سأخرج من هذا المأزق بطريقة أو بآخرى . وسنهزم النمساويين لاجل خاطرك ، بالرسائل او من دونها . ولكني ارجو الا تصر على فيامي بالبحث عن صاحبنا الآن عبثا فليس لدى اى فكرة عن المكان الذي يجب ان ابحث عنه فيه .

جوزيبي : (باجلال) أنسيت ياسيادة الملازم : ان فرسك معه

الملازم : (ينتشر) نسيت . (بتصميم) سأذهب في أثره
يا سيدى الجنرال : سأعثر على ذلك الفرس . اذا كان
حيا ، في اى مكان في ايطاليا . ولن انسى الرسائل :
اطمئن . جوزيبي : اذهب واسرج واحدا من
خيلك الجرباء العجوزة التى تستخدم في نقل البريد
بينما اذهب انا واحضر قبعتى العسكرية وسيبقى
وحوائجى . الى الامام « مارش » بالخطوة السريعة .
انطلق (يستحثه) .

جوزيبي : حالا ، يا سيادة الملازم ، حالا (يختفى في الكرمه
حيث يتخضب ضوء الشمس الآن بحمرة الاصيل) .

الملازم : (ينظر حواليه في طريقه الى الباب الداخلى) وعلى
فكرة ، ياسيادة الجنرال . ترى هل سلمت سيفى
لسيادتك ام لم اسلمه ؟ (١) آه . تذكرت (مرتبكا)
كله بسبب وضع رجل في الحبس وكل هذه الخزعبلات
الانسان لا يعرف ابدا اين يجد . . (يخرج من الغرفة
وهو يحدث نفسه) .

السيدة : (لا تزال لدى الصوان) ماذا يعنى كل هذا ياسيادة
الجنرال ؟

نابليون : لن يوفق في العثور على أخيك .

السيدة : بالطبع لا . ليس لمثل هذا الشخص وجود :

نابليون : وستكون الرسائل قد ضاعت بصفة نهائية ؛

(١) تقضى التقاليد العسكرية بأن يسلم الجندى الذى يصدر أمر بحبسه ، سلاحه
الى رئيسه قبل أن يذهب إلى الحبس .

- السيدة : هراء ! انها داخل سترتك .
- نابليون : سيكون من الصعب عليك - فيما يلوح لى - ان تثبتى مثل هذه الدعوى الطائشة . (تنتفض السيدة . يضيف بتوكيد حاسم) تلك الاوراق مفقودة .
- السيدة : (بلهفة ، تتقدم من ركن المائدة) ويضيع هباء مستقبل ذلك الشاب السيئ الحظ ؟
- نابليون : مستقبله ! هذا الفتى لا يستحق ثمن البارود الذى يتكلفه اعدامه رميا بالرصاص . (يستدير باحتقار ويمضى الى المدفأة ويقف عندها وظهره الى السيدة) .
- السيدة : (بكآبة) أنت شديد القسوة . ما الرجال والنساء عندك الا ادوات تستخدمها لاغراضك ، حتى اذا كان في ذلك تحطيمهم .
- نابليون : (يلتفت اليها) اينما حطم هذا الفتى ؟ أنا أم أنت ؟ من الذى احتال عليه وسلبه الرسائل ؟ هل فكرت وقتها في مستقبله ؟
- السيدة : (تشعر بتبكيت الضمير) ابدا ! لم يخطر لى على بال . كان ذلك عملا شريرا من جانبي ، ولكن لم تكن لى فيه حيلة كيف كان يمكنى بغير ذلك ان أحصل على تلك الاوراق ؟ (بضراعة) سيدى الجنرال : ارجوك ان تنقذه من العار .
- نابليون : (يضحك بمرارة) انقذيه انت ، ما دمت بارعة الى هذا الحد : انت التى قضت عليه . (بعنف وحشى) انا امقت الجندى الردىء .

(يخرج وقد حزم أمره على شيء ، عبر الكرامة .
تبعه بضع خطوات ببادرة استعطاف ولكن عودة
الملازم تقطع عليها مناشدتها . الملازم يرتدى قفازه
وقبعته العسكرية وسيفه وهو جاهز للخروج . اثناء
عبوره الغرفة الى الباب الخارجى تقطع عليه السبيل)

السيدة : سيادة الملازم .

الملازم : (شاعرا باهميته) لا تعطيلنى ، ارجوك . الواجب ،
يا سيدتى ، الواجب .

السيدة : (بتوسل) قل لى ياسيدى . ماذا ستصنع لآخى
المسكين ؟

الملازم : هل تحببـه كثيرا ؟

السيدة : سأموت كمدا اذا اصابه شيء . ارجوك الا تمسه بسوء ،
(الملازم يهز رأسه متكدرا) . أجل . أجل . حرام
عليك ان تقتله . انصت الى . اذا ارشدتك الى
مكانه . . اذا تعهدت لك بأن أسوقه اليك كسجين
لتسلمه انت للجنرال بونايرت . . هل تعدنى وعد
شرف كضابط وكجنتلمان الا تشتبك معه في قتال
او تغلظ عليه في المعاملة بصورة من الصور ؟

الملازم : ولكن هبى انه هاجمنى . ان مسدسى معه .

السيدة : هو أجبن من ذلك .

الملازم : انا لست متأكدا تماما من هذا . هو قادر على أى شيء .

السيدة : اذا هاجمك او قاومك باى صورة ، فانى احلك من
وعدك .

الملازم : ما قصدت أن أعد بشيء . اسمعى : أنت وهو في الشر سواء . هذا استغلال منك للجانب الطيب من طبيعتى . وماذا عن فرسى ؟

السيدة : مما تقضى به الصفقة ان تسترد فرسك ومسدسك .

الملازم : كلام شرف ؟

السيدة : كلام شرف . (تمد يدها) .

الملازم : (يأخذها ويبقيها في يده) اتفقنا : سأكون معه في وداعة الحمل . واخته آية في الجمال . (يحاول تقبيلها) .

السيدة : (تنفلت مبتعدة عنه) أيها السيد الملازم ! لقد نسيت . المسألة يتوقف عليها مستقبلك . . ومصير أوروبا . . والانسانية .

الملازم : دعيني من مصير الانسانية ! (يتجه نحوها) قبله واحدة .

السيدة : (تتراجع حول المائدة) استرد اولا شرفك كضابط . وتذكر انك لم تقبض بعد على اخي .

الملازم : (باغراء) اخبريني ، ارجوك ، أين هو ؟

السيدة : يكفي ان ارسل اليه اشارة ، وسيكون هنا خلال ربع ساعة .

الملازم : اذن فهو ليس بعيدا .

السيدة : لا : هو قريب جدا . انتظره هنا : وحين يتلقى رسالتى فسيحضر الى هنا في الحال ويضع نفسه طوع امرك . فهمت ؟

الملازم : (بارهاق ذهني) المسألة في الحقيقة معقدة الى حد ما ، ولكنى اظن ان الامور ستسير على ما يرام .

السيدة : والآن ، وحتى ذلك الوقت ، إلا تظن من المستحسن ان تعقد اتفاقا مع الجنرال ؟

الملازم : اسمعى : هذا الموضوع يزداد تعقيدا بشكل مخيف : اى اتفاق ؟

السيدة : اجعله يعدك بانك اذا قبضت على اخى فسيعتبر انك قد أبرأت ذمتك كجندى . وهو على استعداد للوعد باى شىء فى مقابل هذا الشرط .

الملازم : فكرة لا بأس بها . شكرا لك : اظن اننى سأجربها .

السيدة : افعل . وهناك مسألة يجب ان تأخذها قبل كل شىء فى اعتبارك : . لا تجعله يلمس مقدار براعتك .

الملازم : فهمت . لئلا يغار منى .

السيدة : لا تقل له الا انك مصمم على القاء القبض على أخى او الهلاك من دونه . هو لن يصدقك ، ثم اذا بك تقدم أخى . .

الملازم : (يستوقفها وقد فهم التدبير) واشمت فيه ! يالك من امرأة داهية (يصيح) جوزيبي !

السيدة : صه ! ولا كلمة عنى لجوزيبي . (تضع اصبعها على شفتيها . يفعل مثلها . ينظر كل منهما الى الآخر محذرا ثم تبسم له ابتسامة ساحرة وتحول حركة اصبعها الى قبلة ترسلها له ثم تعود خارجة من الباب الداخلى . الملازم ، كمن مس تيارا كهربيا ينفجر فى سلسلة من الضحكات المكتومة المتتابة .

(جوزيبي يعود من الباب الخارجى)

جوزيبي : الحصان جاهز ياسيدى الملازم .
الملازم : لم تأت بعد ساعة ذهابي . رح للجنرال وقل له اني اريد ان أحدثه .

جوزيبي : هذا لا يصح ابدا يسيادة الملازم .
الملازم : ولله ؟

جوزيبي : في هذا العام الشرير من الجائز ان يرسل جنرال في طلب ملازم ، اما الملازم فلا يحق له ان يرسل في طلب جنرال .

الملازم : رأيك اذن ان هذا قد لا يروق له . ربما كنت على حق : يجب الا تفوتنا مثل هذه الامور الآن وقد اصبحتنا جمهورية .

(نابليون يعود الى الظهور قادما من الكرامة وهو يشبك ازرار صدر سترته . وجهه شاحب وقصد استبدت به افكار طاحنة .)

جوزيبي : (غير متنبه الى اقتراب نابليون) بالضبط ، ياسيدى الملازم ، بالضبط . انتم كلكم الآن في فرنسا اشبه باصحاب الفنادق . يجب ان تراعوا آداب الحديث مع الجميع .

نابليون : (يضع يده على كتف جوزيبي) وفي هذا اطاحة بكل ما لآداب الحديث من قيمة . هذا قصدك ؟

الملازم : الرجل الذى كنت أريده ! انظر يسيادة الجنرال : افرض انى قبضت لك على ذلك الفتى !

نابليون : (بصرامة ساخرة) لن تقبض^{عليه} يا صاحبي .

الملازم : هذا ظنك . ولكنك سترى . قليلا من الصبر . ولكن
اذا قبضت عليه وسلمته لك ، هل تعتبر الموضوع
منتهيا ؟ هل تعدل عما قلته بشأن عزلى من رتبى
العسكرية امام فرقى ؟

أنا شخصا لا يهمنى ، ولكن ما من فرقة تحب أن
تسخر منها باقى الفرق .

نابليون : (وشعاع بارد من الفكاهة ينفذ وانيا من خلال
وجومه) ماذا تفعل بهذا الضابط يا جوزيبي ؟
كل كلامه خطأ .

جوزيبي : (على الفور) اجعله جنرالا يا صاحب العظمة
ويصبح كل كلامه صوابا .

الملازم : (مجلجلا) هو - هو ! (يلقي بنفسه في حالة شبه
هستيرية على الأريكة ليضحك للنكتة ملء جنبيه) .

نابليون : (يضحك ويقرص اذن جوزيبي) أنت مُهمَل
هذا الفندق يا جوزيبي . (يجلس ويجعل جوزيبي
يقف امامه كمدرس وتلميذ) هل آخذك معى
واصنع منك رجلا ؟

جوزيبي : (يهز رأسه بسرعة عدة مرات) لا لا لا لا لا لا
طول عمرى والناس تريد أن تصنع منى رجلا .
عندما كنت صبيا اراد قسيسنا الطيب أن يصنع
منى رجلا بتعليمى القراءة والكتابة . ثم اراد عازف
الارغن فى « مليجنانو » أن يصنع منى رجلا بتعليمى
قراءة النوتة الموسيقية . وكان جاويز التجنيد
يريد أن يصنع منى رجلا لو كنت اطول مما انا

يبضع بوصات . ولكن هذا كان معناه دائما اني
يجب أن أعمل . وأنا ، شكرا للسماء ، كسول ،
وكسلي يمنعني من ذلك ! لذا فقد علمت نفسي
الطهي واصبحت صاحب فندق . وعندي الآن
خدم يقومون بالعمل . أما أنا فليس لدى ما أتولاه
بنفسي سوى الكلام وهو شيء يناسبني تماما .

نابليون : (ينظر اليه بتفكر) هل انت راض ؟

جوزيبي : (باقتناع مبتهج) كل الرضا يا صاحب العظمة .

نابليون : وليس في داخلك شيطان مفترس عليك أن تطعمه

بالجهد والانتصار ليل نهار إلى درجة الاكتظاظ :

شيطان يجعلك تدفع بعرق ذهنك وجسمك اسابيع

من العمل الهرقلي (١) ثمنا لعشر دقائق من المتعة :

شيطان هو في وقت واحد عبدك وطاغية يستبد بك .

هو عبقريتك وهو حتفك : شيطان يأتيك بالتاج

في يد وبمجداف عبيد السفينة في اليد الأخرى :

شيطان يطلعك على كل ممالك الأرض ويعرض عليك

أن يجعلك سيدا عليها بشرط أن تصبح خادما

لها ! أليس فيك شيء من هذا ؟

جوزيبي : لا شيء منه البتة . وأنا أوكد لك ، يا صاحب العظمة ،

أن شيطاني المفترس اسوأ من ذلك بكثير . هو لا

يعرض على تيجانا ولا ممالك ، ويتوقع أن يحصل

على كل شيء مقابل لا شيء .

(١) هرقل نصف اله من آلهة الرومان مشهور بالقوة الخارقة وتروى عنه أساطير
عديدة في ذلك .

السجق ! والعجة ! والعنب ! والجن ! والعصيدة
والنبيد ! ثلاث مرات في اليوم يا صاحب العظمة :
وهو لا يرضى باقل من ذلك .

الملازم : حسبك يا جوزيبي : انت تجعلني أحس بالجوع
من جديد .

(جوزيبي ، بهزة اعتذار من كتفه ، يسحب نفسه من
الحديث) .

نابليون : (ينبري للملازم بتأدب ساخر) أرجو الا أكون أنا
قد جعلتك تحس بالطموح .

الملازم : مطلقا : أنا لا أحلق في اجواز الفضاء العالية . وفضلا
عن ذلك فأنا أسعد حالا بوضعي الراهن : الرجال
من امثالي مطلوبون في الجيش في الآونة الحاضرة
الثورة ، في الحقيقة ، كانت بالنسبة للمدنيين شيئا
عظيما . ولكنها لن تنجح في الجيش . انت يسيادة
الجنرال تعرف الجنود : هم يفضلون أن يكون
ضباطهم من ابناء الاسر .

والضابط الصغير لابد أن يكون « جنتلمانا » لشدة
اختلاطه بالرجال . أما الجنرال ، أو حتى الكولونيل
فليس ما يمنع أن يكون من الحثالة مادام يفهم شغله
بما فيه الكفاية . الملازم جنتلمان : أما الباقي فكله
مسألة حظ ! ولكي اثبت لك ذلك فاني أسألك :
من في رأيك هو الذي كسب معركة لودي ؟ سألني
أنا : الذي كسبها هو فرسي .

نابليون : (ينهض) هوسك يشطح بك بعيدا ياسيدي . فتح
عينك .

الملازم : مطلقا . اتذكر تبادل اطلاق نيران المدفعية الحمراء
عبر النهر : النمسيون يقصفون مواقعك ليمنعوك
من العبور ، وانت تقصف مواقعهم لتمنعهم من
اشعال النار في القنطرة ؟
ألم تلاحظ اين كنت أنا عندئذ ؟

نابليون : آسف . كان لدى ما يشغلي فيما أحسب .
جوزيبي : (بفورة اعجاب) يقولون انك ياسيادة الجنرال
قفزت من صهوة جوادك واشتغلت بيديك في اطلاق
المدافع الكبيرة

الملازم : هذه كانت غلطة ؛ : الضابط لا يجب أن ينزل
ابدا إلى مستوى رجاله . (نابليون ينظر اليه نظرة
تحمل نذيرا لخطر ويشرع في السير كالنمر غدوا
ورواحا) . ولولا اننا نحن سلاح الفرسان قد عثرنا على
موضع من النهر يمكن خوضه وعبرنا إلى الضفة الاخرى
وجعلنا « يوليو » العجوز يدير لك جناحه لكنت
لا تزال حتى هذه الساعة تقصف مواقع النمسيين هـ
انت سيد من يعلم انك لم تجرؤ على اصدار الأمر
بمهاجمة القنطرة الا بعد أن رأيتنا في الضفة الاخرى
وبناء عليه فانا أقول ان الذي كسب معركة لودي
هو ذلك الذي وجد موضع النهر الذي يمكن العبور
منه . وسؤالى هو : من وجد ذلك الموضع ؟ أنا
كنت أول من عبر النهر وأنا اعرف الرد : فرسى
هو الذي وجدته . (باقتناع ، وهو ينهض من
الاريكة) ذلك الفرس هو قاهر النمسيين الحقيقي .

نابليون : (في شدة الغضب) أيها المغفل : سأجعلك تعدم
رميا بالرصاص لانك اضعيت تلك الرسائل :
سأجعلك تطلق من فوهة مدفع : لا شيء اقل من
هذا يمكن أن يؤثر فيك .

(يصرخ فيه بصوت كالنباح) سامع ؟ فاهم ؟
الملازم : (لا تهتز) إذا لم اقبض عليه ، ياسيدى الجنرال
تذكر إذا .

نابليون : إذا ! أيها الحمار : ليس هناك مثل هذا الرجل .
الضابط : (يخطو بينهما فجأة ويتحدث بصوت هو - دون
أن يكون ثمة مجال لخطأ - صوت السيدة الغريبة)
سيدى الملازم : أنا أسيرك . (تسلمه سيفها) .

(نابليون يحملق فيها لحظة كالمصعوق ، ثم يمسكها
من معصمها ويجريها بنخشونة اليه وهو ينظر اليها
بامعان مكشرا عن أنيابه ليتأكد من شخصيتها فقد
بدأ الظلام الآن ينجم مع دخول الليل وحل ضوء
الكواكب الرقراق محل الوهج الاحمر في أعلى
الكرمة) .

نابليون : اللعنة ! (يطوح يدها بعيدا بصيحة تفرز ويوليها
ظهره وقد وضع يده في صدره .
(حاجبه يتدلى واصابع قدميه . ترتعش)

الملازم : (بلهجة انتصار وهو ياخذ السيف) ليس هناك مثل
هذا الرجل ! اليس كذلك ياسيادة الجنرال ؟
(الى السيدة) على فكرة : أين فرسى ؟

السيدة : في الحفظ والصون ، في بورجيتو . وهو في انتظارك ، ياسيدى الملازم .

نابليون : (يستدير اليهما) اين الرسائل ؟

السيدة : اتحداك أن تخمن . إذا كان في العالم مكان لا يحتمل أن تكون فيه ، فهي في ذلك المكان . هل قابل احدكم انحتى هنا ؟

الملازم : أجل . سيدة لطيفة جدا . انها تشبهك بطريقة لها العجب . ولكنها بالطبع تفوقك حسنا .

السيدة : (بتكتم) اتدرى انها تمارس السحر ؟

جوزيبي : (مرتاعا ، يرسم علامة الصليب على صدره) لا ، لا ، لا ، لا . العبث بمثل هذه الامور ليس مأمون العواقب . أنا لا استطيع أن أقبل هذا في بيتي ، يا صاحب العظمة .

الملازم : نعم . دعك من هذا الكلام . انت اسيرى . وأنا بالطبع لا أصدق شيئا من هذه الترهات .

ومع ذلك فان هذا الموضوع ليس مما يحتمل المزاح .

السيدة : ولكننى جاد . جاد للغاية . لقد سحرت انحتى سيادة الجنرال . (جوزيبي والملازم يرتدان عن نابليون) . سيدى الجنرال : افتح سرتك : ستجد الرسائل في صدرها .

(تضع يدها في لمح البصر على صدره) . أجل : ها هي ذى : انا احس بها . ما رأيك ؟ (نتصفح وجهه بتعبير تختلط فيه المعاتبة بالسخرية) . اتأذن لى ياسيدى الجنرال ؟ (تأخذ أحد الازرار

كما لو كانت تريد أن تفك ازار السترة وتبتظر
الاذن) .

نابليون : (جامد الوجه) إذا واتتك الجراءة .

السيدة : شكرا لك . (تفتح السترة وتخرج الرسائل) هذه

هى ! (إلى جوزيبي وهى تريح الرسائل) انظر !

جوزيبي : (يفر إلى الباب الخارجى) لا ، بحق السماء ! هى

رسائل مسحورة !

السيدة : (تلتفت الى الملازم) هاهى ذى ، ياسيادة الملازم :

إنها لا تفزعك .

الملازم : (يتراجع) لا تقرب . (يمسك مقبض السيف) .

قلت لا تقرب .

السيدة : (الى نابليون) هى ملكك ياسيدى الجنرال . خذها .

جوزيبي : لا تمسها يا صاحب العظمة . لا تجعل لنفسك فيها

شأنا من الشئون .

الملازم : حذار ياسيدى الجنرال : حاذر .

جوزيبي : احرقها . واحرقها . واحرق الساحرة معها .

السيدة : (الى نابليون) هل احرقها ؟

نابليون : (متفكرا) أجل . احرقها . جوزيبي : رح واث

بالنار .

جوزيبي : (يفأفى مرتعد الاوصال) تعنى بمفردى ؟ فى الظلام؟

وساحرة فى البيت ؟

نابليون : ايها الجبان الرعيد . (الى الملازم) اذهب انت لو

سمحت ، يا حضرة الملازم .

الملازم : (محتجا) لا ، يا سيادة الجنرال ! لا . اسمع . ما من احد يستطيع ان يرميني بالجبن بعدما كان منى فى معركة « لودى » . اما ان تطلب منى الذهاب وحدى فى هذه العتمة دون شمعة بعد مثل هذا الحديث الشنيع ، فشئء كثير ، ما رأيك فى أن تقوم انت نفسك بهذه المهمة ؟

نابليون : (بعصبية) انت ممتنع عن اطاعة أمرى ؟

الملازم : (باصرار) فعلا . لانه امر غير معقول . ولكنى سأقول لك ماذا سأفعل . اذاذهب جوزيبي سأذهب معه وأحرسه .

نابليون : (الى جوزيبي) تفضل ! الديك حجة بعد هذا ؟ اغربا عن وجهى . .

جوزيبي : (بمسكنة وشفته تترجفان) سم . . سمعا وطاعة ، يا صاحب العظمة . (ينصرف على كره منه فى اتجاه الباب الداخلى) . لتحرسنى السماء ! (الى الملازم) تفضل يا سيادة الملازم .

الملازم : بل تفضل انت أولا : انا لا أعرف الطريق .

جوزيبي : لا يمكن ان تضل عنه . كذلك (يضع يده بضراعة على كفه) فما انا الا صاحب فندق مسكين . اما انت « فابن ذوات » .

الملازم : قول لا يخلو من صواب . خذ : المسألة لا تستحق منك كل هذا الخوف . امسك ذراعى . (جوزيبي يفعل ذلك) . هذا هو الطريق . (يخرجان وكل منهما يتأبط ذراع الآخر) .

(الدنيا الآن ليل تضيئه النجوم . السيدة تلتقى الرزمة
على المائدة وتجلس على الارىكة في وضع مريح
تستمتع فيه بشعور التحرر من حبكة ثوبها النسائي .)

السيدة : هه ياسيادة الجنرال : لقد انتصرت عليك .

نابليون : (وهو يتجول في الغرفة) وارتكبت جريمة في حق
الاصول : وفي حق الانوثة . أهذا ثوب مناسب ؟

السيدة : إنه مثل ثوبك

نابليون : هراء ! أنا أنجبل من أجلك .

السيدة : (ببراءة) نعم : ما أسهل الخجل عند العسكريين .

(يزجر ويعرض عنها . ترمقه بشقاوة وهي تهز
الرسائل في يدها) . اما بك رغبة ياسيدى الجنرال
في قراءة هذه الرسائل قبل أن تحرق ؟ لابد أنك تذوب
من الفضول . الق عليها نظرة . (تطرح الرزمة على
المائدة وتحول عنها وجهها) . لن انظر اليك .

نابليون : ما بي أقل فضول ياسيدتى . اما وانت تتحرقين شوقا
للاطلاع عليها فاني اصرح لك بذلك .

السيدة : ابدا . سبق لى قراءتها .

نابليون : (كالملدوغ) ماذا ؟

السيدة : كانت قراءتها اول شىء فعلته بعد أن فررت على فرس
ذلك الملازم المسكين . وهكذا ترى انى على علم بما
فيها بينما تجهله أنت .

نابليون : العفو : أنا قرأتها حين كنت هناك في الكرامة منذ عشر دقائق .

السيدة : لا ! (تقفز) ياسيدى الجنرال : ارجع وأقول انى .
في الحقيقة ، لم انتصر عليك . شتما أنا معجبة بك .
(يضحك ويربت على وجنتها) . دعنى هذه المرة ،
بحق وصدق ، ودون غش ولا رياء ، أقدم لك
فروض الطاعة والولاء (تقبل يده) .

نابليون : (يسحبها بسرعة) لا ! ارجعى عن هذا . كفانا
سحرا .

السيدة : لدى كلمة بودى ان اقولها لك . ولكنك ستسئ فهمها

نابليون : وهل في ذلك ما يمنعك ؟

السيدة : المسألة على أى حال هي هذا : أنا أحب الى درجة
العبادة رجلا لا يتورع عن أن يكون حقيرا وأنايا .

نابليون : (باستنكار) ما أنا حقير ولا أناي .

السيدة : انت لا تقدر نفسك حق قدرها . ثم انى لا اعنى الحقارة
والانانية حقيقة .

نابليون : اشكرك . خيل الى انك ربما تعين ذلك .

السيدة : بالطبع انا اعنيه . ولكن الذى اعنيه نوع من الغفلة
القوية تتصف به .

نابليون : هذا احسن .

السيدة : انت لم تشأ أن تقرأ الخطابات ولكنك كنت متشوقا
للقوف على ماتحتويه . ومن هنا ذهبت الى الحديقة
وقرأتها بعيدا عن الاعين ، ثم عدت وتظاهرت بانك

لم تفعل . هذه احقر فعله تصدر من رجل . ما قابلت
قط رجلا يقدم على مثلها . ولكنها كانت تحقق
غرضك تماما . ومن ثم لم يصدك عن فعلها خوف
ولا حياء .

نابليون : (على حين غفلة) من أين لك كل هذا التعفف
السوقي وهذا (بتوكيد مبین) الضمير الحى ؟ كنت
أحسبك سيدة راقية : ارستقراطية . قولى لى من
فضلك : هل كان جدك صاحب حانوت ؟

السيدة : كلا ، بل كان انجليزيا .

نابليون : هذا يفسر الموضوع . الانجليز أمة من اصحاب
الحوانيث . الآن فهمت لم هزمتنى .

السيدة : حاشا لله . أنا لم اهزمك ، كما انى لست انجليزية .

نابليون : بل انت كذلك : انجليزية « من فوقك لتحتك » .
اعيرينى سمعك : : سأصف لك الانجليز .

السيدة : (مشرئبة) تفضل . (تجلس على الارىكة بحوية
من يتأهب لتناول وجبة دهنية دسمة وتستعد
للاستماع اليه . هو بدوره يشحذ قواه لاداء الدور
وقد اطمأن إلى جمهوره .

يتردى قليلا قبل أن يبدأ وذلك لكى يركز اهتمامها
بلحظة انتظار . اسلوبه في البداية مصبوب في قالب
أسلوب « تالما » في مسرحية « سينا » لكورنى
(١) . ولكن هذا الاسلوب يتبدد بعض الشئ في

(١) وائد المسرح التراجيدى الفرنسى (١٦٠٦ - ١٦٨٤)

ظلام الليل ولا يلبث « تالما » ان يترك مكانه لنابليون
صوته ينبعث من ثنايا الحلقة بعمق يبعث القشعريرة)

نابليون : هناك ثلاثة انواع من الناس في العالم : السفلة ،
وأهل الوسط ، والاشراف . السفلة والاشراف
يشتركون في شيء واحد هو انعدام الضمير
والاخلاق . سفالة السفلة تجعلهم تحت الاخلاق
وشرف الاشراف يجعلهم فوق الاخلاق . وأنا
لا أرهب هؤلاء ولا هؤلاء . ذلك أن السفلة عديمو
الضمير بلا معرفة ، ولذا فهم يصنعون مني وثنا .
أما الاشراف فعديمو الضمير بلا عزم ، ولذا
فجباهم تمنوا لارادتي . وهأنذا أقولها لك : سأشق
طريقي في دهماء كافة شعوب أوروبا وفي بلاط
كافة ملوكها كما يشق المحراث تربة الحقل .
أهل الوسط هم موطن الخطر : فهم يملكون
المعرفة والعزيمة معا ، ولكن لهم كما لغيرهم نقطة
ضعف هي تلك الوسوس التي تأخذ بنخاقهم :
اخلاقياتهم وحرص الواحد منهم على أن يكون
محترما تكبل ايديهم وأرجلهم بالسلاسل .

السيدة : اذن ستغلب الانجليز ، فكل اصحاب الخوانيت
من أهل الوسط .

نابليون : كلا ، لأن الانجليز جنس قائم بذاته . ليس بين
الانجليز من تبلغ سفالته درجة انعدام الضمير وليس
بينهم من يبلغ شرفه درجة التحرر من سلطانه .
ولكن الانجليزى — أى انجليزى يولد بمقدرة في
منتهى العجب تجعله يسود العالم . انه إذا اراد شيئا

لا يقول لنفسه ابدا انه يريد . ولكنه ينتظر في صبر ان يهبط عليه ، بطريقة لا يتصورها احد ، اقتناع تام بان واجبه الاخلاقي والديني يقتضيه أن يقهر أولئك الذين يملكون ما يريد ، حينئذ يصبح انسانا تستحيل مقاومته . انه ، شأن الارستقراطي ، يفعل ما يرضيه ويغتصب ما يشتهي : هو ، شأن صاحب الخانوت ، يحاول التوصل إلى تحقيق غرضه بمثابرة واخلاص ينبعان من يقينه الديني القوى ومن احساسه العميق بالمسئولية الأدبية . وهو لا يعجز قط عن الظهور بمظهر أخلاقي . وهو بوصفه نصيرا عظيما لمبادئ الحرية والاستقلال القومي يخضع ويضم لنفسه نصف الكرة الأرضية ويسمى ذلك استعمارا . وهو حين يريد أن يفتح سوقا جديدة لبضائعه الفاسدة ، المصنوعة في مانشستر ، يرسل أحد المبشرين ليعلم أهل البلد انجيل السلام . ويقتل أهل البلد المبشر واذابه ينتضي السلاح دفاعا عن المسيحية . هو يقاتل باسمها ، ويغزو باسمها ، ثم يستولى على السوق كمكافأة جادت بها السماء ، وهو ، لكي يدافع عن شواطئ الجزيرة البريطانية ، يضع قسيسا على ظهر احد سفنه الحربية ، ويدق بالمسمار على أعلى صواريها علما عليه صليب ، ثم يبحر إلى اقصى اطراف المعمورة ، ويغرق ويدمر كل من ينازعه امبراطورية البحار . وهو يفخر بان أى عبد من العبيد يصبح انسانا حرا في اللحظة التي تطفأ فيها قدمه أرض بريطانيا ، ويبيع في الوقت

ذاته اطفال فقراءه في سن السادسة ليعملوا بالسوط
في مصانعه ست عشرة ساعة في اليوم . هو يقوم
بشورتين في تاريخه ثم يعان على ثورتنا الحرب باسم
القانون والنظام . انت لن تجدى عملا فائق الشر
أو فائق الخير الا ويعمله الانجليز ، ولكنك لن
تجدى قط انجليزيا على خطأ . هو يستند في كل
اعماله إلى مبدأ . يحاربك استنادا إلى المبادئ الوطنية
ويسرقك استنادا إلى مبادئ الاعمال والتجارة .
ويستعبدك استنادا إلى المبادئ الامبراطورية .
ويستأسد عليك استنادا إلى مبادئ الرجولة . ويناصر
ملكه استنادا إلى مبادئ الولاء ويقطع رأس ملكه
استنادا إلى المبادئ الجمهورية .

شعاره دائما هو الواجب ، وهو لا ينسى ابدا أن
الامة التي تدع واجبها يعمل ضد مصالحها امة
ضائعة . . هو . .

السيدة : حسبك ، حسبك . لحظة . خذ نفسك . ما أريد
أن أعرفه هو كيف تعتبرني انجليزية على هذا
الاساس .

نابليون : (يتخلى عن اسلوبه الخطابى) المسألة في غاية
الوضوح . كنت تريدن خطابات تخصنى . وقد
امضيت الصباح في سرقتها : أجل سرقتها . سطوت
عليها كسطو قطاع الطرق . ثم امضيت فترة العصر
في اقناعى بانى كنت مخطئا فيما يتعلق بها : في
ادعاء اننى أنا الذى كنت أريد سرقة خطاباتك : في

شرح أن كل ما حدث إنما حدث بسبب حقارتى
وأنايتى ، وطيبة قلبك ، وتفانيك ، وانكار ذاتك
هذا شأن الانجليز .

السيدة : كلام فارغ ! أنا على ثقة من أن طبعى ليس فيه ذرة
من طبع الانجليز . الانجليز قوم في منتهى الغباء .

نابليون : أجل . وهم احيانا أغبي من أن يدركوا أنهم قد
انهزموا (! !) . ومع ذلك فانا اسلم بان مخك ليس
انجليزيا . خبرينى : رغم ان جدك كان انجليزيا فماذا
كانت جدتك ؟ فرنسية ؟

السيدة : لا ، لا . ايرلندية .

نابليون : (فورا) ايرلندية ! (مترويا) نعم : لقد نسيت
الايرلنديين . جيش انجليزى يقوده جنرال ايرلندى :
هذا الجيش قد يكون ندا لجيش فرنسى يقوده جنرال
ايطالى . (يتوقف ثم يضيف بلهجة بين المزاح
والكآبة) مهما يكن من أمر فقد انتصرت على . ومن
ينتصر على رجل في البداية فمن الحتم ان ينتصر عليه
في النهاية (١) . (يخرج ساهما الى الكرمة التى
تسبح في ضوء القمر وينظر الى أعلى) .

(تتسلل ورائه . تجازف وتريح يدها على كتفه وقد
غلبها رواء الليل وشجعها ظلامه .)

السيدة : (برقة) الام تنظر ؟

(١) كانت جيوش الحلفاء التى هزمت نابليون الهزيمة الحاسمة في معركة
« ووترلو » بقيادة ويلنجتون وهو ايرلندى الاصل .

نابليون : (يشير الى اعلى) نجمى .

السيدة : انت ممن يؤمنون بهذا ؟

نابليون : أجل .

(ينظران الى النجم لحظة وهى مائلة قليلا على كتفه .)

السيدة : اتدرى ان الانجليز يقولون ان نجم الرجل لا يكتمل
دون ربطه جورب امرأة . (١)

نابليون : (مستهجنا : يهز يدها عنه بفضاظة ويقفل راجعا
الى الغرفة) المنافقون ! لو أن الفرنسيين هم الذين
قالوا ذلك ، لرفع الانجليز ايديهم من الهول والتقى !
(يتجه الى الباب الداخلى ويفتحه ثم يمسكه وهو
يصيح) جوزيبي ! اين تلك النار يا رجل ؟ (يتقدم
بين المائدة والصوان وينقل الكرسي الثانى الى جوار
كرسيه) . نحن لم نحرق الخطاب بعد . (يأخذ الرزمة) .
(جوزيبي يعود وهو لا يزال مخطوف اللون مرتعدا ،
وفي احدى يديه شمعدان ذو أفرع فيه شمعتان
مضاءتان وفي الأخرى صينية عريضة عليها ادوات
اطفاء الشموع .)

جوزيبي : (في حالة يرثى لها وهو يضع الشمعدان على المائدة)
يا صاحب العظمة : إلام كنت تنظر الساعة ؟ هناك
في الخرج (يشير عبر كتفه الى الكرمة ولكنه يخشى أن
يدير رأسه اليها) .

نابليون : (يفك الرزمة) وماذا يهملك في ذلك ؟

(١) النجم وربط الجورب يرمزان الى اعلى وسام انجليزى ١٠

جوزيبي : لان الساحرة ذهبت : اختفت . ولكن احدا لم يبصرها
خارجة .

السيدة : (تأتي من الكرمة وتقف وراءه) كنا نراقبها وهي
تمتطي عصا مكنستك (١) الى القمر يا جوزيبي .
لن تراها بعد الآن قط .

جوزيبي : بسم العذراء مريم أم المسيح ! (يرسم علامة الصليب
على صدره ويهرع خارجا) .

نابليون : (يلقي بالخطابات في كومة على المائدة) والآن !
(يجلس الى المائدة في الكرسي الذي وضعه لتوه)

السيدة : نعم . ولكنك احتفظت بالخطاب في جيبك . (يتسم .
يأخذ خطابا من جيبه ويطرحه فوق قمة الكومة .
تتناول هي الخطاب وتنظر الى نابليون قائلة) بشأن
زوجة قيصر .

نابليون : زوجة قيصر فوق الشبهات . احرقه .

السيدة : (ترفع اداة اطفاء الشموع وتعرض الخطاب بها
لشعلة الشمعة) ترى هل تكون زوجة قيصر فوق
الشبهات لو انها رأتنا هنا معا !

نابليون : (يردد صدى عباراتها ومرفقاه على المائدة ونخداه
على يديه وهو ينظر الى الخطاب) ترى هل تكون !
(السيدة الغريبة تضع الخطاب المشتعل على صينية

(١) صورة الساحرة عند الغربيين هي صورة امرأة طاعنة في السن تتركب عصا
مكنسة .

ادوات اطفاء الشموع وتجلس الى جوار نابليون ،
في نفس الوضع ، مرفقاها على المائدة وخداها على
يديها ، وتراقب الخطاب وهو يحترق . حين يحترق
تماما يحول كل منهما عينيه وينظر الى الآخر .
ينزل الستار عليهما متلصبا ويواريهما عن الانظار .

النهاية

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ - مقدمة بقلم المترجم	٧
مسرحية « السلاح والانسان »
٢ - الفصل الاول	٢١
٣ - الفصل الثانى	٥٥
٤ - الفصل الثالث	٩٣
٥ - مقدمة بقلم المترجم	١٤١
مسرحية « كانديدا »
٦ - الفصل الاول	١٥٧
٧ - الفصل الثانى	٢٠٣
٨ - الفصل الثالث	٢٣٩
٩ - مقدمة بقلم المترجم	٢٧١
مسرحية « رجل المقادير »
١٠ - مسرحية رجل المقادير	٢٨٥

ما صد من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ -	مانويل چاليتش	سمك عسر الهضم
٢ -	جان آنوى	القبضة (جان دارك)
٣ -	هال بورتز	البرج
٤ -	تساو يو	عاصفة الرعد
٥ -	هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس
		٢ - التشكيلة او عرض الازياء
٦ -	جون وبستر	الشیطانة البيضاء
٧ -	تیرانس رائیجان	الاسكندر المقدونى او قصة مفامرة
٨ -	تیرى مونیه	سباق الملوك
٩ -	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ -	فریدریش دورنیماث	النيزك
١١ -	یونسكو - اداموف - اربال -	دراما اللامعقول
	البی	
١٢ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ١
		١ - مس جوليا
		٢ - الاب
		مطيل يعود
		انشودة انجولا
		نواصعت فظفرت
		(من الاعمال المختارة) مولير - ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارنجالية فرسای
		عسكر وحرامية او نيد كيللى
		العين بالعين
		(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		الطريق الى دمشق - لالیه
		١٤ يوليو
		شجرة التوت
		روس او لورانس العرب
		حلاق اشبيلية
١٣ -	نیقوس كازندزاکى	
١٤ -	بیتر فايس	
١٥ -	اولیقر جولد سمیث	
١٦ -	مولیر	
١٧ -	دوجلاس ستيوارت	
١٨ -	ولیم شكسپیر	
١٩ -	اوجست سترندبرج	
٢٠ -	رومان رولان	
٢١ -	انجس ویلسون	
٢٢ -	تیرانس رائیجان	
٢٣ -	كارون دى بورمارشيه	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤ -	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ -	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ١
		نساء تراخيس
٢٧ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ١
		١ - رجل الله
		٢ - القلوب النهمة
٢٨ -	انريكي خارديل بونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ٢
		١ - الاقوى
		٢ - الرباط
		٣ - الجرائم انواع
		٤ - موسيقى الشبح
		اصطياد الشمس
٣٠ -	بيتر شافر	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ١
٣١ -	جورج شحادة	١ - حكاية فاسكو
		٢ - السيد بوبل
		انتصار حورس
٣٢ -	ه . و . فيرمان	(من الاعمال المختارة)
٣٣ -	جورج برنارد شو	جورج برنارد شو - ١
		١ - بيوت الارامل
		٢ - العابث
٣٤ -	فرناندو اربال	ثلاث مسرحيات طبيعية
		١ - قرافة السيارات
		٢ - فاندو وليز
		٣ - الشجرة المقدسة
٣٥ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢
		١ - اوديب الملك
		٢ - اوديب في كولون
		٣ - اليكترا
٣٦ -	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١
		١ - اليكترا
		٢ - لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١ ١ - الفنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جاك او الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٢٨ -	كوبر - تشيرشيل - شارب - بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحراب المضيء او (مصباح النعش) ١ - شيطان القابة ٢ - الخال فاتيا
٤٠ -	انطون تشيخوف	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ٢ ١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٤١ -	جورج شعادة	(من الاعمال المختارة) لويجي برانديلو - ١ ١ - ديانا والمثال ٢ - الحياة عطاء ٣ - لذة الامانة
٤٢ -	لويجي برانديلو	١ - ستيفن « د » ٢ - منفيون
٤٣ -	جيمس جويس	من الاعمال المختارة - سترندبرج - ٤ ١ - الفرما ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٤٤ -	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢ ١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت
٤٥ -	سوفوكل	

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦ -	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ٢ ١ - سدوم وعمورة ٢ - مجنونة شايو
٤٧ -	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ٢ ١ - ضحايا الواجب ٢ - مرتجلة الما ٣ - سفاح بلا كراء
٤٨ -	جبريل مارسيل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ٣ ١ - طريق القمة ٢ - العالم المكسور
٤٩ -	البي - شميزجال	١ - الحلم الأمريكي ٢ - الطابعان على الآلة الأرض كروية
٥٠ -	أرمان سالاكرو	
٥١ -	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو - ٢ ١ - السلاح والانسان ٢ - كانديدا ٣ - رجل المقادير

الكويت	١٥٠ نك	ليبيا	١٥ قرش	مسقط	١٤٠ مايا
المحورية	٤ ريال	المغرب	٢ - درهم	اليمن الجنوبي	١٤٠ نك
العراق	١٥٠ نك	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالي	٢ ريال
الأردن	١٥٠ نك	الجزائر	٢ دينار	الحجاز	١٥٠ نك
سوريا	١,٥ ليرة	المتاهة	١٥٠ مليم	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ جنيه		

في العدد القادم

الحارس

تأليف : هارولد بنتر

دخل هارولد بنتر المسرح من أوسع أبوابه ، فقد بدأ حياته - كمواطنه العظيم شكسبير - ممثلا صغيرا ثم تدرج في حياة المسرح فأصبح الآن كاتباً ومخرجاً ومنتجاً وممثلاً في آن واحد . وتعدد نشاطه فشمّل المسرح والتلفزيون والسينما . ومن هنا اكتسبت مسرحيات بنتر المرونة التي تجيء عن طريق التمرس الفعلى بخشبة المسرح ، وبعدت عن الأكاديمية الصرف التي تطفى على كتابات أولئك الذين لا يعرفون المسرح الا من خلال الاضابير والاوراق .

ومسرحية الحارس هي التي أعطت بنتر شهرته ، وهي أيضا إحدى قمم مسرح العبث الانجليزى بعد الحرب . . وفيها يعالج موقف الانسان بين الأمن والخطر ، استكائته الى ملاذ معين ارتضاه لنفسه من حياة العنف والتوتر ، ثم الخطر الذى يهدد هذا الملاذ فيكاد يعصف به ، ويجعل الحياة محنة دائمة ، فالانسان حتى في أمنه متحسب للاخطار .

ولعل أهم ما يجذب النظر في هذه المسرحية هو أن حوارها يعتمد على الصمت أكثر مما يعتمد على الكلام ، إذ ان علاقات الشخصيات الثلاث في المسرحية قد وضعت في اختبار دائم ، ومحك هذا الاختبار يكمن فيما يقوم بينها من ترابط وتنافر مستمرين .

في هذا العدد

من الاعمال المختارة

جورج برناردشو - ٢

مسرحية **رجل المقادير** تتناول شخصية نابليون التي تحيطها مخيلة الناس بالبطولة الخارقة ، والعبقرية الفذة ، ولكن شو - على دأبه - ينتزع من هذه الشخصية تلك الفلالات الاسطورية التي احاطت بها ليظهره على أنه المغامر الكورسيكي الطموح الذي يستخدم البشرية كأداة لتحقيق غرضه ، ولو أنه مشى على طريق من الجماجم والاشلاء .

ومسرحية كانديدا تتناول العلاقة الزوجية بأسلوب يكاد يذكر بأسلوب ابسن في بيت الدمية، اذ تهتز العلاقة الزوجية الرتيبة بين كانديدا وزوجها موريل تحت وطأة الحب الشاعري الذي يقدمه مارشبانكس وهو حب كان ضروريا لهذه العلاقة الزوجية كي ينفذ عنها غبار التقاليد .

وفي السلاح والانسان يعود شو الى مشكلة الحرب ، وتؤخذ أحداث مسرحيته من حرب البلقان ١٨٨٥ ، وفي هذه المسرحية يحاول شو ايضا ان يزيل غشاوة الرومانسية التي تعلق بالبطولة في أذهان عامة الناس .